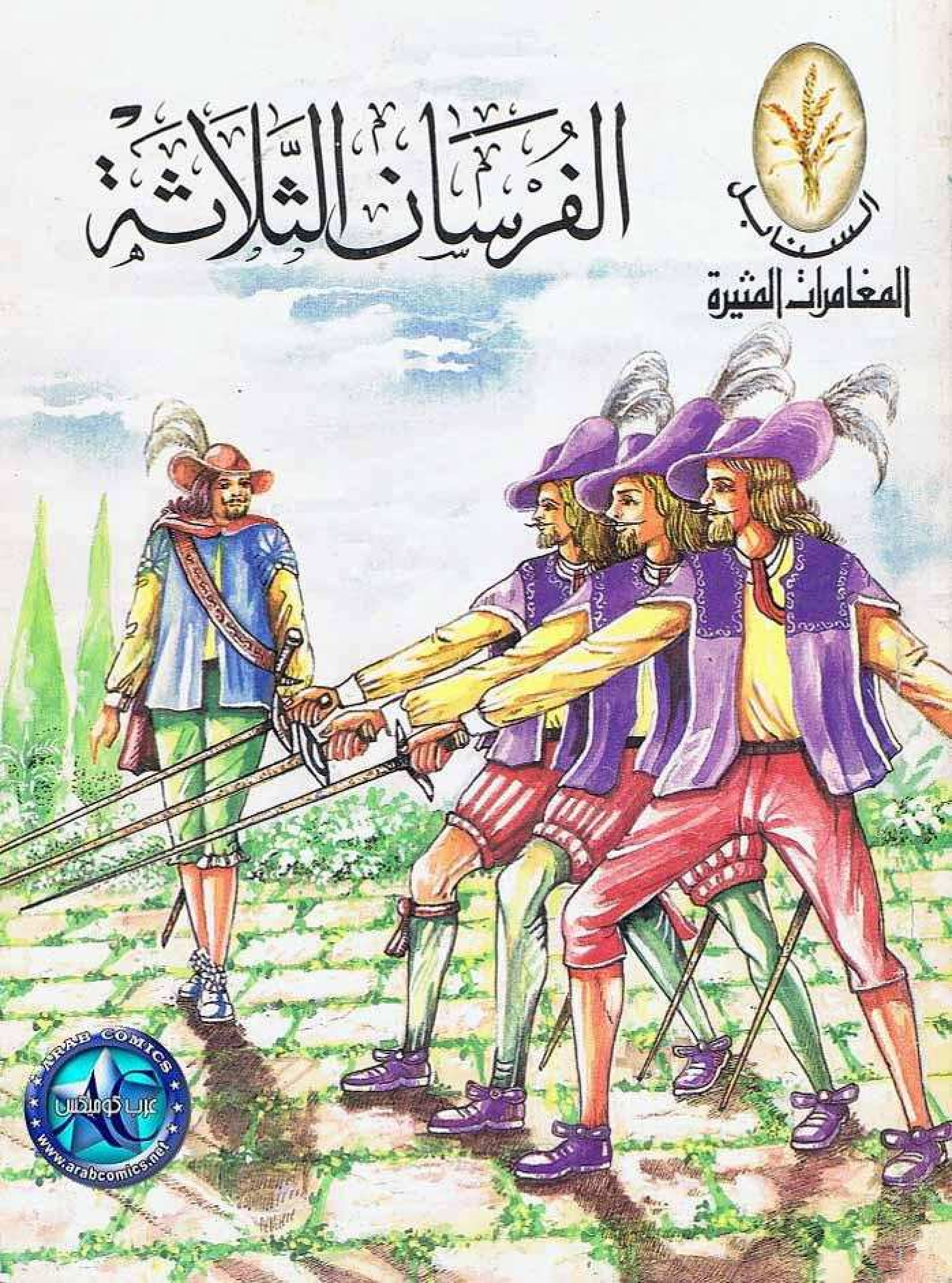
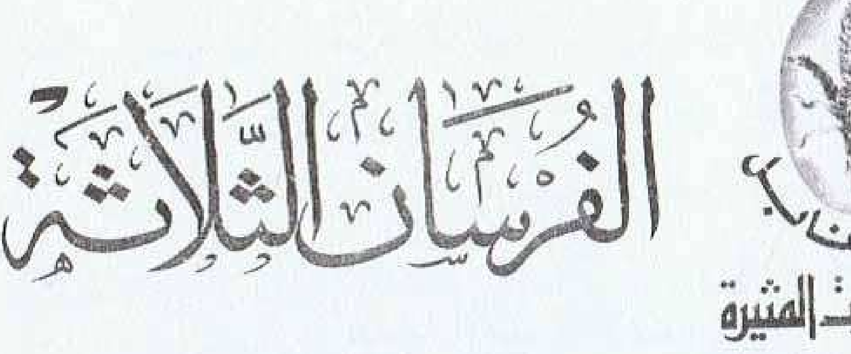
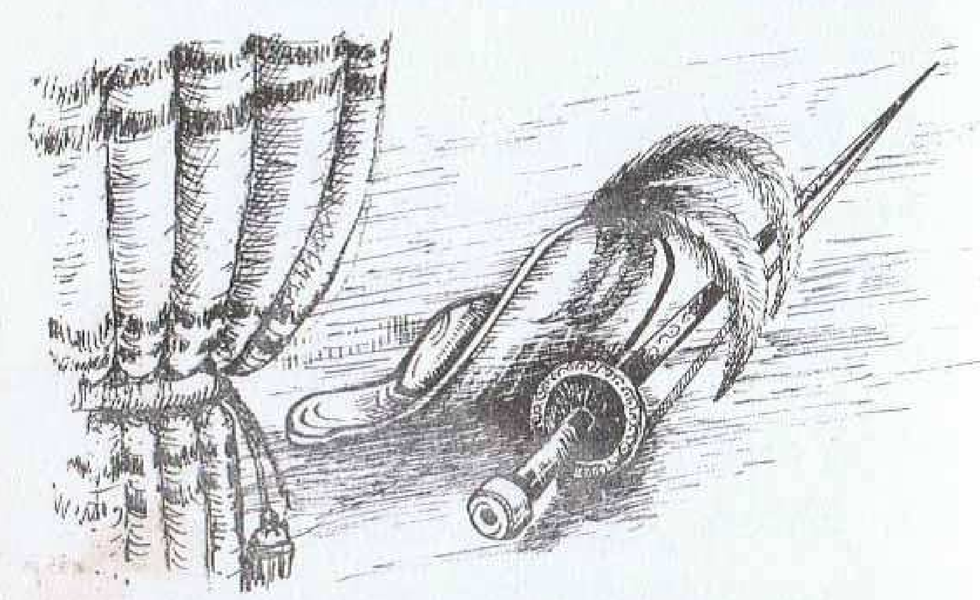

الفرسان الثلاثة
سنابل
المغامرات المثيرة
ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net







المغامرات المثيرة



تأليف : ألكسندر ديماس

أعدها بالعربية : أمين سلامة

رسوم : شكري هشام

مكتبة لبنان

رئيس التحرير : وجدي رزق غالي

١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي – الجيزة ، مصر

الطبعة الأولى ١٩٩٢

رقم الإيداع : ٥٦٠٧ / ١٩٩٢

الترقيم الدولي : ISBN ٩٧٧ - ١٦ - ٠١٠٣ - ٢

طبع في دار نوبار للطباعة

الفصلُ الأوَّل

هدايا الأبِ الثلاث

كانَ لويس الثَّالثَ عَشَرَ ، مَلِكُ فَرَنْسا ، مِنْ أبْرَعِ مَنِ اسْتَخْدَموا السَّيْفَ في مَمْلَكَتِهِ ، وَمَعَ ذَلِكَ ، فَكَثيراً ما سُمِعَ يُرَدِّدُ : « لَوْ كانَ لي صَديقٌ يُريدُ المُبارَزَةَ ، وَيَحْتاجُ إلى مَنْ يُبارِزُهُ ، فَإنِّي أنْصَحُهُ بِأنْ يَخْتارَني أنا أوَّلاً ، ثُمَّ تريڤي مِنْ بَعْدي ، أوْ رُبَّما تريڤي أوَّلاً .»

وَكانَ السَّيِّدُ دي تريڤي مِنْ أوْفى الأوْفياءِ ، وَمِنْ أعْظَمِهِمْ إخْلاصاً لِلْمَلِكِ . وَكانَ مِنَ الضَّروريِّ في تِلْكَ الأيَّامِ ، أنْ يُحاطَ المَرْءُ بِالأوْفياءِ أمْثالِ تريڤي ، وَلِذَلِكَ انْتَهَزَ المَلِكُ لويس الثَّالِثَ عَشَرَ ، أوَّلَ فُرْصَةٍ ، فَجَعَلَهُ قائِداً لِحَرَسِهِ المَلَكِيِّ — الفُرْسانِ .

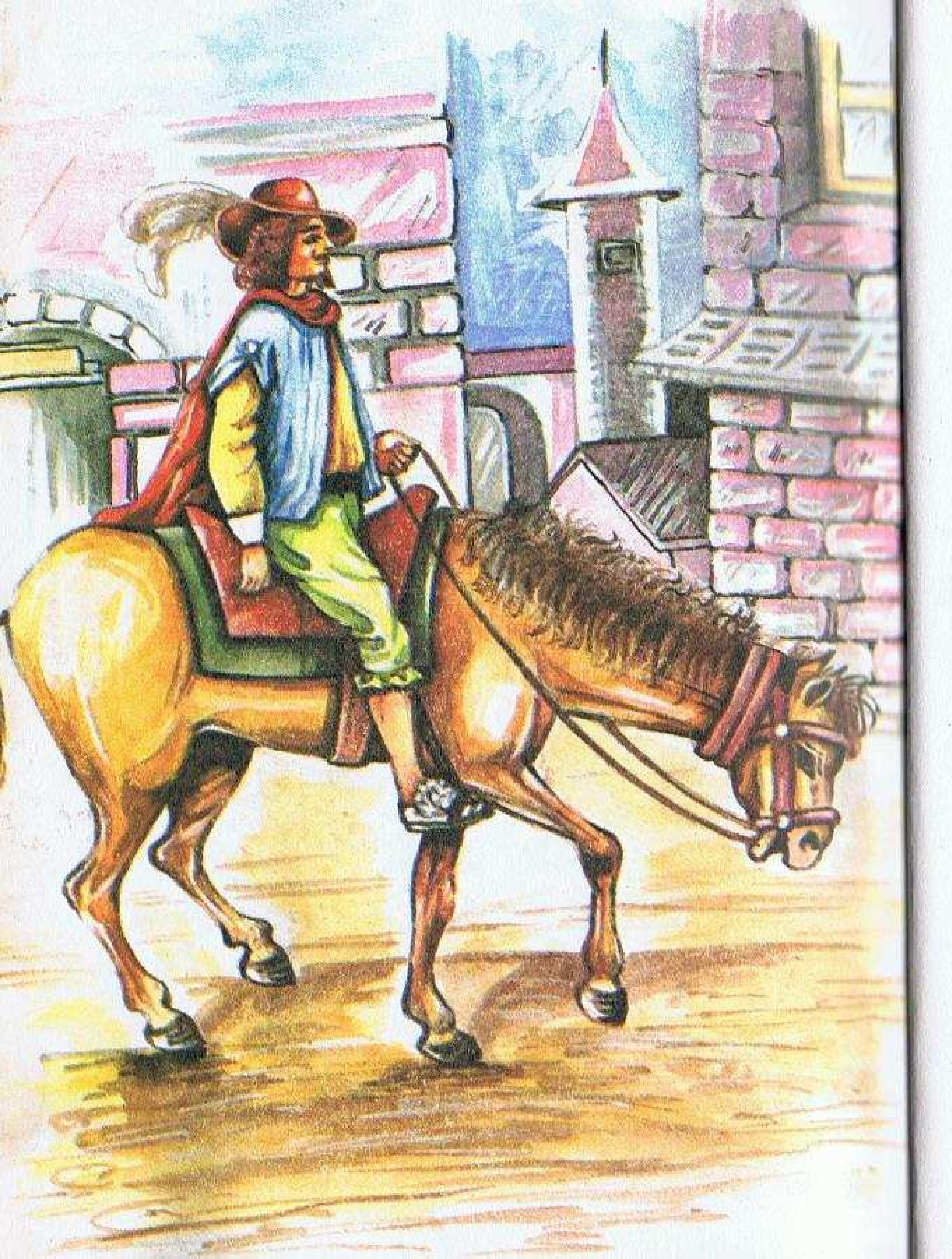
لَمْ يَكُنِ الكارْدينالُ ريشِلْييه ، الَّذي هُوَ رَئيسُ وُزَراءِ المَلِكِ ، وَالمَرْهوبُ الجانِبِ أكْثَرَ مِنَ المَلِكِ ، بِأقَلَّ جَدارَةً بِالاحْتِرامِ . وَلَمّا رَأى المَجْموعَةَ القَوِيَّةَ مِنَ الرِّجالِ المُخْتارينَ ، الَّذينَ أحاطَ بِهِمُ السَّيِّدُ

دي تريڤي المَلِكَ ، قَرَّرَ أنْ يَكونَ لَهُ حَرَسُهُ ، هُوَ أيْضاً ، مِثْلَما لِلْمَلِكِ فُرْسانُهُ . وَقَدْ تَنافَسَ كُلٌّ مِنَ الرَّجُلَيْنِ ، في أنْ يُضيفَ إلى مَجْموعَتِهِ أمْهَرَ الرِّجالِ وَأشْجَعَهُمْ في اسْتِخْدامِ السَّيْفِ .

وَكانَتِ المُشاجَراتُ وَالمَعارِكُ وَأعْمالُ الشَّغَبِ مِنَ الأحْداثِ اليَوْمِيَّةِ في تِلْكَ الأيَّامِ . وَكانَ النُّبَلاءُ المَزْهُوّونَ يَتَعارَكونَ مَعاً ، أوْ يَحيكُ كُلٌّ مِنْهُمُ المَكائِدَ لِلآخَرِ . وَكانَ هُناكَ اللُّصوصُ وَالمُتَسَوِّلونَ المُحْتَرِفونَ وَالمُغامِرونَ وَالأوْغادُ الَّذينَ دَأبوا عَلى تَعْكيرِ صَفْوِ حَياةِ كُلِّ فَرْدٍ . وَكانَ المُواطِنونَ يَتَصَدَّوْنَ دائِماً لأولَئِكَ المُتَجَوِّلينَ لِلشَّرِّ ، وَكَثيراً ما قاتَلوا النُّبَلاءَ ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يُقاتِلوا الكارْدينالَ قَطُّ .

إذاً ، فَمِنَ الطَّبيعِيِّ أنْ يَثورَ فُضولُ شَعْبِ مِيونْغ ، حينَ يَسْمَعونَ ضَجيجاً عالِياً بِقُرْبِ فُنْدُقِ « جولي ميلر » ، وأنْ يَتَسَلَّحوا بِكُلِّ ما يُمْكِنُهُمُ اسْتِخْدامُهُ مِنْ أسْلِحَةٍ ، وَيَنْدَفِعوا نَحْوَ الفُنْدُقِ ، حَيْثُ تَتَزايَدُ حُشودُ النَّاسِ سَريعاً ، يَصيحونَ جَميعاً وَيَصْخَبونَ . وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّعْبِ اكْتِشافُ سَبَبِ الاضْطِرابِ .

كانَ سَبَبُ تِلْكَ المَتاعِبِ رَجُلاً في الحَلْقَةِ الثَّالِثَةِ مِنْ عُمْرِهِ ، وَلا شَكَّ في أنَّهُ كانَ مِنْ أهالي غَسْقونْيا ، فَمِنَ السَّهْلِ مَعْرِفَتُهُ مِنْ عَيْنَيْهِ الذَّكِيَّتَيْنِ الواسِعَتَيْنِ ، وَأنْفِهِ الدَّقيقِ . وَقَدْ يَظُنُّهُ ذو العَيْنِ المُجَرِّبَةِ ابْنَ



مُزارِعٍ يقومُ بِرِحْلَةٍ ، لَوْلا السَّيْفُ الطَّويلُ المُتَدَلّي إلى جانِبِهِ .

وَقَدْ لَفَتَ حِصانُهُ أنْظارَ كُلِّ مَنْ رَآهُ . كانَتْ سِنُّهُ تَتَراوَحُ بَيْنَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أوْ أرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَكانَ مُغَطّى بِشَعْرٍ أَصْفَرِ اللَّوْنِ ، وَذَيْلُهُ خالِيًا تَماماً مِنَ الشَّعْرِ ، وَكانَ يَسيرُ مُطَأْطِئَ الرَّأْسِ لأَسْفَلَ مِنْ مُسْتَوى رُكْبَتَيْهِ ، وَرَغْمَ ذَلِكَ ، أَفْلَحَ في أَنْ يَسيرَ المَسافاتِ المُقَرَّرَةَ عَلَيْهِ في كُلِّ يَوْمٍ .

لَمْ يَسْتَطِعْ دارتانيان ، وَهَذا هُوَ اسْمُ الشّابِّ ، أَنْ يُخْفِيَ مَنْظَرَهُ المُضْحِكَ وَهُوَ مُمْتَطٍ صَهْوَةَ مِثْلِ ذَلِكَ الحِصانِ ، رَغْمَ كَوْنِهِ فارِساً ماهِراً . لِذا فَقَدْ تَنَهَّدَ عَميقاً عِنْدَما قَبِلَهُ هَدِيَّةً مِنْ أَبيهِ في ذَلِكَ الصَّباحِ .

قالَ السَّيِّدُ الغسقونِيُّ : « أَيْ بُنَيَّ ، وُلِدَ هَذا الحِصانُ في إِسْطَبْلي مُنْذُ حَوالى ثَلاثَةَ عَشَرَ عاماً ، وَخَدَمَني بِإِخْلاصٍ مُنْذُ ذَلِكَ الحينِ . وَهَذِهِ الحَقيقَةُ يَجِبُ أَنْ تَكونَ مَدْعاةً لِسُرورِكَ أَنْ يَكونَ مِلْكاً لَكَ . »

اِسْتَطْرَدَ والِدُ دارتانيان قائِلاً : « وَحَيْثُ إِنَّكَ ، يا وَلَدي ، سَتَشُقُّ طَريقَكَ في الحَياةِ ، فَضَعْ نُصْبَ عَيْنَيْكَ أَنْ تُحافِظَ عَلى مَكانَتِكَ ، وَلا تَتَقَبَّلَ النَّقْدَ مِنْ أَيِّ شَخْصٍ ، بِاسْتِثْناءِ الكارْدينالِ وَالمَلِكِ . وَلا

تَخْشَ المَعارِكَ أبدًا ، وَابْحَثْ عَنِ المُغامَرَة . وَقَدْ علَّمْتُكَ كَيْفَ تَسْتَخْدِمُ السَّيْفَ . وَعَلَيْكَ بِالقِتالِ في جَميعِ المُناسَباتِ .»

وَأضافَ الرَّجُلُ العَجوزُ : « بِمُجَرَّدِ أنْ تَبْلُغَ باريس ، اذْهَبْ بِهَذا الخِطابِ وَسَلِّمْهُ بِنَفْسِكَ لِلسَّيِّدِ تريڤي ؛ إذْ كانَ هَذا السَّيِّدُ ، فيما مَضى ، جاري ، وَحَظِيَ بِشَرَفِ اخْتِيارِهِ رَفيقًا لِمَلِكِنا قَبْلَ اعْتِلائِهِ العَرْشَ . إنَّهُ الآنَ قائِدُ الفُرْسانِ ؛ أيْ قائِدُ حَرَسِ المَلِكِ الشَّخْصِيّ .

« عِلاوَةً عَلى هَذا ، فالسَّيِّدُ دي تريڤي يَرْبَحُ عَشْرَةَ آلافِ كراون راتِبًا سَنَوِيًّا لَهُ ، وَلِذا فَهُوَ يُعَدُّ مِنَ النُّبَلاءِ العُظَماءِ . لَقَدْ بَدَأَ حَياتَهُ مِثْلَما تَبْدَؤُها أنْتَ . اذْهَبْ إلَيْهِ بِهَذا الخِطابِ ، وَاتَّخِذْهُ قُدْوَتَكَ حَتّى تَنْجَحَ مِثْلَهُ . لَيْسَ لَدَيَّ ما أُعْطيكَهُ ، يا بُنَيَّ ، سِوى خَمْسَةَ عَشَرَ كراونًا ، وَحِصاني ، وَالنَّصيحَةِ الَّتي سَمِعْتَها الآنَ . انْتَهِزْ كُلَّ فُرْصَةٍ سانِحَةٍ ، وَعِشْ سَعيدًا وَطَويلاً .»

بَعْدَ ذَلِكَ ، عَلَّقَ السَّيِّدُ دارتانيان سَيْفَهُ عَلى حِمالَةِ ابْنِهِ ، وَقَبَّلَهُ في وَجْنَتَيْهِ وَبارَكَهُ .

الفَصْلُ الثّاني
إهانة وتحدٍّ

حينَ وَصَلَ دارتانيان إلى ميُونْغ ، تَرَجَّلَ عِنْدَ بابِ فُنْدُقِ جولي ميلَر . وَلاحَظَ أثْناءَ تَرَجُّلِهِ ، رَجُلاً رَزينَ المَنْظَرِ ، يَقِفُ عِنْدَ نافِذَةٍ نِصْفِ مَفتوحَةٍ بِالطّابَقِ الأرْضِيِّ ، وَيَتَكَلَّمُ إلى شَخْصَيْنِ آخَرَيْنِ خَلْفَهُ بِالحُجْرَةِ ، وَيُصْغِيانِ إلَيْهِ بِاحْتِرامٍ غَيْرِ عادِيٍّ . وَبِطَبيعَةِ الحالِ ، ظَنَّ دارتانيان أنَّهُ مَوْضوعُ الحَديثِ ، خاصَّةً وَأنَّ الرَّجُلَ كانَ يَتَطَلَّعُ إلَيْهِ بَيْنَ الفَيْنَةِ وَالأُخْرى ، لِذا أصاخَ دارتانيان السَّمْعَ إلى ما يُقالُ .

وَالواقِعُ أنَّهُ كانَ مُخْطِئًا بَعْضَ الشَّيْءِ ؛ إذْ إنَّ الرَّجُلَ كانَ يَتَحَدَّثُ عَنْ صِفاتِ الحِصانِ ، وَكَثيرًا ما كانَ الرَّجُلانِ اللَّذانِ يُصْغِيانِ إلَيْهِ يَضْحَكانِ بَيْنَ آوِنَةٍ وَأُخْرى . وَإذا كانَتْ نِصْفُ ابْتِسامَةٍ تَكْفي لإثارَةِ طِباعِ ذَلِكَ الرَّجُلِ السَّريعِ الغَضَبِ ، فَمِنَ السَّهْلِ أنْ نَتَصَوَّرَ مَدى الأثَرِ الَّذي نَشَأَ عَنْ ذَلِكَ الأمْرِ .

فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ عَيْنِها ، أَبْدى الرَّجُلُ مُلاحَظَةً دُعابِيَّةً ساخِرَةً عَنِ الحِصانِ ؛ فَقَهْقَهَ الاثْنانِ الآخَرانِ بِصَوْتٍ يَعْلو عَلى صَوْتِ ضَحِكِهِما السَّابِقِ . غَيْرَ أَنَّهُ ، هُوَ نَفْسَهُ ، لَمْ يُظْهِرْ أَكْثَرَ مِنِ ابْتِسامَةٍ بَسيطَةٍ عَلى وَجْهِهِ . وَهُنا أَحَسَّ دارتانيان ، في هَذِهِ المَرَّةِ ، أَنَّهُ قَدْ أُهينَ . وَإِذِ اقْتَنَعَ بِهذا ، تَقَدَّمَ وَقَدْ وَضَعَ إِحْدى يَدَيْهِ عَلى مِقْبَضِ سَيْفِهِ ، وَأَسْنَدَ الأُخْرى عَلى خاصِرَتِهِ ، وَصاحَ قائِلاً :

« اسْمَعْ ، يا سَيِّدي ، يا مَنْ تُخفي نَفْسَكَ وَراءَ ذَلِكَ المِصْراعِ . أَخْبِرْني عَمَّا يُضْحِكُكَ ، فَنَضْحَكَ مَعاً . »

أَدارَ الرَّجُلُ عَيْنَيْهِ بِبُطْءٍ ، مِنَ الحِصانِ إِلى صاحِبِهِ ، وَكَأَنَّهُ يَحْتاجُ إِلى بَعْضِ الوَقْتِ لِيَتَأَكَّدَ مِمَّا إِذا كانَتْ هَذِهِ المُلاحَظاتُ مُوَجَّهَةً إِلَيْهِ . وَبَعْدَ ذَلِكَ ، عِنْدَما لَمْ يُصْبِحْ لَدَيْهِ شَكٌّ في هَذِهِ الحَقيقَةِ ، قَطَّبَ جَبينَهُ ، وَرَدَّ عَلى دارتانيان بِغَيْرِ اكْتِراثٍ ، قائِلاً : « لَمْ أَكُنْ أَتَحَدَّثُ عَنْكَ ! »

غَضِبَ دارتانيان أَكْثَرَ مِنْ ذي قَبْلُ ، مِنْ هَذِهِ السُّخْرِيَةِ ، وَقالَ : « وَلَكِنِّي أَتَحَدَّثُ إِلَيْكَ . »

نَظَرَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ مَرَّةً أُخْرى ، وَعَلى شَفَتَيْهِ شَبَحُ ابْتِسامَةٍ باهِتَةٍ ، وَغادَرَ النَّافِذَةَ . وَلَمَّا غادَرَ الفُنْدُقَ ، تَقَدَّمَ نَحْوَ الحِصانِ ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ

دارتانيان خُطْوَتانِ .

وَاسْتَأْنَفَ الرَّجُلُ المَجْهولُ كَلامَهُ ، قائِلاً : « مِنَ المُؤَكَّدِ ، أَوْ مِنَ المُرَجَّحِ أَنَّ هَذا الحِصانَ كانَ في شَبابِهِ أُقْحُوانَةً بَرِّيَّةً صَفْراءَ ! » وَتَوَجَّهَ بِكَلامِهِ إِلى الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ كانا لا يَزالانِ عِنْدَ النَّافِذَةِ ، مُتَجاهِلاً دارتانيان تَماماً : « إِنَّهُ لَوْنٌ مَعْروفٌ جِدّاً بَيْنَ الزُّهورِ ، غَيْرَ أَنَّهُ حَتَّى الآنَ ، نادِرٌ جِدًّا بَيْنَ الخُيولِ . »

صاحَ الشَّابُّ : « هُناكَ مَنْ يَضْحَكونَ مِنْ حِصانٍ ، وَلَكِنَّهُمْ لا يَتَجاسَرونَ عَلى الضَّحِكِ مِنْ صاحِبِهِ ! »

قالَ الرَّجُلُ المَجْهولُ : « أَنا لا أَضْحَكُ كَثيراً ، يا سَيِّدي ، وَرُبَّما تَكونُ قَدْ لاحَظْتَ ذَلِكَ ، وَرَغْمَ ذَلِكَ ، فَأَنا أَضْحَكُ عِنْدَما يَحْلو لي أَنْ أَضْحَكَ . »

صاحَ دارتانيان : « وَأَنا ، عِنْدَما يَحْلو لي ، لَنْ أَسْمَحَ لِأَيِّ رَجُلٍ بِأَنْ يَضْحَكَ ! »

وَاصَلَ الرَّجُلُ الوَقورُ كَلامَهُ في هُدوءٍ : « أَهُوَ ذاكَ ، يا سَيِّدي ؟ » وَاسْتَدارَ لِيَدْخُلَ الفُنْدُقَ .

« اسْتَدِرْ ! اسْتَدِرْ أَيُّها المُهَرِّجُ ، وَإِلَّا ضَرَبْتُكَ مِنَ الخَلْفِ ! »

قالَ الآخَرُ وَهُوَ يَسْتَديرُ وَيَنْظُرُ إِلى ذَلِكَ الشَّابِّ بِدَهْشَةٍ وَسُخْرِيَةٍ :

« تَضرِبُني ! لِماذا ، يا زَميلِي العزيزَ ؟ لا بُدَّ أنَّكَ مَجنونٌ !» ثُمَّ أضافَ بِصَوْتٍ خَفيضٍ ، وكَأنَّهُ يُحادِثُ نَفْسَهُ : « هذِهِ إساءَةٌ بالِغَةٌ !»

ما كادَ الرَّجُلُ يَنْتَهي مِنْ قَوْلِهِ هذا ، حَتَّى هَجَمَ عَلَيْهِ دارتانيان ثائِراً ، ولَوْ لَمْ يَرْتَدَّ الرَّجُلُ إلى الخَلْفِ سَريعاً ، لَكانتْ هذِهِ آخِرَ مَرَّةٍ يَمْزَحُ فيها . ولَمّا رَأى أنَّ ذَلِكَ الشّابَّ كانَ جادًّا حَقيقَةً ، اسْتَلَّ سَيْفَهُ و وَقَفَ في مَوْقِفِ اسْتِعْداد. غَيْرَ أنَّهُ ، في هذِهِ اللَّحْظَةِ عَيْنِها ، خَرَجَ الرَّجُلانِ اللَّذانِ كانا في الفُنْدُقِ ، ومَعَهُما صاحِبُ الفُنْدُقِ ، وانْهالوا على دارتانيان ضَرْباً بِالهِراواتِ . ولَمّا اسْتَدارَ دارتانيان لِيُواجِهَ وابِلَ الضَّرَباتِ هذا ، أعادَ الرَّجُلُ المَجْهولُ سَيْفَهُ إلى غِمْدِهِ بِهُدوءٍ . وبَدَلاً مِنْ أنْ يُشارِكَ في القِتالِ بِحَماسٍ ، وَقَفَ مُتَفَرِّجاً .

ظَلَّ الرَّجُلُ المَجْهولُ هادِئاً غَيْرَ مُنْزَعِجٍ ، ورَدَّدَ لِنَفْسِهِ : « اللَّعْنَةُ عَلى هؤلاءِ الغَسْقونِيّينَ ! ضَعوهُ عَلى حِصانِهِ الأصْفَرِ ، وأرْسِلوهُ إلى حالِ سَبيلِهِ .»

صاحَ دارتانيان بِشَجاعَةٍ : « لَيْسَ قَبْلَ أنْ أقْتُلَكَ أيُّها الجَبانُ !» و وَقَفَ راسِخاً أمامَ مُهاجِميهِ الَّذينَ ظَلّوا يُمْطِرونَهُ بِالضَّرَباتِ .

قالَ الرَّجُلُ الوَقورُ : « بِشَرَفي ، إنَّ هؤلاءِ الغَسْقونِيّين يَتَصَرَّفونَ

بِدونِ وَعْيٍ ! إذاً ، اسْتَمِرّوا فيما تَفْعَلونَ ، ما دامَ يُريدُ هذا . فَإذا ما كَلَّ ، سَيَصْرُخُ مُعْلِناً بِأنَّهُ نالَ كِفايَتَهُ .»

بَيْدَ أنَّ الرَّجُلَ المَجْهولَ لَمْ يَعْرِفْ ذَلِكَ الشَّخْصَ العَنيدَ ، الَّذي كانَ عَلَيْهِ أنْ يَتَعامَلَ مَعَهُ . فَلَمْ يَكُنْ دارتانيان هُوَ ذَلِكَ الرَّجُلَ الَّذي يَسْتَسْلِمُ أوْ يَطْلُبُ الرَّحْمَةَ . وعَلى ذَلِكَ اسْتَمَرَّ القِتالُ حَتَّى سَقَطَ سَيْفُهُ مَكْسوراً بِضَرْبَةِ عَصاً هائِلَةٍ ، وطَرَحَتْهُ ضَرْبَةٌ أخْرى عَلى رَأسِهِ أرْضاً مُضَرَّجاً بِالدَّمِ ، فاقِداً الوَعْيَ .

في تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، أقْبَلَ النّاسُ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ وصَوْبٍ إلى مَسْرَحِ القِتالِ ؛ وإذْ خَشِيَ صاحِبُ الفُنْدُقِ العَواقِبَ ، حَمَلَ الرَّجُلَ الجَريحَ إلى المَطْبَخِ ، حَيْثُ أمَرَ بِغَسْلِ جِراحِهِ وتَضْميدِها .

الفَصلُ الثّالث

ميلادي تُقابِلُ الرَّجُلَ المَجْهولَ وَتَتَلَقّى التَّعْليماتِ

عادَ السَّيِّدُ إلى حُجْرَتِهِ ، وَأخَذَ يُراقِبُ الجُموعَ مِنَ النّافِذَةِ بِقَلَقٍ ، إذْ كانَ مِنَ الجَلِيِّ أنْ عَدَمَ انْصِرافِهِمْ ضايَقَهُ .

سَألَ الرَّجُلُ المَجْهولُ صاحِبَ الفُنْدُقِ ، الَّذي جاءَ لِيَسْتَفْسِرَ عَمّا إذا كانَ ضَيْفُهُ قَدْ لَحِقَهُ أذًى : « كَيْفَ حالُ هَذا المَجْنونِ ؟»

أجابَ : « أرْجو أنْ تَكونَ فَخامَتُكُمْ سَليماً وَفي مَأمَنٍ !»

« نَعَمْ ! أنا بِخَيْرٍ تَماماً ، وَسَليمٌ تَماماً . ماذا صارَتْ إلَيْهِ حالُ ذَلِكَ المُتَهَوِّرِ الأرْعَنِ ؟»

أجابَ صاحِبُ الفُنْدُقِ : « إنَّهُ أحْسَنُ حالاً . أغْمِيَ عَلَيْهِ فَقَطْ .»

قالَ السَّيِّدُ : « أ صَحيحٌ ما تَقولُ ؟»

« وَلَكِنَّهُ اسْتَجْمَعَ كُلَّ قُواهُ ، قَبْلَ أنْ يَفْقِدَ وَعْيَهُ مُباشَرَةً ، مُعْلِناً نِزالَكَ وَتَحَدِّيكَ ، قائِلاً إنَّهُ لَوْ حَدَثَ مِثْلُ ذَلِكَ الشَّيْءِ في باريس ، لَجَعَلَكَ تَنْدَمُ عَلَيْهِ أشَدَّ النَّدَمِ .»

قالَ السَّيِّدُ : « إذاً ، فَلا بُدَّ أنْ يَكونَ أميراً مُتَنَكِّراً . أ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ أحَدٍ ، أثْناءَ غَضَبِهِ ؟»

« بَلى . تَحَسَّسَ جَيْبَهُ وَقالَ سَنَرى ماذا يَكونُ رَدُّ فِعْلِ السَّيِّدِ دي تريڤي عَنْ هَذِهِ الإهانَةِ الَّتي لَحِقَتْ شَخْصاً في حِمايَتِهِ .»

رَدَّدَ الرَّجُلُ المَجْهولُ بِاهْتِمامٍ : « السَّيِّدُ دي تريڤي !» وَ وَضَعَ يَدَهُ عَلى جَيْبِهِ وَهُوَ يَنْطِقُ بِاسْمِ السَّيِّدِ دي تريڤي ، ثُمَّ أضافَ : « وَالآنَ ، يا عَزيزي ، ما دامَ هَذا الرَّجُلُ الصَّغيرُ فاقِداً الإحْساسَ ، فَمِنَ المُؤَكَّدِ أنَّكَ لَمْ تَفْشَلْ في مَعْرِفَةِ ما في جَيْبِهِ . ماذا كانَ بِهِ ؟»

« خِطابٌ مُوَجَّهٌ إلى السَّيِّدِ دي تريڤي قائِدِ الفُرْسانِ .»

تَمْتَمَ الرَّجُلُ قائِلاً : « مَنْ يَدْري ، رُبَّما أرْسَلَ تريڤي هَذا الغَسْقونِيَّ الصَّغيرَ لِيَعْتَدِيَ عَلَيَّ ! إنَّهُ أصْغَرُ مِنْ أنْ يَفْعَلَ هَذا ، وَلَكِنَّ ضَرْبَةَ السَّيْفِ هِيَ ضَرْبَةُ السَّيْفِ ، مَهْما تَكُنْ سِنُّ الضّارِبِ ! وَعِلاوَةً عَلى هَذا ، فَإنَّ الشّابَّ أقَلُّ عُرْضَةً لأنْ يُشْتَبَهَ فيهِ مِنَ الرَّجُلِ الكَبيرِ .»

بَعْدَ ذَلِكَ ، بَقِيَ يُفَكِّرُ مَلِيًّا لِبِضْعِ لَحَظاتٍ ، ثُمَّ قالَ : « أَ لا يُمْكِنُكَ أَنْ تَتَخَلَّصَ مِنْ هَذا الفَتى المَجْنونِ ؟ الحَقيقَةُ أَنَّني لا أَسْتَطيعُ أَنْ أَقْتُلَهُ ، وَلَكِنَّهُ يُضايِقُني . أَيْنَ هُوَ ؟ »

« في حَجْرَةٍ بِالدَّوْرِ الأَوَّلِ ، حَيْثُ تُضَمَّدُ جِراحُهُ . »

« هَلْ مَعَهُ أَشْياؤُهُ وَحَقيبَتُهُ ؟ هَلْ خَلَعَ صِدارَهُ ؟ »

« كُلُّ شَيْءٍ في المَطْبَخِ . وَلَكِنْ إِذا كانَ يُضايِقُكَ هَذا الفَتى الأَرْعَنُ ... ! »

« مِنَ المُؤَكَّدِ جِدًّا أَنَّهُ يُضايِقُني ؛ فَقَدْ أَحْدَثَ اضْطِراباً في فُنْدُقِكَ ، وَالنّاسُ المُحْتَرَمونَ لا يُحِبّونَ ذَلِكَ . اذْهَبْ ، وَأَعِدَّ فاتورَتي ، وَأَخْبِرْ بِها خادِمي . »

« ماذا ، يا صاحِبَ الفَخامَةِ ؟ هَلْ سَتَتْرُكُنا هَكَذا سَريعاً ؟ »

« كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّني سَأَنْصَرِفُ ؛ إِذْ أَعْطَيْتُ الأَوامِرَ بِإِسْراجِ حِصاني ، أَلَمْ تُنَفَّذْ ؟ »

« نُفِّذَتْ أَوامِرُكَ حَرْفِيًّا ، كَما قَدْ تَكونُ فَخامَتُكَ قَدْ لاحَظْتَ ، وَحِصانُكَ في المَمَرِّ أَمامَ البابِ ، وَعَلَيْهِ السَّرْجُ . »

« إِذاً ، أَحْضِرْ فاتورَتي . »

اِنْحَنى صاحِبُ الفُنْدُقِ بِتَواضُعٍ إِثْرَ لَمْحَةٍ آمِرَةٍ مِنَ السَّيِّدِ ، وَغادَرَ الحُجْرَةَ .

تَمْتَمَ الغَريبُ لِنَفْسِهِ قائِلاً : « لَيْسَ مِنَ الضَّرورِيِّ أَنْ يَرى هَذا الشَّخْصُ ميلادي ، إِذْ سَرْعانَ ما سَتَكونُ هُنا . لَقَدْ تَأَخَّرَتْ فِعْلاً . مِنَ الأَفْضَلِ أَنْ أَمْتَطِيَ الحِصانَ وَأُسْرِعَ لِمُلاقاتِها . وَلَكِنِّي أَوَدُّ أَنْ أَعْرِفَ ماذا يَحْويهِ الخِطابُ المُوَجَّهُ إِلى السَّيِّدِ دي تريفي . » ثُمَّ سارَ بِبُطْءٍ نَحْوَ المَطْبَخِ .

في الوَقْتِ نَفْسِهِ ، صَعِدَ صاحِبُ الفُنْدُقِ إِلى دارتانيان ، فَوَجَدَهُ قَدِ اسْتَعادَ وَعْيَهُ لِتَوِّهِ ، فَأَخْبَرَهُ بِأَنَّ الشُّرْطَةَ سَتُعامِلُهُ بِقَسْوَةٍ لِعِراكِهِ مَعَ لورْدٍ عَظيمٍ – إِذْ يَبْدو مِنْ هَيْئَةِ الرَّجُلِ أَنَّهُ لا يُمْكِنُ أَنْ يَكونَ سِوى لورْدٍ عَظيمٍ – وَأَصَرَّ عَلى وُجوبِ انْصِرافِ دارتانيان بِأَسْرَعِ ما يُمْكِنُ. وَنَزَلَ دارتانيان وَهُوَ لا يَزالُ شِبْهَ فاقِدٍ لِلْوَعْيِ ، وَرَأْسُهُ مُضَمَّدٌ ، إِلى الطّابَقِ الأَرْضِيِّ . وَلَمّا أَطَلَّ مِنَ النّافِذَةِ ، أَبْصَرَ السَّيِّدَ المَجْهولَ يَتَحَدَّثُ بِهُدوءٍ إِلى شَخْصٍ ما في عَرَبَةٍ يَجُرُّها حِصانانِ جَميلانِ .

وَأَمْكَنَهُ أَنْ يَرى الشَّخْصَ الَّذي كانَ يَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ الرَّجُلُ المَجْهولُ ، رَآهُ بِوُضوحٍ مِنْ خِلالِ نافِذَةِ العَرَبَةِ . كانَتِ امْرَأَةً مِنَ الطَّبَقَةِ الرّاقِيَةِ ، في حَوالى الثّانِيَةِ وَالعِشْرينَ مِنْ عُمْرِها . رَأى

دارتانيان ، في لَحْظَةٍ ، أنَّ هَذِهِ المَرْأَةَ شَديدَةُ الحُسْنِ ؛ بَيْضاءُ البَشَرَةِ ، تَتدلَّى على كَتِفَيْها خُصْلاتُ شَعْرٍ مُسْتَرْسِلَةٍ ، ذاتُ عَيْنَيْنِ نَجلاوَيْنِ زَرقاوَيْنِ حالِمَتَيْنِ ، وَشَفَتاها وَرْدِيَّتانِ ، وَيَداها بَضَّتانِ ناعِمَتانِ . كانَتْ تَتحدَّثُ إلى الرَّجُلِ المَجْهولِ بِطَريقَةٍ عَصَبِيَّةٍ .

قالَتِ السَّيِّدَةُ : « إذاً ، فَإنَّ فَخامَتَهُ يَأْمُرُني ... »

« بِأنْ تَعودي فَوْراً إلى إنْجِلْترا ، يا ميلادي ، وَتُخْطِريهِ مُباشَرَةً بِأنْ يُغادِرَ دوقُ بَكِنْجهام لَنْدَنْ . »

سَأَلَتِ المُرْتَحِلَةُ الحَسْناءُ : « وَفيما يَخْتَصُّ بِتَعْليماتي الأخْرى ؟ »

« يَضُمُّها هَذا الصُّنْدوقُ ، الَّذي يَجِبُ ألا تَفْتَحيهِ حَتَّى تَصِلي إلى إنْجِلْترا . »

« حَسَنٌ جِدًّا . وَأَنْتَ ماذا سَتَفْعَلُ ؟ »

« سأعودُ إلى باريس . »

سَأَلَتِ السَّيِّدَةُ : « ماذا ؟ أ لَنْ تُعاقِبَ أوَّلاً هَذا الغُلامَ الوَقِحَ ؟ »

في اللَّحْظَةِ نَفْسِها ، الَّتي كانَ الرَّجُلُ المَجْهولُ سَيُجيبُ عَلَيْها ، انْدَفَعَ دارتانيان خارِجاً ، وَقَدْ سَمِعَ ما قالَتْهُ ، فَصاحَ قائِلاً : « هَذا الغُلامُ الوَقِحُ هُوَ الَّذي يُعاقِبُ غَيْرَهُ ، وَآمُلُ في هَذِهِ المَرَّةِ ، ألا يُفْلِتَ

مِثْلَما أفْلَتَ مِنْ قَبْلُ . »

رَدَّدَ الرَّجُلُ المَجْهولُ عابِساً : « لَنْ يُفْلِتَ مِنْهُ ؟ »

« لَنْ يُفْلِتَ ؛ إذْ أعْتَقِدُ أنهُ لَنْ يَجْرُؤَ عَلى الفِرارِ أمامَ امْرَأةٍ ! »

قالَتْ ميلادي لِلرَّجُلِ المَجْهولِ ، وَهُوَ يَضَعُ يَدَهُ عَلى مِقْبَضِ سَيْفِهِ : « تَذَكَّرْ أنَّ أقَلَّ تَأخيرٍ سَيُفْسِدُ كُلَّ شَيْءٍ . »

صاحَ الرَّجُلُ : « أنْتِ عَلى حَقٍّ . انْصَرِفي الآنَ في طَريقِكِ ، وَسَأذْهَبُ أنا في طَريقي بِأسْرَعِ ما يُمْكِنُني . » وَانْحَنى لِلسَّيِّدَةِ ، ثُمَّ قَفَزَ إلى سَرْجِهِ ، فانْصَرَفَتْ عَرَبَتُها عَلى الفَوْرِ .

وَهكَذا افْتَرَقَ المُتَكَلِّمانِ مُتَّخِذَيْنِ جِهَتَيْنِ مُتَضادَّتَيْنِ بِأسْرَعِ ما في مُكْنَتِهِما .

صاحَ صاحِبُ الفُنْدُقِ ، الَّذي تَغيَّرَ رَأْيُهُ في ذَلِكَ المُرْتَحِلِ عِنْدَما أبْصَرَهُ يَنْصَرِفُ دونَ أنْ يُسَدِّدَ حِسابَهُ ، قائِلاً : « الحِسابُ ! »

قالَ الرَّجُلُ المَجْهولُ لِخادِمِهِ : « ادْفَعْ لَهُ ! »

وَ ألْقى الخادِمُ بِعِدَّةِ قِطَعٍ مِنَ النُّقودِ الفِضِّيَّةِ إلى صاحِبِ الفُنْدُقِ ، وَأسْرَعَ يَرْكُضُ بِحِصانِهِ خَلْفَ سَيِّدِهِ .

صاحَ دارتانيان وَهُوَ يَقْفِزُ إلى الأمامِ : « أيُّها الجَبانُ ! أيُّها السَّيِّدُ

الزّائفُ !» وعِنْدَ ذَلِكَ أَنْهَكَهُ جُرْحُهُ ، فما كادَ يَسيرُ عَشْرَ خُطُواتٍ حَتّى أُغْمِيَ عَلَيْهِ مَرَّةً أُخْرى ، وَسَقَطَ في الشّارِعِ وَهُوَ لا يَزالُ يَصيحُ : « أَيُّها الجَبانُ ! أَيُّها الجَبانُ !»

عَقَّبَ صاحِبُ الفُنْدُقِ قائِلاً : « الحَقُّ مَعَكَ ، فَهُوَ في الحَقيقةِ جَبانٌ !» ، ظانًّا أَنَّ قَليلاً مِنَ التَّمَلُّقِ لَنْ يُضيرَهُ شَيْئًا .

وَهَمَسَ دارتانيان : « نَعَمْ ، إِنَّهُ لَجَبانٌ ، وَلكِنَّها – هِيَ جَميلَةٌ جِدًّا !»

سَأَلَهُ صاحِبُ الفُنْدُقِ : « مَنْ تَكونُ هِيَ ؟»

قالَ دارتانيان وَهُوَ يُغْمى عَلَيْهِ : « ميلادي .»

الفصل الرابع

بَحْثُ دارتانيان عَبَثًا عَنْ خِطابِ التَّوْصِيَةِ يُوحي لِصاحِبِ الفُنْدُقِ بِفِكْرَة

في الصَّباحِ التّالي ، وُضِعَتْ ضِماداتٌ جَديدَةٌ لِجِراحِ دارتانيان . وَلا شَكَّ أَنَّهُ بِفَضْلِ شَبابِهِ ، وَرُبَّما أَيْضًا لِعَدَمِ وُجودِ طَبيبٍ ، أَخَذَ يَتَجَوَّلُ في ذَلِكَ المَساءِ ، واسْتَرَدَّ عافِيَتَهُ في اليَوْمِ التّالي . وَعِنْدَما حانَ وَقْتُ سَدادِ فاتورَتِهِ ، كانَ المَبْلَغُ الوَحيدُ المَدينُ بِهِ لِلْفُنْدُقِ ، هُوَ أَجْرَ حُجْرَتِهِ ، مَعَ وَجْبَةٍ واحِدَةٍ ، بِالإِضافَةِ إِلى أَجْرِ الضِّماداتِ . وَمِنْ ناحِيَةٍ أُخْرى ، تَبَعًا لِقَوْلِ صاحِبِ الفُنْدُقِ ، أَكَلَ حِصانُهُ ثَلاثَةَ أَضْعافِ ما يَسْتَطيعُ حِصانٌ آخَرُ مِنْ نَفْسِ حَجْمِهِ أَنْ يَأْكُلَ عادَةً . وَلَمْ يَجِدْ دارتانيان شَيْئًا في جُيوبِهِ ، بِاسْتِثْناءِ نُقودِهِ . أَمّا الخِطابُ المُوَجَّهُ لِلسَّيِّدِ دي تريفي ، فَقَدِ اخْتَفى !

وَراحَ يَبْحَثُ عَنِ الخِطابِ بِصَبْرٍ عَظيمٍ ؛ وَأَفْرَغَ جُيوبَهُ وَبَحَثَ في حَقيبَتِهِ مِرارًا . وَلَمّا أَدْرَكَ أَخيرًا أَنَّهُ لَنْ يَعْثُرَ عَلى الخِطابِ ، اسْتَشاطَ

غَضَبًا وثارَ . وعِنْدَما رأى صاحِبُ الفُنْدُقِ أنَّ ذَلِكَ الشابَّ المُتَسَرِّعَ الأرْعَنَ سَيُحَطِّمُ كُلَّ شَيْءٍ في الفُنْدُقِ ، إنْ لَمْ يَجِدْ خِطابَهُ ، أمْسَكَ بِقَضيبٍ حَديديٍّ ، وَأمْسَكَتْ زَوْجَتُهُ بِيَدِ مِكْنَسَةٍ ، وأمْسَكَ الخَدَمُ بالعِصِيِّ الَّتي اسْتَخْدَموها في اليَوْمِ السَّابِقِ .

صاحَ دارتانيان قائِلاً : « خِطابُ التَّوْصِيَةِ الخاصُّ بي ! خِطابَ التَّوْصِيَةِ ، وإلاّ فإنَّني أُقْسِمُ أنَّني سأُمَزِّقُكُمْ جميعاً إرْبًا إرْبًا ! »

وَلِسوءِ الحَظِّ ، كانَتْ ثَمَّةَ عَقَبَةٌ كَؤودٌ تَحولُ دونَ تَنْفيذِ هَذا التَّهْديدِ ؛ فإنَّ سَيْفَ دارتانيان قَدْ كُسِرَ نِصْفَيْنِ ، ونَسِيَ هُوَ هَذِهِ الحَقيقَةَ . وَلِذَلِكَ ، فَعِنْدَما اسْتَلَّهُ وَجَدَ نَفْسَهُ مُسَلَّحًا بِقِطْعَةٍ مِنْ سَيْفٍ طولُها حَوالى عِشْرينَ سَنْتيمِتْرًا ، كانَ صاحِبُ الفُنْدُقِ قَدْ وَضَعَها بِعِنايَةٍ في غِمْدِ السَّيْفِ . وَما كانَ لِهَذا الأمْرِ أنْ يوقِفَ ذَلِكَ الشّابَّ المُتَهَوِّرَ ، لَوْلا ما أعْلَنَهُ صاحِبُ الفُنْدُقِ ، بِأنَّ طَلَبَ الخِطابِ مِنْهُمْ لَيْسَ عادِلاً تَماماً .

قالَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَخْفِضُ القَضيبَ الحَديديَّ : « دَعْنا نُفَكِّرْ مَعاً أيْنَ هَذا الخِطابُ . »

صاحَ دارتانيان مُعَقِّبًا : « نَعَمْ ، أيْنَ هُوَ ؟ إنّي أُحَذِّرُكُمْ بِأنَّ ذَلِكَ الخِطابَ مُوَجَّهٌ لِلسَّيِّدِ دي تريفي ، وَيَجِبُ العُثورُ عَلَيْهِ . فإنْ

لَمْ يُعْثَرْ عَلَيْهِ ، فَسَيَعْرِفُ هُوَ كَيْفَ يَعْثُرُ عَلَيْهِ . أَعِدُكُمْ بِذَلِكَ ! »

حَفَزَ هَذا التَّهْديدُ صاحِبَ الفُنْدُقِ لِلتَّحَرُّكِ إلى العَمَلِ ؛ فألْقى بِالقَضيبِ الحَديديِّ مِنْ يَدِهِ ، وَأمَرَ زَوْجَتَهُ بِأنْ تَفْعَلَ نَفْسَ الشَّيْءِ بِيَدِ المِكْنَسَةِ ، وَالخَدَمَ بِعِصِيِّهِمْ ، وَبَدَأ يَبْحَثُ بِجِدِّيَّةٍ عَنِ الخِطابِ . وَرَغْمَ ذَلِكَ ، فَلَمْ يَمْضِ وَقْتٌ طَويلٌ ، حَتّى تَذَكَّرَ شَيْئًا هامًّا ، فَصاحَ فَجْأةً : « الخِطابُ لَمْ يَضِعْ . »

قالَ دارتانيان دَهِشًا : « ماذا ؟ »

« نَعَمْ ، بَلْ سُرِقَ مِنْكَ . »

« سُرِقَ ؟ وَمَنْ سَرَقَهُ ؟ »

« سَرَقَهُ ذَلِكَ السَّيِّدُ الَّذي كانَ هُنا بِالأمْسِ . نَزَلَ إلى هَذِهِ الحُجْرَةِ الَّتي تَرَكْتَ فيها صِدارَكَ ، وَمَكَثَ فيها بَعْضَ الوَقْتِ . ولا بُدَّ أنَّهُ سَرَقَهُ . »

قالَ دارتانيان وَهُوَ لا يَزالُ غَيْرَ مُقْتَنِعٍ : « أتَظُنُّ ذَلِكَ ؟ »

اسْتَطْرَدَ صاحِبُ الفُنْدُقِ قائِلاً : « أقولُ لَكَ إنَّني مُتَأكِّدٌ مِنْ هَذا تَماماً ؛ فَعِنْدَما أخْبَرْتُهُ بِأنَّ سِيادَتَكُمْ في حِمايَةِ السَّيِّدِ دي تريفي ، وَأنَّكَ تَحْمِلُ لِذَلِكَ الشَّخْصِ النَّبيلِ خِطاباً ، بَدا عَلَيْهِ القَلَقُ

الشَّديدُ ؛ وَسَأَلَ عَنْ مَكانِ الخِطابِ . وَبَعْدَها مُباشَرَةً نَزَلَ إلى حَيْثُ تَرَكْتَ صِدارَكَ وَأَشْياءَكَ .»

قالَ دارتانيان : « إذاً فَلا شَكَّ في أَنَّهُ هُوَ اللِّصُّ . سَأَشْكو إلى السَّيِّدِ دي تريڤي ، وَسَيَشْكو هُوَ بِدَوْرِهِ إلى المَلِكِ .» ثُمَّ أَخْرَجَ كراونَيْنِ ، بِعَظَمَةٍ ، مِنْ كيسِ نُقودِهِ ، وَأَعْطاهُما لِصاحِبِ الفُنْدُقِ ، الَّذي رافَقَهُ إلى بابِ الفُنْدُقِ وَالقُبَّعَةُ في يَدِهِ .

اِمْتَطى دارتانيان ، مِنْ جَديدٍ ، صَهْوَةَ جَوادِهِ الأَصْفَرِ اللَّوْنِ ، الَّذي حَمَلَهُ بِدَوْرِهِ إلى باريس ، وَهُناكَ باعَ حِصانَهُ بِثَلاثَةِ كراوناتٍ . وَهَذا يُعْتَبَرُ ثَمَناً طَيِّباً لِلْغايَةِ . وَهكَذا دَخَلَ هَذا المُغامِرُ الشّابُّ باريس عَلى قَدَمَيْهِ ، حامِلاً مُتَعَلِّقاتِهِ القَليلَةَ في حَقيبَةٍ تَحْتَ إِبْطِهِ .

وَبَعْدَ بَحْثٍ غَيْرِ طَويلٍ ، وَجَدَ شَقَّةً لِلإيجارِ بِسِعْرٍ يُناسِبُ مالِيَّتَهُ المَحْدودَةَ . بَعْدَ ذَلِكَ ، ذَهَبَ لِيَصْنَعَ نَصْلاً جَديداً لِسَيْفِهِ . وَفي طَريقِ عَوْدَتِهِ ، سَأَلَ أَوَّلَ فارِسٍ أَبْصَرَهُ عَنْ مَقَرِّ السَّيِّدِ دي تريڤي الرَّئيسِيِّ ، وَالَّذي اتَّضَحَ أَنَّهُ قَريبٌ مِنَ المَسْكَنِ الَّذي اسْتَأْجَرَهُ .

وَإِذْ كانَ مُقْتَنِعاً بَعْدَ ذَلِكَ بِالطَّريقَةِ الَّتي سَلَكَها إلى مِيونْغ ، دونَ أَسَفٍ عَلى ما مَضى ، و واثِقاً بِالحاضِرِ ، وَمُفْعَماً بِالأَمَلِ في المُسْتَقْبَلِ ، فَقَدْ أَوى إلى فِراشِهِ ، وَنامَ نَوْمَةَ المِقْدامِ .

الفصلُ الخامس

إعْجابُ دارتانيان بِطُرُقِ اسْتِخْدامِ السَّيْفِ فوقَ السُّلَّمِ ، وَإِعْجابُهُ بِحِمالَةِ سَيْفٍ

كانَ فُرْسانُ المَلِكِ جَماعَةً مِنَ الرِّجالِ البَواسِلِ المُسْتَهْتَرينَ غَيْرِ المُهَذَّبينَ تَماماً ، وَعلى اسْتِعْدادٍ لِمُواجَهَةِ أَيِّ شَخْصٍ ، فيما عَدا رَئيسَهُمُ السَّيِّدَ دي تريڤي . كانوا يُشاهَدونَ في كُلِّ مَكانٍ يَضْحَكونَ وَيَتَكَلَّمونَ بِأَصْواتٍ صاخِبَةٍ ، وَيَفْتِلونَ شَوارِبَهُمْ ، وَيَصِلُّونَ سُيوفَهُمْ . وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ ، كانَ يَحْلو لَهُمْ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ أَنْ يَتَحَرَّشوا بِحَرَسِ الكارْدينالِ ، حينَ يَلْتَقونَهُمْ بِمَحْضِ الصُّدْفَةِ . وَلَمْ يَهْتَمَّ أُولَئِكَ الرِّجالُ بِالقانونِ في قَليلٍ أَوْ كَثيرٍ ، وَكانوا دائِماً في قِتالٍ وَنِزالٍ . يُقْتَلونَ أَحْياناً ، وَلَكِنَّهُمْ في أَغْلَبِ الأَحْيانِ يَقْتُلونَ . وَكانُوا عَلى يَقينٍ مِنْ عَدَمِ بَقائِهِمْ في السِّجْنِ ؛ إِذْ إِنَّ هُناكَ السَّيِّدَ دي تريڤي الَّذي يَعْمَلُ عَلى إِطْلاقِ سَراحِهِمْ في الحالِ .

كانَ هَؤلاءِ الرِّجالُ يُقَدِّسونَ السَّيِّدَ دي تريڤي ، وَيَمْدَحونَهُ مَديحاً

يكادُ يَصِلُ إلى عَنانِ السَّماءِ . ورَغْمَ كَوْنِهِمْ لا يهابونَ أحداً ،
فَإنَّهُمْ كانوا يُطيعونَ أيَّ أمْرٍ يَتَفَوَّهُ بِهِ السَّيِّدُ دي تريڤي ، وَعلى
اسْتِعْدادٍ تامٍّ لِلتَّضْحِيَةِ بِالنَّفْسِ وَالنَّفيسِ لِغَسْلِ أقَلِّ إهانَةٍ تَلْحَقُ بِهِ أوْ
بِالفُرْسانِ تَحْتَ إمْرَتِهِ . وكانَ مَقَرُّ السَّيِّدِ دي تريڤي في باريس ،
يُشْبِهُ مُعَسْكَراً مُسَلَّحاً في جميعِ الأوْقاتِ . كانَ بِهِ على الدَّوامِ
خَمْسونَ أوْ سِتّونَ فارِساً مُجْتَمِعينَ في الفِناءِ وَفي المَمَرّاتِ . وكانوا
يَتَناوَبونَ الحِراسَةَ فيما بَيْنَهُمْ أثْناءَ فَتْرَةِ راحَتِهِمْ في القَصْرِ ؛ لِيُظْهِروا
قُواهُمْ في اسْتِعْراضٍ عظيمٍ قَدْرَ الإمْكانِ . يَسيرونَ في كِبْرِياءَ
وَخُيَلاءَ ، مُدَجَّجينَ بِالسِّلاحِ ، ومُسْتَعِدّينَ لأيِّ شَيْءٍ .

لَمّا قَدِمَ دارتانيان نَفْسُهُ ، كانَ المَجْلِسُ مُهَيَّئاً بِعَظَمَةٍ غيرِ عادِيَّةٍ ،
كَأنَّ شَخْصِيَّةً عَظيمَةً سَتَزورُ السَّيِّدَ دي تريڤي ؛ فَلَمّا اجْتازَ دارتانيان
المَدْخَلَ الضَّخْمَ ذا الأبْوابِ الكَبيرَةِ المُغَطّاةِ بِالمَساميرِ المُرَبَّعَةِ
الرُّءوسِ ، وَجَدَ نَفْسَهُ وَسْطَ عَدَدٍ مِنَ السَّيّافينَ ، يَمْزَحونَ ويَتَشاجَرونَ
بِمَرَحٍ ، كُلُّ واحِدٍ مَعَ الآخَرِ ، وَهُمْ لا يُفْسِحونَ الطَّريقَ لأيِّ
شَخْصٍ إلّا إذا كانَ ضابِطاً أوْ نَبيلاً أوْ سَيِّدَةً .

تَقَدَّمَ الشّابُّ وَسْطَ هَذِهِ الضَّوْضاءِ وَالفَوْضى الواضِحَةِ ، وَقَلْبُهُ
يَخْفِقُ . وَكُلَّما اجْتازَ جَماعَةً ، تَنَفَّسَ الصُّعَداءَ . ولكِنْ لَمْ يَسَعْهُ إلّا
أنْ يُلاحِظَ أنَّهُمْ كانوا يَرْمُقونَهُ بِمُتْعَةٍ ؛ فَأحَسَّ دارتانيان المَزْهُوُّ ، لأوَّلِ

مَرَّةٍ في حَياتِهِ ، بِشَيْءٍ مِنَ القَلَقِ . وَعِنْدَما بَلَغَ أوَّلَ السُّلَّمِ الرَّحْبِ
الضَّخْمِ ، زادَ قَلَقُهُ . كانَ ثَمَّةَ أرْبَعَةُ فُرْسانٍ يَتَسَلَّوْنَ بِألْعابِ
السُّيوفِ ، وَعَشَرَةُ فُرْسانٍ ، أوِ اثْنا عَشَرَ فارِساً ، كانوا عِنْدَ بِدايَةِ
السُّلَّمِ ، لِيَأْخُذوا دَوْرَهُمْ . وَقَفَ أحَدُ هَؤُلاءِ الأرْبَعَةِ عِنْدَ دَرَجَةِ
سُلَّمٍ عُلْيا مُشْهِراً سَيْفَهُ ، لِيَمْنَعَ أوْ لِيُحاوِلَ مَنْعَ الثَّلاثَةِ الآخَرينَ مِنَ
الصُّعودِ ، فَانْقَضَّ عَلَيْهِ الثَّلاثَةُ الآخَرونَ بِسُيوفِهِمُ المُشْرَعَةِ ، إلّا أنَّ
الفارِسَ الواقِفَ على دَرَجَةِ السُّلَّمِ العُلْيا ، أبْعَدَ عَنْهُ خُصومَهُ الثَّلاثَةَ ،
بِمَهارَةٍ فائِقَةٍ .

وَيَبْدو أنَّ القاعِدَةَ عِنْدَهُمْ تَنُصُّ على أنَّهُ إذا أُصيبَ رَجُلٌ ، خَطا
جانِباً ، وَحَلَّ مَحَلَّهُ آخَرُ . وَخِلالَ خَمْسِ دَقائِقَ ، جُرِحَ ثَلاثَةُ فُرْسانٍ
جُروحاً بَسيطَةً ، أحَدُهُمْ في يَدِهِ ، وَآخَرُ في ذَقَنِهِ ، وَثالِثٌ في أُذُنِهِ ،
بِواسِطَةِ الفارِسِ المُدافِعِ عَنِ السُّلَّمِ ، عَلى حينِ ظَلَّ هُوَ نَفْسُهُ دونَ أنْ
يَمَسَّهُ أذًى . لَمْ يَسْبِقْ لِدارتانيان أنْ شاهَدَ مِثْلَ هَذِهِ المَهارَةِ ، وَلا
مِثْلَ هَذِهِ الجُرْأةِ .

وَأخيراً لاحَظوهُ ، فَجاءَهُ رَسولٌ وَسَألَهُ عَمّا يُريدُ ، فَذَكَرَ اسْمَهُ
بِاحْتِشامٍ ، وَالْتَمَسَ مُقابَلَةً قَصيرَةً مَعَ السَّيِّدِ دي تريڤي ، فَوَعَدَهُ
الرَّسولُ بِتَوْصيلِ هَذِهِ الرِّسالَةِ إلى القائِدِ ، وَعِنْدَ ذاكَ ، غَدا دارتانيان
حُرّاً في أنْ يَتَطَلَّعَ إلى ما حَوْلَهُ . وَكانَ في وَسْطِ هَذِهِ الجَماعَةِ

البالِغَةَ النَّشاطِ وَالحَيَوِيَّةِ ، فارِسٌ يَبْدو عَلَيْهِ الغُرورُ ، فارِعُ الطُّولِ ، يَرْتَدي ثِيابَهُ بِطَريقَةٍ تَخْتَلِفُ عَنْ طُرُقِ الآخَرينَ ؛ لِجَذْبِ الانْتِباهِ العامِّ . لَمْ يَلْبَسْ هَذا الفارِسُ الزِّيَّ الرَّسْمِيَّ الَّذي يَرْتَديهِ الآخَرونَ ، وَإِنَّما كانَ يَلْبَسُ صِداراً أَزْرَقَ بِلَوْنِ السَّماءِ ، باهِتاً وَبالِياً بَعْضَ الشَّيْءِ ، وَفَوْقَهُ حِمالَةُ سَيْفٍ رائِعَةُ المَنْظَرِ ، مُطَرَّزَةٌ بِخُيوطٍ ذَهَبِيَّةٍ تَتَأَلَّقُ كَما يَتَأَلَّقُ الماءُ تَحْتَ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ ، وَيَتَدَلَّى مِنْ كَتِفَيْهِ العَريضَتَيْنِ مِعْطَفٌ طَويلٌ مِنَ القَطيفَةِ القِرْمِزِيَّةِ اللَّوْنِ ، مَفْتوحٌ مِنَ الأَمامِ لِيُبَيِّنَ الحِمالَةَ الَّتي يَتَدَلَّى مِنْها أَضْخَمُ سَيْفٍ رَآهُ دارتانيان في حَياتِهِ .

وَيَبْدو أَنَّ هَذا الفارِسَ انْفَصَلَ حَديثاً مِنْ حَرَسِ القَصْرِ . وَكانَ يُعاني مِنْ نَزْلَةِ بَرْدٍ ، وَيَسْعُلُ مِنْ آنٍ لآخَرَ لِيُبَرْهِنَ عَلى إِصابَتِهِ بِالبَرْدِ . وَأَخْبَرَ مَنْ حَوْلَهُ بِأَنَّهُ ارْتَدى المِعْطَفَ لِيَدْرَأَ هَذا البَرْدَ عَنْهُ . وَبَيْنَما هُوَ يَتَكَلَّمُ هَكَذا بِلَهْجَةِ ازْدِراءٍ ، وَيَفْتِلُ شارِبَهُ في خُيَلاءَ ، أَبْدى الجَميعُ إِعْجابَهُمْ بِحِمالَةِ سَيْفِهِ المُزَخْرَفَةِ في إِفْراطٍ ، كَما أُعْجِبَ بِها دارتانيان أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ .

قالَ المَدْعُوُّ بورثوس : « أُقْسِمُ بِشَرَفي أَنَّني اشْتَرَيْتُها بِنَفْسي ، بِكُلِّ ما كانَ في كيسِ نُقودي ! »

عَقَّبَ أَحَدُ الفُرْسانِ مُتَهَكِّماً : « رُبَّما ؛ فَقَدِ اشْتَرَيْتُ أَنا كيسَ النُّقودِ هَذا بِنَفْسِ الطَّريقَةِ ، بِكُلِّ النُّقودِ الَّتي وَضَعَها شَخْصٌ آخَرُ

في كيسِ نُقودِيَ القَديمِ ! »

قالَ بورثوس : « هَذا حَقيقِيٌّ ، وَالدَّليلُ عَلى ذَلِكَ أَنَّني دَفَعْتُ فيهِ اثْنَيْ عَشَرَ بستولاً [١] ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ، يا أراميس ؟ » وَاسْتَدارَ ، وَهُوَ يَتَكَلَّمُ ، نَحْوَ فارِسٍ آخَرَ . وَكانَ هَذا الفارِسُ الَّذي اسْتَشْهَدَ بِهِ لِيُصَدِّقَ عَلى قَوْلِهِ ، عَلى نَقيضِ بورثوس تَماماً ؛ فَهُوَ شابٌّ في حَوالى الثَّالِثَةِ وَالعِشْرينَ مِنْ عُمْرِهِ ، قَلَّما يَتَكَلَّمُ ، وَإِذا تَكَلَّمَ فَبِبُطْءٍ وَفي هُدوءٍ ، وَكَثيراً ما كانَ يَنْحَني احْتِراماً لِغَيْرِهِ بِطَريقَةٍ نَبيلَةٍ تَدُلُّ عَلى حُسْنِ التَّرْبِيَةِ . أَجابَ عَلى اسْتِشْهادِ صَديقِهِ بِهِ ، بِإيماءَةٍ مِنْ رَأْسِهِ ، رَغْمَ أَنَّهُ مِنَ المَشْكوكِ فيهِ أَنَّهُ قَدْ أَصْغى أَساساً إِلى كَلامِ بورثوس .

وَعَلى ما يَبْدو فَإِنَّ هَذا التَّصْديقَ قَدْ أَزالَ جَميعَ الشُّكوكِ عَنْ أَصْلِ حِمالَةِ السَّيْفِ الفاخِرَةِ . وَرَغْمَ أَنَّ الفُرْسانَ لَمْ يَزالوا يُعْجَبونَ بِها ، فَقَدِ انْتَقَلَ الحَديثُ إِلى مَوْضوعاتٍ أُخْرى .

بَعْدَ ذَلِكَ بِوَقْتٍ قَصيرٍ ، خَرَجَ رَسولٌ مِنْ مَكْتَبِ السَّيِّدِ دي تريڤي ، وَصاحَ قائِلاً : « السَّيِّدُ دي تريڤي يَنْتَظِرُ السَّيِّدَ دارتانيان . »

عِنْدَ هَذا الإِعْلانِ ، الَّذي في أَثْنائِهِ بَقِيَ بابُ المَكْتَبِ مَفْتوحاً ، وَقَفَ الجَميعُ صامِتينَ . وَفي وَسَطِ هَذا السُّكونِ ، عَبَرَ ذَلِكَ الرَّجُلُ البَهْوَ بِطولِهِ ، وَدَخَلَ مَكْتَبَ قائِدِ الفُرْسانِ .

---

(١) البستول عملة إسبانية ذهبية قديمة ، تعادل ١٧ شلناً .

الفصل السادس

اسْتِقْبالُ دارتانيان اسْتِقْبالاً رَسْمِيًّا

وَسَماعُهُ أَكْثَرَ مِمّا كانَ مُتَوَقَّعًا أَنْ يَسْمَعَ

في تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، كانَ السَّيِّدُ دي تريڤي عَصَبِيَّ المِزاجِ ، إلّا أَنَّهُ رَحَّبَ بالشّابِّ دارتانيان في أَدَبٍ ، عَلى حينَ انْحَنى لَهُ دارتانيان انْحِناءَةً شَديدَةً . وَابْتَسَمَ السَّيِّدُ دي تريڤي عِنْدَ سَماعِهِ أولى كَلِماتِ دارتانيان ؛ فَقَدْ ذَكَّرَتْهُ طَريقَةُ الكَلامِ الغسقونِيَّةُ بِأَيّامِ صِباهُ ، وَبِمَوْطِنِهِ . وَلٰكِنَّهُ أَشارَ إِلَيْهِ بِأَنْ يَنْتَظِرَ لَحْظَةً ، وَخَطا نَحْوَ البابِ ، ونادى بِصَوْتٍ آمِرٍ مُرْتَفِعٍ : « آثوس ! پورثوس ! أراميس ! »

وَلَبّى فارِسانِ النِّداءَ في الحالِ ، وَتَرَكا زُمَلاءَهُما ، وأَسْرَعا إلى المَكْتَبِ .

أَخَذَ السَّيِّدُ دي تريڤي يَذْرَعُ أَرْضَ الحُجْرَةِ جيئَةً وَذَهابًا في صَمْتٍ ، وَقَدْ قَطَّبَ ما بَيْنَ جَبينِهِ . وَكانَ في كُلِّ مَرَّةٍ ، يَمُرُّ في صَمْتٍ أَمامَ پورثوس وَأراميس اللَّذَيْنِ وَقَفا مُنْتَصِبَيِ القامَةِ صامِتَيْنِ ،

وَكَأَنَّهُما تِمْثالانِ . ثُمَّ وَقَفَ فَجْأَةً أَمامَهُما تَمامًا ، وَشَرَعَ يَنْظُرُ إِلَيْهِما مِنْ رَأْسَيْهِما إلى أَخْمَصِ أَقْدامِهِما ، نَظْرَةً شَزْراءَ غاضِبَةً .

صاحَ قائِلاً : « أَ تَعْرِفانِ ماذا قالَ لِيَ المَلِكُ مَساءَ أَمْسِ فَقَطْ ؟ أَ تَعْرِفانِ ، يا سادَةُ ؟ »

أَجابَ الاثْنانِ بَعْدَ لَحْظَةِ سُكوتٍ : « لا ، يا سَيِّدي ، لا نَعْرِفُ . »

« أَخْبَرَني بِأَنَّهُ سَيَخْتارُ فُرْسانَهُ ، في المُسْتَقْبَلِ ، مِنْ بَيْنِ حَرَسِ الكارْدينالِ . »

شَرِقَ وَجْهُ الفارِسَيْنِ غَضَبًا مِنْ هٰذِهِ الإِهانَةِ . وَأَحَسَّ دارتانيان بِالقَلَقِ الشَّديدِ ، وَتَمَنّى لَوِ انْشَقَّتِ الأَرْضُ وَابْتَلَعَتْهُ .

اسْتَطْرَدَ السَّيِّدُ دي تريڤي كَلامَهُ بِغَضَبٍ وَحِدَّةٍ ، فَقالَ : « كانَ جَلالَتُهُ عَلى حَقٍّ ! فَبَيْنَما كُنْتُ أَلْعَبُ الشِّطْرَنْجَ مَعَهُ ، بِالأَمْسِ ، رَوى الكارْدينالُ كَيْفَ أَحْدَثْتُمُ اضْطِرابًا ، أَيُّها الفُرْسانُ المُسْتَهْتَرونَ ! أَنْتُمْ أَيُّها الثَّرْثارونَ ! وَظَنَنْتُهُ سَيُلْحِقُ بي إِهانَةً ، وَيَضْطَرُّ حَرَسُهُ إلى القَبْضِ عَلَيْكُمْ . يا لَرَحْمَةِ السَّماءِ ! لا بُدَّ أَنَّكُمْ تَعْرِفونَ شَيْئًا عَنْ هٰذا المَوْضوعِ . يَقْبِضونَ عَلى فُرْساني ! أَ لَمْ تَكونا هُناكَ ضِمْنَهُمْ . لا تُنْكِرا أَنَّكُما كُنْتُما هُناكَ ، لَقَدْ تَعَرَّفوا عَلَيْكُما ، وَذَكَرَ الكارْدينالُ

اسْمَيْكُما .

« وَأنْتَ ، يا أراميس ، لماذا ارْتَدَيْتَ الحُلَّةَ الرَّسْمِيَّةَ وَأنْتَ لا تَصْلُحُ إلّا لأنْ تُدَرِّسَ في مَدْرَسةٍ لِلصِّغارِ ؟ وأنْتَ ، يا بورثوس ، أ تُعلِّقُ في حِمالَتِكَ الجَميلةِ سَيْفاً مِنَ القَشِّ ؟ وَآثوس – لَسْتُ أرى آثوس ؟ أيْنَ هُوَ ؟»

أجابَ أراميس بِصَوْتٍ حَزينٍ : « إنَّهُ جِدُّ مَريضٍ يا سَيِّدي . مَريضٌ لِلْغايَةِ .»

« مَريضٌ ؟ أ تَقولُ مَريضٌ لِلْغايَةِ ؟»

أجابَ بورثوس : « يُخْشى أنْ يَكونَ كَذَلِكَ ، يا سَيِّدي .» قالَ هَذا وَهُوَ لا يَرْغَبُ في أنْ يَفوتَهُ الحَديثُ .

« مَريضٌ ! لا أُصَدِّقُ هَذا . مِنَ المُحْتَمَلِ جِدًّا أنَّهُ جُرِحَ – أو رُبَّما قُتِلَ . آهٍ لَوْ عَرَفْتُ !

« لا أُريدُكُمْ ، أيُّها السّادَةُ ، أنْ تَذْهَبوا كَثيراً إلى الحاناتِ ، وَلا أنْ تُحْدِثوا ذَلِكَ العِراكَ في الشَّوارِعِ ، وَلا أنْ تَسْتَخْدِموا السَّيْفَ وَسْطَ جُموعِ الشَّعْبِ . وَأخيراً ، لَنْ أسْمَحَ بِأنْ تُهَيِّئوا لِحَرَسِ الكارْدينالِ فُرْصَةَ السُّخْرِيَةِ مِنْكُمْ ! اِدْفَعوا عَنْ أنْفُسِكُمْ وَصْمَةَ الهُروبِ وَالفِرارِ؛ فَهَذا شَيْءٌ جَميلٌ يُقالُ عَنْ فُرْسانِ المَلِكِ –

فُرْساني .»

ارْتَجَفَ بورثوس وَأراميس غَضَباً لِهَذِهِ الإهانَةِ . كانَ بِوُسْعِهِما أنْ يَقْتُلا السَّيِّدَ دي تريفي ، لَوْ لَمْ يَعْرِفا مَحَبَّتَهُ العُظْمى لَهُمْ – لِفُرْسانِهِ. وَلَما سَمَحا لَهُ بِأنْ يُكَلِّمَهُمْ بِهَذِهِ الطَّريقَةِ .

اسْتَأنَفَ السَّيِّدُ دي تريفي كَلامَهُ وَهُوَ ثائِرٌ مِثْلَ جُنودِهِ ، فَقالَ :

« فَكِّروا في هَذا الأمْرِ . ماذا يَعْني أنْ يَقْبِضَ سِتَّةٌ مِنْ حَرَسِ الكارْدينالِ عَلى سِتَّةٍ مِنْ فُرْساني ؟ يا لَرَحْمَةِ السَّماءِ ! سَأذْهَبُ رَأساً إلى القَصْرِ وَأُقَدِّمُ اسْتِقالَتي لِلْمَلِكِ ، ثُمَّ أنْضَمُّ إلى حَرَسِ الكارْدينالِ (قالَها وَهُوَ يَنْظُرُ مُباشَرَةً إلى أراميس) وَإذا رَفَضَها ، فَسَأعْتَزِلُ !»

قالَ بورثوس ، وَهُوَ لا يَكادُ يَتَمالَكُ نَفْسَهُ : « حَسَنٌ يا سَيِّدي . حَقيقَةً ، كُنّا سِتَّةً ضِدَّ سِتَّةٍ ، وَلَكِنْ لَمْ يُقْبَضْ عَلَيْنا بِوَسائِلَ عادِلَةٍ ! لَقَدْ باغَتونا قَبْلَ أنْ نَسْتَلَّ سُيوفَنا ، فَقُتِلَ اثْنانِ مِنْ فَريقِنا ، وَجُرِحَ آثوس جُرْحاً بَليغاً . وَإنَّكَ لَتَعْرِفُ آثوس ، يا سَيِّدي ، فَهُوَ لَيْسَ جَباناً . وَلَكِنَّنا لَمْ نَسْتَسْلِمْ ، وَإنَّما جَرّونا بِالقُوَّةِ في الطَّريقِ ، وَرَغْمَ ذَلِكَ ، أمْكَنَنا أنْ نَهْرُبَ . وَقَدِ اعْتَقَدوا أنَّ آثوس قُتِلَ ، فَتَرَكوهُ ظانّينَ أنَّهُ لا يَسْتَحِقُّ مَشَقَّةَ حَمْلِهِ . هَذِهِ هِيَ القِصَّةُ كُلُّها . وَأنْتَ تُدْرِكُ ، يا سَيِّدي ، أنْ لَيْسَ بِوُسْعِ المَرْءِ أنْ يَكْسِبَ كُلَّ مَعارِكِهِ !»

قالَ أراميس : « بِمَقْدوري أنْ أُؤَكِّدَ لَكَ أنَّني قَتَلْتُ واحِداً مِنْهُمْ،

بِسَيْفِهِ هُوَ ، إِذْ كُسِرَ سَيْفي مِنْ أَوَّلِ ضَرْبَةٍ .»

قالَ السَّيِّدُ دي تريڤي بِلَهْجَةٍ أَقَلَّ حِدَّةً : « لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ ذَلِكَ . أَعْتَقِدُ أَنَّ الكارْدينالَ قَدْ بالَغَ كَما يَفْعَلُ دائِماً .»

قالَ أراميس : « وَلَكِنِّي أَرْجوكَ ، يا سَيِّدي ؛ أَلا تَذْكُرَ شَيْئاً عَنْ جُرْحِ آثوس ، فَقَدْ يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ اليَأْسُ إِنْ سَمِعَ المَلِكُ بِذَلِكَ ، فَالجُرْحُ بَليغٌ وَيُخْشى ...»

في تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، رُفِعَ السِّتارُ الَّذي يَحْجُبُ البابَ ، وَظَهَرَ وَجْهٌ نَبيلٌ وَأَنيقٌ ، وَلَكِنَّهُ شاحِبُ اللَّوْنِ بِصورَةٍ لافِتَةٍ .

صاحَ الفارِسانِ : « آثوس !»

صاحَ السَّيِّدُ دي تريڤي : « آثوس !»

قالَ آثوس لِلسَّيِّدِ دي تريڤي ، بِصَوْتٍ واهِنٍ ، وَلَكِنَّهُ كامِلُ الهُدوءِ : « أَ أَرْسَلْتَ في طَلَبي ، يا سَيِّدي ؟ لَقَدْ أَخْبَرَني رُفَقائي بِذَلِكَ ، فَهُرِعْتُ لأَتَلَقّى أَوامِرَكَ .» وَكانَ مُرْتَدِياً مَلابِسَهُ بِصورَةٍ صَحيحَةٍ ، وَدَخَلَ الغُرْفَةَ بِخُطًى وَئيدَةٍ .

وَإِذْ تَأَثَّرَ السَّيِّدُ دي تريڤي بِدَليلِ الشَّجاعَةِ وَالإِقْدامِ هَذا ، تَقَدَّمَ نَحْوَهُ وَقالَ : « كُنْتُ أوشِكُ عَلى إِخْبارِ هَذَيْنِ السَّيِّدَيْنِ بِأَنَّني أَحْظُرُ عَلى فُرْساني تَعْريضَ حَياتِهِمْ لِلْخَطَرِ بِغَيْرِ داعٍ ؛ فَالرِّجالُ الشُّجْعانُ

لَدَيْهِمْ مَكانَةٌ خاصَّةٌ عِنْدَ المَلِكِ ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ فُرْسانَهُ أَشْجَعُ رِجالٍ عَلى الأَرْضِ .»

كانَ تَأْثيرُ مَجيءِ آثوس قَوِيًّا عَلى الحُضورِ ، لِدَرَجَةِ أَنِ اجْتَمَعَ حَشْدٌ خارِجَ البابِ نِصْفِ المَفْتوحِ . وَرَغْمَ أَنَّ جَميعَ الفُرْسانِ يَعْلَمونَ بِجُرْحِهِ ، فَقَدِ احْتُفِظَ بِهِ سِرًّا عَلى الآخَرينَ ، قَدْرَ المُسْتَطاعِ . فَلَمّا سَمِعوا كَلِماتِ قائِدِ الفُرْسانِ الأَخيرَةَ ، لَمْ يَسْتَطيعوا كَبْتَ تَعْبيرِهِمْ عَنِ الرِّضا . وَلاحَتْ عِدَّةُ رُؤوسٍ مِنْ خَلْفِ السِّتارِ . وَكانَ السَّيِّدُ دي تريڤي موشِكاً عَلى أَنْ يَتَحَدَّثَ إِلَيْهِمْ بِغِلْظَةٍ ، لافْتِقارِهِمْ إِلى الأَدَبِ وَالنِّظامِ ، لَوْلا أَنَّ آثوس سَقَطَ عَلى الأَرْضِ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ .

صاحَ السَّيِّدُ دي تريڤي : « طَبيبٌ ! طَبيبي ! طَبيبُ المَلِكِ ! أَمْهَرُ طَبيبٍ يُمْكِنُ الحُصولُ عَلَيْهِ !»

وَانْدَفَعَ عَدَدٌ مِنَ الفُرْسانِ إِلى داخِلِ الغُرْفَةِ ، وَاحْتَشَدوا حَوْلَ الرَّجُلِ الجَريحِ . وَلِحُسْنِ الحَظِّ ، كانَ الطَّبيبُ المَطْلوبُ مَوْجوداً في ذَلِكَ المَبْنى ، فَشَقَّ طَريقَهُ وَسْطَ الجَمْعِ ، وَطَلَبَ نَقْلَ الفارِسِ إِلى حُجْرَةٍ أُخْرى . فَفَتَحَ السَّيِّدُ دي تريڤي باباً جانِبِيًّا ، وَأَشارَ إِلى بورْثوس وَأَراميس اللَّذَيْنِ حَمَلا زَميلَهُما في الحالِ .

عادَ بورْثوس وَأَراميس مُباشَرَةً ، تارِكَيْنِ الطَّبيبَ وَالسَّيِّدَ دي تريڤي ، وَحْدَهُما مَعَ آثوس .

بَعْدَ فَتْرَةٍ وَجيزَةٍ ، عادَ السَّيِّدُ دي تريڤي نَفْسُهُ ، وأخْبَرَهُمْ جميعاً بِأنَّ حالَةَ الفارِسِ مُطَمْئِنَةٌ ولَيْسَ فيها ما يَدْعو إلى القَلَقِ ، وأنَّ ضَعْفَهُ ، يَرْجِعُ بِبَساطَةٍ ، إلى ما فَقَدَهُ مِنْ دَمٍ .

أشارَ السَّيِّدُ دي تريڤي ، بَعْدَ ذَلِك بِيَدِهِ ، فَغادَرَ الجَميعُ المَكْتَبَ، ما عَدا دارتانيان الَّذي لَمْ يَنْسَ أنَّ لَدَيْهِ مُقابَلَةً رَسْمِيَّةً ، وَهَكَذا بَقِيَ في مكانِهِ بِعَزيمَةِ الرَّجُلِ الغَسْقونِيِّ .

الفصل السابع

دارتانيان يَتَلَقَّى نَصيحةً طَيِّبَةً مِنَ السَّيِّدِ دي تريڤي لكِنَّهُ لا يُعيرُها كَثيرَ التِفاتٍ

عِنْدَما خَرَجَ الجميعُ ، وَأُقْفِلَ البابُ ، استَدارَ السَّيِّدُ دي تريڤي ، فَوَجَدَ نَفْسَهُ وَحيداً مَعَ دارتانيان .

قالَ وَهُوَ يَبْتَسِمُ : « عَفْواً ! عَفْواً ، فَقَدْ نَسيتُكَ تَماماً . ماذا بِوُسْعي أنْ أفْعَلَ ؟ لَيْسَ القائِدُ بِأَقَلَّ مِنْ رَبِّ أُسْرَةٍ ، يَحْمِلُ مَسْؤولِيَّةً رُبَّما أكْثَرَ مِنْ مَسْؤولِيَّةِ أيِّ أُسْرَةٍ عادِيَّةٍ .»

ابْتَسَمَ دارتانيان ، فَحَكَمَ السَّيِّدُ دي تريڤي ، مِنْ هَذِهِ الابْتِسامَةِ ، عَلى أنَّ زائِرَهُ لَيْسَ غَبِيّاً . وَعَلى ذَلِكَ غَيَّرَ مَجْرى الحَديثِ ، وَدَخَلَ في المَوْضوعِ مُباشَرَةً .

قالَ : « إنَّني أحْتَرِمُ أباكَ كَثيراً ، فَماذا بِوُسْعي أنْ أفْعَلَ لِلابْنِ؟ أرْجوكَ أنْ تَتَكَلَّمَ سَريعاً ، فَوَقْتي لَيْسَ مِلْكاً لي .»

قالَ دارتانيان : « أتَيْتُ إلى هُنا ، يا سَيِّدي ، كَيْ أكونَ في زُمْرَةِ الفُرْسانِ . وَلكِنْ بَعْدَ كُلِّ ما رَأَيْتُ في هَذا الصَّباحِ ، فَإِنَّني أَرْتَجِفُ خَشْيَةَ ألا أكونَ جَديراً بِها . »

قالَ السَّيِّدُ دي تريفي : « حَسَنٌ ، أَيُّها الشّابُّ . إنَّها في الحَقيقَةِ خُطْوَةٌ ، وَلَكِنَّها قَدْ تَكونُ أَبْعَدَ مِنْ آمالِكَ ، عَلى عَكْسِ ما يَبْدو لَكَ . وَبالطَّبْعِ ، فَإِنَّ قَرارَ جَلالَتِهِ ضَروريٌّ دائِماً . وَلكِنْ يَجِبُ أَنْ تُبَرْهِنَ أَوَّلاً عَلى جَدارَتِكَ في عِدَّةِ مَعارِكَ ، أَوْ بِالخِدْمَةِ المَقْبولَةِ لِمُدَّةِ سَنَتَيْنِ في كَتيبَةٍ ما ، أَقَلَّ دَرَجَةً مِنْ كَتيبَتِنا . »

وَاسْتَطْرَدَ قائِلاً : « وَلكِنْ ، إكْراماً لِرَفيقي السّابِقِ – أَبيكَ ، سَأَفْعَلُ لَكَ شَيْئاً ، فَإِنّي أَعْتَقِدُ أَنَّكَ لَمْ تُحْضِرْ مَعَكَ نُقوداً كَثيرَةً . »

اِسْتَجْمَعَ دارتانيان نَفْسَهُ وَتَكَلَّمَ بِلَهْجَةِ الفَخورِ ، قائِلاً في وُضوحٍ : « إنَّني لَمْ آتِ لأَطْلُبَ صَدَقَةً مِنْ أَيِّ إنْسانٍ . »

قالَ السَّيِّدُ دي تريفي : « هَذا كُلُّهُ حَسَنٌ جِدًّا ، يا عَزيزي الشّابُّ ! هَذا كُلُّهُ حَسَنٌ . أَعْرِفُ شيمَةَ أولَئِكَ الغَسْقونيِّينَ ، فَأَنا نَفْسي جِئْتُ إلى باريس وَفي كيسِ نُقودي أَرْبَعَةُ كراوناتٍ لَيْسَ غَيْرُ . وَكُنْتُ عَلى اسْتِعْدادٍ لِمُواجَهَةِ أَيِّ شَخْصٍ يَتَجاسَرُ عَلى أَنْ يَقولَ إنَّني لَسْتُ في مَوْقِفٍ يُمَكِّنُني مِنْ شِراءِ مُتْحَفِ اللّوفْرِ ! »

وَأَضافَ قائِلاً: « يَجِبُ أَنْ تُحافِظَ عَلى ما مَعَكَ مِنْ نُقودٍ مَهْما يَكُنِ المَبْلَغُ الَّذي بِحَوْزَتِكَ ضَخْماً . وَسَأَكْتُبُ خِطاباً لِمُديرِ الأَكاديمِيَّةِ المَلَكِيَّةِ ، وَسَيَقْبَلُكَ غَداً دونَ أَيَّةِ نَفَقاتٍ أَوْ أَعْباءٍ . لا تَرْفُضْ هَذِهِ الخِدْمَةَ البَسيطَةَ ، فَأَحْياناً يَطْلُبُها رِجالٌ نُبَلاءُ المَوْلِدِ ، كَما يَطْلُبُها أَغْنى الرِّجالِ دونَ اسْتِطاعَتِهِمُ الحُصولَ عَلَيْها ! سَتَتَعَلَّمُ رُكوبَ الخَيْلِ ، وَاسْتِخْدامَ السَّيْفِ ، وَكَيْفَ تَسْلُكُ وَسْطَ المُجْتَمَعِ ، وَسَتَتَّخِذُ أَصْدِقاءَ تَحْتاجُ إِلَيْهِمْ وَتَرْغَبُ فيهِمْ . وَيُمْكِنُكَ أَنْ تَأْتِيَ لِزِيارَتي بَيْنَ الفَيْنَةِ وَالفَيْنَةِ ، لِتُخْبِرَني كَيْفَ تَسيرُ ، وَلِتُعْلِمَني ما إذا كانَ بِوُسْعي أَنْ أَكونَ ذا فائِدَةٍ لَكَ . »

قالَ دارتانيان : « يُؤْسِفُني ، يا سَيِّدي ، أَنْ أَقولَ كَمْ يُحْزِنُني ضَياعُ خِطابِ التَّوْصِيَةِ الَّذي أَعْطانيهِ أَبي لأُقَدِّمَهُ لَكَ . »

قالَ السَّيِّدُ دي تريفي : « يُدْهِشُني كَثيراً أَنَّكَ تَتَكَبَّدُ مِثْلَ هَذِهِ الرِّحْلَةِ الطَّويلَةِ بِدونِ مِثْلِ ذَلِكَ الخِطابِ الضَّروريِّ لَنا – نَحْنُ الغَسْقونِيّينَ المَساكينَ . »

« كانَ مَعي ، يا سَيِّدي ، وَلَكِنَّهُ سُرِقَ مِنّي . »

وَحَكى دارتانيان بَعْدَ ذَلِكَ ما حَدَثَ لَهُ في مِيونْغ ، وَ وَصَفَ الرَّجُلَ المَجْهولَ بِدِقَّةٍ وَصِدْقٍ أَمْتَعا السَّيِّدَ دي تريفي .

قالَ السَّيِّدُ دي تريڤي بَعْدَ تَفْكِيرٍ عَميقٍ : « هَذا كُلُّهُ غَريبٌ جِدًّا . أ قُلْتَ إنّكَ ذَكَرْتَ اسْمي ؟»

« أجَلْ ، يا سَيِّدي ، يَقيناً اقْتَرَفْتُ ذَلِكَ الخَطَأ ، ولَكِنْ لِمَ لا أفْعَلُ ذَلِكَ ؟ فَاسْمٌ مِثْلُ اسْمِكَ حِمايَةٌ لي في طَريقي .»

قالَ السَّيِّدُ دي تريڤي : « أخْبِرْني ، هَلْ بِوَجْنَةِ ذَلِكَ الرَّجُلِ أَثَرٌ لِجُرْحٍ صَغيرٍ ؟»

« أجَلْ .»

« وَهَلْ هُوَ قَبيحُ الطَّلْعَةِ ؟»

« أجَلْ .»

« وَفارِعُ الطُّولِ ؟»

« نَعَمْ .»

« ذو بَشَرَةٍ باهِتَةٍ ، وَشَعْرٍ بُنِّيِّ اللَّوْنِ ؟»

« نَعَمْ ، نَعَمْ ، هُوَ ذاك . كَيْفَ عَرَفْتَ ذَلِكَ الرَّجُلَ ، يا سَيِّدي؟ أقْسِمُ إنْ عَثَرْتُ عَلَيْهِ مَرَّةً أخرى ، وَسَأعْثُرُ عَلَيْهِ ، أن ... »

قاطَعَهُ السَّيِّدُ دي تريڤي بِقَوْلِه : « هَلْ كانَ يَنْتَظِرُ سَيِّدَةً ؟»

« أجَلْ ، وانْصَرَفَ مُباشَرَةً بَعْدَ أنْ تَحدَّثَ مَعَها .»

« أ تَعْرِفُ مَوْضوعَ حَديثِهِما ؟»

« أعْطاها صُنْدوقاً وَأخْبَرَها بِأنَّهُ يَحْتَوي على التَّعْليماتِ ، وَأنَّها يَجِبُ ألا تَفْتَحَهُ حَتَّى تَصِلَ إلى إنْجِلْترا .»

« هَلْ كانَتْ سَيِّدَةً إنْجليزِيَّةً ؟»

« كانَ يُخاطِبُها بِقَوْلِهِ ميلادي .»

رَدَّدَ السَّيِّدُ دي تريڤي : « إنَّهُ هُوَ ، لا بُدَّ أنَّهُ هُوَ . ظَنَنْتُهُ في بِلْجيكا .»

صاحَ دارتانيان قائِلاً : « أيْ سَيِّدي ، إنْ كُنْتَ تَعْرِفُ مَنْ هُوَ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَأخْبِرْني ؛ إذْ إنَّ ما أريدُهُ ، قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ، هُوَ أنْ أعاقِبَهُ .»

قالَ السَّيِّدُ دي تريڤي : « احْذَرْ ، أيُّها الشّابُّ ! وَإنْ رَأَيْتَهُ قادِماً عَلى أحَدِ جَوانِبِ الطَّريقِ ، فَاذْهَبْ إلى الجانِبِ الآخَرِ . لا تُلْقِ بِنَفْسِكَ عَلى مِثْلِ هَذِهِ الصَّخْرَةِ الوَعْرَةِ !»

عَقَّبَ دارتانيان بِقَوْلِهِ : « لَنْ توقِفَني فِكْرَةُ قُوَّتِهِ إنْ عَثَرْتُ عَلَيْهِ .»

قالَ السَّيِّدُ دي تريڤي بِلَهْجَةٍ صارِمَةٍ : « في هَذا الوَقْتِ ، خُذْ

بِنَصيحَتي وَلا تَبْحَثْ عَنْهُ . وَالآنَ ، أَيُّها الشّابُّ ، لا أَسْتَطيعُ في هَذِهِ اللَّحْظَةِ أَنْ أَفْعَلَ لَكَ إِلّا ما قَدَّمْتُهُ لَكَ الآنَ . سَيَكونُ مَكْتَبي مَفْتوحاً لَكَ . وَيُسْعِدُني أَنْ تَطْلُبَني في أَيِّ وَقْتٍ ، وَاعْمَلْ عَلى أَنْ تَنْتَهِزَ جَميعَ الفُرَصِ ، فَرُبَّما تَحْصُلُ عَلى بُغْيَتِكَ .»

قالَ دارتانيان : « هَذا يَعْني أَنَّكَ سَتَنْتَظِرُ حَتّى أُبَرْهِنَ عَلى جَدارَتي .» ثُمَّ انْحَنى لِكَيْ يَنْصَرِفَ ، فَاسْتَوْقَفَهُ السَّيِّدُ دي تريفي قائِلاً : « انْتَظِرْ دَقيقَةً . لَقَدْ وَعَدْتُكَ بِخِطابٍ لِمُديرِ الأَكاديمِيَّةِ المَلَكِيَّةِ ، فَهَلْ سَتَقْبَلُهُ أَمْ سَتَتَعالى عَلَيْهِ ؟»

قالَ : « لا ، يا سَيِّدي ، وَأَعِدُكَ بِأَلا يُسْرَقَ مِنّي مِثْلَما سُرِقَ الآخَرُ .»

اِبْتَسَمَ السَّيِّدُ دي تريفي لِهَذا التَّباهي ، وَتَرَكَهُ عِنْدَ النّافِذَةِ حَيْثُ كانا يَتَحَدَّثانِ ، وَجَلَسَ إِلى مَكْتَبِهِ لِيَكْتُبَ خِطابَ التَّوْصِيَةِ ، عَلى حينَ أَخَذَ دارتانيان يَنْظُرُ مِنَ النّافِذَةِ إِلى الفُرْسانِ وَهُمْ يَذْهَبونَ وَيَجيئونَ في الشّارِعِ .

نَهَضَ السَّيِّدُ دي تريفي بَعْدَ أَنْ كَتَبَ الخِطابَ وَخَتَمَهُ ، وَتَقَدَّمَ إِلى الشّابِّ لِيُعْطِيَهُ إِيّاهُ ، وَلَكِنْ في تِلْكَ اللَّحْظَةِ الَّتي مَدَّ دارتانيان فيها يَدَهُ لِيَتَسَلَّمَ الخِطابَ ، فوجِئَ السَّيِّدُ دي تريفي بِدارتانيان يَقْفِزُ

فَجْأَةً ، وَقَدِ اسْتَشاطَ غَضَباً ، وَيَنْدَفِعُ خارِجاً مِنَ الغُرْفَةِ ، وَهُوَ يَصيحُ بِقَوْلِهِ : « لَنْ يُفْلِتَ مِنّي في هَذِهِ المَرَّةِ !»

سَأَلَهُ السَّيِّدُ دي تريفي : « مَنْ هُوَ ؟»

فَصاحَ دارتانيان : « إِنَّهُ سارِقي . يا لَهُ مِنْ وَغْدٍ !»

الفصل الثامن

كَتِفُ آثوس وَحِمالَةُ پورْثوس

اِنْدَفَعَ دارتانيان في حالَةِ هِياجٍ شَديدَةٍ نَحْوَ السُّلَّمِ ، مُحاوِلاً أنْ يَهْبِطَ أرْبَعَ دَرَجاتٍ في كُلِّ مَرَّةٍ . وَلسوءِ حَظِّهِ اصْطَدَمَ – في عَجَلَتِهِ – بِأحَدِ الفُرْسانِ وَهُوَ يُغادِرُ إحْدى حُجُراتِ السَّيِّدِ دي تريڤي الخاصَّةِ ، وَصَدَمَهُ صَدْمَةً عَنيفَةً في كَتِفِهِ ، جَعَلَتْهُ يُطْلِقُ صَرْخَةً عالِيَةً .

قالَ دارتانيان مُعْتَذِراً ، وَهُوَ يُحاوِلُ الاسْتِمْرارَ في طَريقِهِ : « عَفْواً! عَفْواً ! وَلكِنّي مُتَعَجِّلٌ .»

وَما كادَ يَهْبِطُ أولى دَرَجاتِ السُّلَّمِ ، حَتّى أمْسَكَتْ بِحِزامِهِ يَدٌ حَديدِيَّةٌ وَأوْقَفَتْهُ .

قالَ الفارِسُ وَهُوَ يَكادُ يَتَميَّزُ غَيْظاً : « إذاً ، فَأنْتَ في عَجَلَةٍ مِنْ أمْرِكَ ! أ تَقولُ عَفْواً ، وَتَعْتَقِدُ أنَّ هَذا يَكْفي ؟ لا ، أيُّها الشّابُّ !

أ تَتَصوَّرُ ، لأنَّكَ سَمِعْتَ اليَوْمَ السَّيِّدَ دي تريڤي يُكَلِّمُنا بِخُشونَةٍ ، أنْ يُعامِلَنا الآخَرونَ مِثْلَما يُعامِلُنا هُوَ ؟ لا تَجُرَّ نَفْسَكَ إلى الغَلَطِ فَلَسْتَ أنْتَ السَّيِّدَ دي تريڤي !»

أجابَ دارتانيان ، وَقَدْ عَرَفَ أنَّهُ آثوس ، الَّذي ضَمَّدَ الطَّبيبُ جِراحَهُ مُنْذُ لَحْظَةٍ : « بِشَرَفي ... بِشَرَفي ... لَمْ أفْعَلْ هَذا عَمْداً . وَلكَوْني لَمْ أفْعَلْهُ عَمْداً ، قُلْتُ عَفْواً . وَيَبْدو لي أنَّ هَذا كافٍ جِدا . اِرْفَعْ يَدَكَ عَنْ حِزامي ، وَدَعْني أذْهَبْ إلى حَيْثُ يُناديني عَمَلي .»

قالَ آثوس وَقَدْ تَرَكَ الحِزامَ : « أنْتَ لَسْتَ مُؤَدَّباً ، يا سَيِّدي ! وَمِنَ السَّهْلِ أنْ نُدْرِكَ أنَّكَ قادِمٌ مِنَ الرّيفِ ، وَتَفْتَقِرُ إلى أخْلاقِ المَدينَةِ الحَميدَةِ .»

كانَ دارتانيان قَدْ هَبَطَ ثَلاثَ دَرَجاتٍ أوْ أرْبَعاً ، غَيْرَ أنَّهُ تَوَقَّفَ حينَ سَمِعَ مُلاحَظَةَ آثوس ، وَقالَ : « يا لَرَحْمَةِ السَّماءِ ! مَهْما أكُنْ قَدْ أتَيْتُ مِنْ بَعيدٍ ، فَلَسْتَ أنْتَ بِالَّذي يُلَقِّنُني دَرْساً في الأخْلاقِ الحَميدَةِ ! وَلِذا فَإنّي أحَذِّرُكَ !»

قالَ آثوس : « رُبَّما !»

قالَ دارتانيان : « آهِ لَوْ لَمْ أكُنْ مُتَعَجِّلاً ، وَلَوْ لَمْ أكُنْ أتَعَقَّبُ

شَخْصاً .»

« أيُّها المُتَعَجِّلُ ، يُمْكِنُكَ أنْ تجِدَني دونَ أنْ تَجْرِيَ ورائي ! أفَهِمْتَ ؟»

« وأَيْنَ ؟»

« خَلْفَ قصرِ لوكْسُمْبورْغ .»

« في أيِّ وَقْتٍ ؟»

« ظُهْراً .»

« هَذا يَكْفي ، سأكونُ هُناكَ .»

« حاوِلْ ألا تَجْعَلَني أنْتَظِرُ ، لأنَّهُ في السَّاعَةِ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ والرُّبْعِ ، سَأَقْطَعُ أُذُنَيْكَ وأنْتَ تَجْري !»

صاحَ دارتانيان بِقَوْلِهِ : « سأكونُ هُناكَ .» وانْدَفَعَ إلى أسْفَلِ السُّلَّمِ ، آمِلاً في أنْ يَجِدَ الرَّجُلَ المَجْهولَ ، الَّذي لا تَسْتَطيعُ خُطُواتُهُ البَطيئَةُ أن تَبْتَعِدَ بِهِ .

ومِنْ سوءِ حَظِّ الشَّابِّ المُتَعَجِّلِ أنَّهُ تَصادَفَ أنْ كانَ بُورْثوس يَتَحَدَّثُ إلى جُنْدِيِّ الحِراسَةِ الواقِفِ عِنْدَ مَدْخَلِ الشَّارِعِ . وكانَتْ بَيْنَهُما مَسافَةٌ تَسْمَحُ بِمُرورِ شَخْصٍ ، وبِطَبيعَةِ الحالِ ، لَمْ يَتَرَدَّدْ

دارتانيان في أنْ يَمُرَّ مُنْدَفِعاً بَيْنَهُما . ولَمَّا هَمَّ بِأنْ يَفْعَلَ ، أطارَتْ قُوَّةُ انْدِفاعِهِ مِعْطَفَ بُورْثوس الطَّويلَ المَصْنوعَ مِنَ القَطيفَةِ . وبَدلاً مِنْ أنْ يَكونَ دارتانيان حُرًّا طَليقاً في الشَّارِعِ ، وَجَدَ نَفْسَهُ مُشْتَبِكاً في أطْواءِ المِعْطَفِ الطَّويلَةِ . وكانَ بُورْثوس مُمْسِكاً في يَدِهِ أحَدَ أطْرافِ مِعْطَفِهِ . ولأسْبابٍ لا يَعْرِفُها سِوى بُورْثوس نَفْسِهِ ، لَمْ يُفْلِتْ طَرَفَ المِعْطَفِ ، وإنَّما ظَلَّ مُمْسِكاً بِهِ بِشِدَّةٍ ، وجَذَبَهُ نَحْوَهُ جَذْبَةً قَوِيَّةً ، فَكانَتْ نَتيجَةُ هَذِهِ الجَذْبَةِ المُفاجِئَةِ ، أنْ أدارَتْ دارتانيان وطَوَتْهُ أكْثَرَ داخِلَ المِعْطَفِ .

وطَفِقَ بُورْثوس يَسُبُّهُ غاضِباً ، ورَغْمَ ذَلِكَ ، فَما بَرِحَ يَقْبِضُ بِقُوَّةٍ على المِعْطَفِ ، على حينِ يُحاوِلُ الشَّابُّ الغَسْقونِيُّ الغاضِبُ مِثْلَهُ ، والمُشْتَبِكُ في الأطْواءِ ، تَخْليصَ نَفْسِهِ .

تَذَكَّرَ دارتانيان حِمالَةَ السَّيْفِ الجَميلَةَ ، وكانَ يَتوقُ بِنَوْعٍ خاصٍّ إلى عَدَمِ إتْلافِ بَريقِ الذَّهَبِ المُتَألِّقِ ، إلاّ أنَّ مُفاجَأةً كانَتْ في انْتِظارِهِ ؛ فَعِنْدَما فَتَحَ عَيْنَيْهِ وَجَدَ نَفْسَهُ يَنْظُرُ إلى نُقْطَةٍ بَيْنَ كَتِفَيْ بُورْثوس الضَّخْمَتَيْنِ ، أيْ إلى الحِمالَةِ ، على مَسافَةِ سَنْتيمِتْراتٍ مِنْ أنْفِهِ ؛ فَوَجَدَ عَجَباً .

يا لَلْهَوْلِ ! إنَّ الحِمالَةَ الَّتي تَتَألَّقُ بِالذَّهَبِ مِنَ الأمامِ ، لَمْ تَكُنْ سِوى جِلْدٍ بَسيطٍ مِنَ الخَلْفِ . لَمْ يَسْتَطِعْ بُورْثوس ذو المَجْدِ

الزّائفِ ، أنْ يشْتَرِيَ حِمالةَ سيفٍ مُطرَّزةً كُلُّها بِالذّهبِ ، فَحَصَلَ عَلى حِمالةٍ مُطرَّزٍ نِصفُها مِنَ الأمامِ لِيُظْهِرَهُ لِلْعالَمِ المُعْجَبِ . وَهَكَذا انْكَشَفَتْ حَقيقةُ الاعْتِذارِ بِالبَرْدِ ، مَعَ الحاجةِ المَزْعومَةِ إلى المِعْطَفِ .

وَإذْ كانَ بُورثُوس في حالةِ غَضَبٍ عارِمٍ ، قامَ بِحَرَكَةٍ لِيَنْدَفِعَ خَلْفَ دارتانيان ، الّذي كانَ يَعْدو بِسُرْعَةٍ .

صاحَ الأخيرُ ، قائلاً : « حالاً ، حالاً عِنْدَما لا تكونُ مُرْتَدِياً مِعْطَفَكَ ! »

« إذاً ، فَمَوْعِدُنا السّاعَةُ الواحِدَةُ خَلْفَ قَصْرِ لوكْسُمبورْغ . »

صاحَ دارتانيان وَهُوَ يَدورُ عِنْدَ ناصِيَةِ الشّارِعِ : « حَسَنٌ جِدًّا ، في السّاعَةِ الواحِدَةِ . »

رَغْمَ ذَلِكَ لَمْ يَتَمَكَّنْ دارتانيان مِنْ رُؤْيَةِ الرَّجُلِ المَجْهولِ ، في أيّةِ جِهَةٍ . وَسَألَ دارتانيان كُلَّ مارٍّ ، وَلَكِنْ دونَ جَدْوى .

الفصل التاسع

مِنْديلُ أراميس

فكَّرَ دارتانيان مَلِيًّا في أحْداثِ الصَّباحِ ؛ فَقَدْ كانَتْ ساعاتٍ عَصيبَةً ، وَرُبَّما يكونُ قَدْ لَحِقَهُ الخِزْيُ مِنْ جَرّاءِ سُلوكِهِ عِنْدَ السَّيِّدِ دي تريفي ، الّذي لا بُدَّ أنَّ نَظْرَتَهُ إلَيْهِ قَدْ تَغيَّرَتْ .

وَعِلاوَةً على ذَلِكَ ، زَجَّ بِنَفْسِهِ في مُبارَزَتَيْنِ مَعَ رَجُلَيْنِ ، كُلٌّ مِنْهُما قادِرٌ على قَتْلِ ثَلاثَةِ رِجالٍ مِثْلِهِ . لَقَدِ ارْتَبَطَ بِمُقاتَلَةِ اثْنَيْنِ مِنْ أقْوى الفُرْسانِ — اثْنَيْنِ لَهُما مَكانَةٌ خاصَّةٌ عِنْدَهُ ، حَتّى إنَّهُ لَيُقَدِّرُهُما فَوْقَ كُلِّ مَنْ عَداهُما مِنَ النّاسِ . كانَتْ نَظْرَتُهُ غَيْرَ سَعيدَةٍ ، إذْ كانَ على يَقينٍ مِنْ أنَّ آثوس سَيَقْتُلُهُ ، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ لَمْ يَعُدْ يَشْغَلُ نَفْسَهُ كَثيراً بِبُورثُوس . وَرَغْمَ هذا ، فالأمَلُ هُوَ آخِرُ شَيْءٍ يَخْبو في قَلْبِ الإنْسانِ ؛ لِذا لَمْ يَفْقِدْ دارتانيان بَعْضَ الأمَلِ ، في أنَّهُ سَيَعيشُ بَعْدَ هاتَيْنِ المُبارَزَتَيْنِ ، وَلَوْ بِجِراحٍ بالِغَةٍ . قالَ لِنَفْسِهِ : « يا



صَديقي دارتانيان ، إنْ أفْلَتَّ ، فَإنّي أنْصَحُكَ بِأنْ يَكونَ الأدَبُ الكامِلُ مَسْلَكَكَ مُسْتَقْبَلاً ، فَلَنْ يَصِمَ فِعْلُ الخَيْرِ وَالأدَبُ المَرْءَ ، بِالضَّرورَةِ ، بِالجُبْنِ !»

سارَ وَئيداً ، وَهُوَ عَلى هذِهِ الحالِ ، يُفَكِّرُ جِدِّيًّا في حالِهِ ، فَرَأى أراميس يَتَحَدَّثُ في مَرَحٍ مَعَ ثَلاثَةِ رِجالٍ مِنْ حَرَسِ المَلِكِ . وَكَذلِكَ لاحَظَهُ أراميس ، وَلكِنَّهُ لَمْ يَنْسَ أنَّ هذا الشّابَّ ، قَدْ سَمِعَ السَّيِّدَ دي تريفي يَزْجُرُهُ في ذَلِكَ الصَّباحِ .

امْتَلأَ دارتانيان عَزيمَةً عَلى أنْ يَكونَ أكْثَرَ احْتِراماً لِلنّاسِ ، وَتَأدُّباً مَعَهُمْ ؛ فَتَقَدَّمَ نَحْوَ أولئِكَ الرِّجالِ بِانْحِناءَةٍ شَديدَةٍ ، وَابْتِسامَةٍ وُدِّيَّةٍ عَريضَةٍ ، فَأحْنى أراميس رَأسَهُ قَليلاً ، رَدًّا عَلى انْحِناءَتِهِ ، ولكِنَّهُ لَمْ يُبادِلْهُ الابْتِسامَ .

تَوَقَّفَ الأرْبَعَةُ عَنِ الكَلامِ فَوْراً ، فَأدْرَكَ دارتانيان أنَّهُمْ راغِبونَ عَنْهُ . وَإذْ لَمْ يَكُنْ ماهِراً في أدَبِ السُّلوكِ ، قَرَّرَ في ذِهْنِهِ أنْ يَتَّخِذَ أقَلَّ وَسائِلِ الاسْتِئْذانِ إحْراجاً . ولاحَظَ أنَّ أراميس ، قَدْ أوْقَعَ في ذَلِكَ الوَقْتِ ، مِنْديلاً ، وداسَ عَلَيْهِ بِقَدَمِهِ ، دونَ أنْ يَتَنَبَّهَ لِذَلِكَ ؛ فَرَأى أنَّ الفُرْصَةَ قَدْ سَنَحَتْ لإبْداءِ الاعْتِذارِ عَنْ تَطَفُّلِهِ أثْناءَ حَديثِهِمْ ؛ فَانْحَنى وَسَحَبَ المِنْديلَ مِنْ تَحْتِ قَدَمِ ذَلِكَ الفارِسِ ، رَغْمَ جُهْدِ هذا الأخيرِ لِلاحْتِفاظِ بِهِ تَحْتَ قَدَمِهِ ، ثُمَّ قالَ وَهُوَ يُقَدِّمُهُ

إِلَيْهِ : « أَعْتَقِدُ ، يا سَيِّدي ، أَنَّ هَذا مِنْديلٌ لا تَوَدُّ أَنْ تَفْقِدَهُ .»

كانَ المِنْديلُ ، في الحَقيقَةِ ، مُطَرَّزاً بِطَريقَةٍ تَدْعو إلى الإِعْجابِ ، وَعَلى أَحَدِ أَرْكانِهِ الأَحْرُفُ الأولى لاسْمٍ ما ؛ فَشَرِقَ وَجْهُ أراميس بِشِدَّةٍ ، وَخَطَفَ المِنْديلَ مِنَ الغَسْقونِيِّ الصَّغيرِ ، بَدَلاً مِنْ أَنْ يَتَناوَلَهُ مِنْهُ .

صاحَ أَحَدُ الحَرَسِ قائِلاً : « أَلا تَزالُ مُصِرًّا عَلى قَوْلِكَ بِأَنَّكَ لَسْتَ صَديقاً حَميماً لِلسَّيِّدَةِ دي بوا – تراسي ، وَقَدْ أَعارَتْكَ هَذِهِ السَّيِّدَةُ الخَيِّرَةُ أَحَدَ مَناديلِها ؟»

نَظَرَ أراميس شَزْراً إلى دارتانيان ، وَلَكِنَّهُ سَرْعانَ ما تَمالَكَ نَفْسَهُ ، وَقالَ بِطَريقَتِهِ المَألوفَةِ الهادِئَةِ : « أَنْتُمْ مُخْطِئونَ ، يا سادَةُ . لَيْسَ هَذا مِنْديلي ، وَلا أَسْتَطيعُ أَنْ أَتَصَوَّرَ لِماذا فَكَّرَ هَذا الشّابُّ في أَنْ يُقَدِّمَهُ لي ، بَدَلاً مِنْ أَنْ يُقَدِّمَهُ لِواحِدٍ مِنْكُمْ ؟ وَلِكَيْ أُثْبِتَ لَكُمْ صِدْقَ كَلامي ، فَها هُوَ مِنْديلي في جَيْبي .»

وَبَيْنَما كانَ يَقولُ هَذا ، أَخْرَجَ مِنْديلَهُ ، وَهُوَ أَيْضاً مِنَ النَّسيجِ الرَّقيقِ الفَخْمِ ، وَلَكِنَّهُ بِدونِ تَطْريزٍ وَلا أَحْرُفٍ أولى .

لَمْ يَتَسَرَّعْ دارتانيان ، في هَذِهِ المَرَّةِ ؛ فَقالَ : « الحَقيقَةُ أَنَّني لَمْ أُبْصِرِ المِنْديلَ يَقَعُ فِعْلاً مِنْ جَيْبِ السَّيِّدِ أراميس ، بَلْ كانَتْ قَدَمُهُ

فَوْقَ المِنْديلِ ، فَظَنَنْتُهُ مِنْديلَهُ .»

قالَ أراميس بِبُرودٍ : « وَمِنَ الطَّبيعِيِّ أَنَّكَ مُخْطِئٌ .» وَاسْتَدارَ نَحْوَ أَحَدِ الحُرّاسِ ، وَكانَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ صَديقُ السَّيِّدَةِ دي بوا – تراسي ، وَاسْتَطْرَدَ يَقولُ : « وَفَضْلاً عَنْ هَذا ، يا مونتاران ، وَحَيْثُ إِنَّكَ أَنْتَ أَيْضاً صَديقٌ حَميمٌ لِلسَّيِّدَةِ دي بوا – تراسي ، فَقَدْ يَكونُ المِنْديلُ قَدْ وَقَعَ مِنْ جَيْبِكَ أَنْتَ أَيْضاً .»

صاحَ الفارِسُ قائِلاً : « كَلّا ، بِشَرَفي !»

« أَنْتَ تُقْسِمُ بِشَرَفِكَ ، وَأَنا أُقْسِمُ بِشَرَفي ، إِذاً ، فَمِنَ الجَلِيِّ أَنَّ أَحَدَنا كاذِبٌ . وَالآنَ ، يا مونتاران ، دَعْنا نَصْنَعْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ . لِيَأْخُذْ كُلٌّ واحِدٍ مِنّا نِصْفَهُ .»

« نِصْفَ المِنْديلِ ؟»

« نَعَمْ .»

صاحَ الحارِسُ الآخَرُ ، بِقَوْلِهِ : « هَذا عَدْلٌ ، إِنَّهُ حُكْمُ سُلَيْمانَ ! يَقيناً ، أَنْتَ واسِعُ الحِكْمَةِ ، يا أراميس .»

اِنْفَجَرَ الرِّجالُ ضاحِكينَ ، وَيَبْدو أَنَّهُ بِهَذا قَدِ انْتَهَتْ مُشْكِلَةُ المِنْديلِ .

بَعْدَ لحظَةٍ أوِ اثْنتَيْنِ ، تَصافَحَ الأَرْبَعَةُ ، وَتَفرَّقوا . ذَهَبَ الثَّلاثَةُ في طَريقٍ ، وَأراميس في طَريقٍ آخَرَ .

وَقَفَ دارتانيان جانِباً أَثْناءَ الجُزْءِ الأخيرِ مِنَ الحَديثِ ، فَلَمّا رأى أراميس يَنْصَرِفُ دونَ أيِّ اهْتِمامٍ بِهِ ، تَقَدَّمَ إلَيْهِ قائِلاً : « مَعْذِرَةً ، يا سَيِّدي ، آمُلُ ...»

قاطَعَهُ أراميس بِحِدَّةٍ : « اسْمَحْ لي ، يا سَيِّدي ، بِأَنْ أقولَ لَكَ إنَّكَ لَمْ تَسْلُكْ مَسْلَكَ رَجُلٍ حَسَنِ التَّرْبِيَةِ !»

صاحَ دارتانيان : « ماذا ، يا سَيِّدُ ؟ أَ تَظُنُّ ... ؟»

« أَظُنُّكَ لَسْتَ غَبِيًّا ، فَرَغْمَ كَوْنِكَ قادِماً مِنْ غَسقونيا ، فَأَنْتَ تَعْرِفُ جَيِّداً ، أَنَّ النّاسَ لا يَدوسونَ عَلى المَناديلِ ، لِغَيْرِ ما سَبَبٍ .»

قالَ دارتانيان ، الَّذي سَيْطَرَتْ طَبيعَتُهُ الحادَّةُ المُحِبَّةُ لِلْعِراكِ عَلى مَشاعِرِهِ : « لَسْتَ عادِلاً ، يا سَيِّدي . أنا حَقيقَةً مِنْ غَسقونيا ، وَحَيْثُ إنَّكَ تَعْرِفُها ، فَلَيْسَ ثَمَّةَ ما يَدْعو لأَنْ أذَكِّرَكَ بِأَنَّ الغَسقونيّينَ لَيْسوا جِدَّ صَبورينَ ؛ فَإنْ طَلَبوا المَعْذِرَةَ عَنْ ذَنْبٍ اقْتَرَفوهُ ، فَإنَّهُمْ يَكونونَ قَدْ فَعَلوا أَكْثَرَ مِمّا يَجِبُ فِعْلُهُ .»

قالَ أراميس : « أنا لا أَسْعى إلى العِراكِ ، يا سَيِّدي ، وَلَسْتُ مُحِبًّا لِلضَّوْضاءِ . أنا فارِسٌ فَحَسْبُ ، وَلا أُقاتِلُ إلّا إذا اضْطُرِرْتُ

إلى القِتالِ . وَالأَمْرُ في هَذِهِ المَرَّةِ خَطيرٌ ؛ إذْ يَتَعَرَّضُ فيها شَرَفُ سَيِّدَةٍ مِنَ الطَّبَقَةِ الرّاقِيَةِ ، لِلْخَطَرِ .»

صاحَ دارتانيان : « أَ تَقْصِدُ بِواسِطَتِنا ؟»

« لِماذا أَعَدْتَ المِنْديلَ إلَيَّ بِغَباءٍ ؟»

« لِماذا أَوْقَعْتَهُ أَنْتَ بِغَباءٍ ؟»

« يَبْدو أَنَّهُ يَنْبَغي عَلَيَّ أَنْ أُلَقِّنَكَ دَرْساً .»

« وَأنا سَأُعيدُكَ إلى دِراساتِكَ . امْتَشِقْ سَيْفَكَ في الحالِ .»

« لَيْسَ هَكَذا ، لَيْسَ هُنا عَلى الأَقَلِّ . أَوَدُّ أَنْ أَقْتُلَكَ في زاوِيَةٍ ما ، هادِئَةٍ . سَيَسُرُّني وُجودُكَ في السّاعَةِ الثّانِيَةِ بِمَكْتَبِ السَّيِّدِ دي تريفي .»

انْحَنى الشّابّانِ وَافْتَرَقا ؛ فَلَمّا رَأى دارتانيان أَنَّ السّاعَةَ تَقْتَرِبُ مِنَ الثّانِيَةَ عَشْرَةَ ، أَسْرَعَ إلى خَلْفِ قَصْرِ لوكْسُمْبورغ .

فَكَّرَ دارتانيان في نَفْسِهِ ، قائِلاً : « يَقيناً ، لا يُمْكِنُ التَّراجُعُ الآنَ . وَلَكِنَّني إذا قُتِلْتُ ، فَعَلى الأَقَلِّ يَكونُ الَّذي قَتَلَني فارِساً .»

الفصل العاشر

السَّاعةَ الثَّانيَةَ عَشْرَةَ خلْفَ قصرِ لوكْسُمْبورغ

ذَهَبَ دارتانيان إلى حَيثُ مَوْعِدُهُ مَعَ آثوس ، لا يُرافِقُهُ أيُّ صَديقٍ ؛ إذْ لَمْ يَكُنْ يَعرِفُ أحَداً في باريس .

لَمْ يكُنْ هَذا الغسقونيُّ الصَّغيرُ ، كَما سَنَعرِفُ الآنَ ، رَجُلاً عادِيا ؛ فَعلى حينَ كانَ يُؤكِّدُ لِنَفْسِهِ أنَّهُ مَقْتولٌ لا مَحالَةَ ، لَمْ يُفكِّرْ قَطُّ في أنْ يَموتَ هادِئاً مِثْلَما يَفْعَلُ أيُّ شَخْصٍ أقَلَّ جُرْأةً . وَهُنا تَذَكَّرَ نَصيحَةَ والِدِهِ الَّتي تَقولُ : « لا تَتَقَبَّلِ النَّقْدَ مِنْ أيِّ شَخْصٍ دونَ المَلِكِ وَالكارْدينالِ . » فَهَرْوَلَ ، بَدَلاً مِنْ أنْ يَسيرَ ، نَحْوَ قَصْرِ لوكْسُمْبورغ .

حينَ وَصَلَ عَلى مَرْأى مِنْ مَكانِ اللِّقاءِ ، كانَتِ السَّاعَةُ تُشيرُ إلى الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ ، وَكانَ آثوس يَنْتَظِرُ هُناكَ مُنْذُ خَمْسِ دَقائِقَ ، جالِساً فَوْقَ جِذْعِ شَجَرَةٍ مُتَداعِيَةٍ ؛ إذْ كانَ لا يَزالُ مُتأثِّراً بِجُرْحِهِ .

وَلَمَّا أبْصَرَ دارتانيان ، نَهَضَ وَسارَ في أدَبٍ بِضْعَ خُطُواتٍ لِيُقابِلَهُ ، فَخَلَعَ دارتانيان قُبَّعَتَهُ وَانْحنى لَهُ .

قالَ آثوس : « لَقَدِ ارْتَبَطْتُ ، يا سَيِّدي ، مَعَ اثْنَيْنِ مِنْ أصْدِقائي لِيكونا في صَحْبَتي ، وَلَكِنَّهُما ، عَلى نَقيضِ عادَتِهِما ، وَلِدَهْشَتي العُظْمى ، لَمْ يَحْضُرا بَعْدُ ! »

قالَ دارتانيان : « أمَّا مِنْ ناحِيَتي ، فَلَيْسَ في صُحْبَتي أحَدٌ ؛ إذْ لا أعْرِفُ أحَداً في باريس ، حَتَّى الآنَ ، ما خَلا السَّيِّدَ دي تريفي الَّذي أوْصاهُ بي أبي . »

قالَ آثوس : « أرْجو – بَعْدَ إذْنِكَ – أنْ نَنْتَظِرَ هَذَيْنِ السَّيِّدَيْنِ ، فَلَدَيْنا مُتَّسَعٌ مِنَ الوَقْتِ ، وَسَيَكونُ الأمْرُ أنْفَذَ . ها هُوَ أحَدُهُما ، عَلى ما أعْتَقِدُ . »

الواقِعُ أنَّ جِسْمَ پورثوس العِمْلاقَ ظَهَرَ مِنْ بَعيدٍ .

صاحَ دارتانيان قائِلاً : « ماذا ؟ هَلْ صَديقُكَ الأوَّلُ هُوَ السَّيِّدُ پورثوس ؟ »

« أجَلْ . هَلْ يُقْلِقُكَ هَذا ؟ »

« لا ، إطْلاقاً . »

« وَها هُوَ ذا الآخَرُ .» وَاسْتَدارَ دارتانيان نَحْوَ الجِهَةِ الَّتي أشارَ إلَيْها آثوس ، فَأَبْصَرَ أراميس .

صاحَ في دَهْشَةٍ أكْبَرَ : « ماذا ؟ وَهَلْ صَديقُكَ الثّاني هُوَ السَّيِّدُ أراميس ؟»

« بِالتَّأْكيدِ ! فَإنَّنا لا نُرى أبَداً ، واحِداً بِغَيْرِ الآخَرَيْنِ . أ لا تَعْلَمُ أنّنا مَعْروفونَ بَيْنَ الفُرْسانِ بِاسْمِ الثَّلاثَةِ الَّذينَ لا يَنْفَصِلونَ ، وَلَدى الحَرَسِ وَفي البَلاطِ ، وَفي المَدينَةِ ؟»

أجابَ دارتانيان بِقَوْلِهِ : « بِشَرَفي هَذا اسْمٌ طَيِّبٌ !»

في تِلْكَ الأَثْناءِ ، كانَ بورْثوس قَدْ وَصَلَ إلَيْهِما ، فَلَوَّحَ لَهُ آثوس بِيَدِهِ ، ثُمَّ اسْتَدارَ نَحْوَ دارتانيان وَهُوَ دَهِشٌ تَماماً ؛ لَقَدْ غَيَّرَ بورْثوس حَمالَةَ سَيْفِهِ الفَخْمَةَ ، وَتَرَكَ مِعْطَفَهُ الجَميلَ في البَيْتِ .

قالَ بورْثوس : « رَبّاهُ ! ما مَعْنى هَذا ؟»

قالَ آثوس : « هَذا هُوَ السَّيِّدُ الَّذي سَأَتَقاتَلُ مَعَهُ .»

قالَ بورْثوس : « وَأنا أيْضاً ، سَأَتَقاتَلُ مَعَهُ .»

قالَ دارتانيان : « وَلَكِنْ لَيْسَ قَبْلَ السّاعَةِ الواحِدَةِ .»

قالَ أراميس ، الَّذي كانَ قَدْ وَصَلَ لِتَوِّهِ إلى الجَماعَةِ : « وَأنا

أيْضاً ، سَأُقاتِلُ هَذا الرَّجُلَ .»

قالَ دارتانيان ، بِنَفْسِ الهُدوءِ : « وَلَكِنْ لَيْسَ قَبْلَ السّاعَةِ الثّانِيَةِ .»

قالَ أراميس : « عَلى أيِّ شَيْءٍ سَتَتَقاتَلانِ ، يا آثوس ؟»

« بِشَرَفي ، لا أعْرِفُ تَماماً ! رُبَّما آلَمَني في كَتِفي . وَأنْتَ ، يا بورْثوس ؟»

قالَ ، وَقَدْ شَرِقَ وَجْهُهُ : « سَأُقاتِلُ لأنَّني لا بُدَّ أنْ أُقاتِلَ !»

لاحَظَ آثوس ، الَّذي لا تَشْرُدُ عَنْهُ شارِدَةٌ ، ابْتِسامَةً بَسيطَةً عَلى وَجْهِ الغَسْقونِيِّ الشّابِّ الَّذي أجابَ بَدَلاً مِنْهُ بِقَوْلِهِ : « حَدَثَتْ بَيْنَنا مُشادَّةٌ عَنِ الزِّيِّ .»

« وَأنْتَ ، يا أراميس ؟»

أجابَ أراميس ، وَهُوَ يَغْمِزُ بِعَيْنِهِ لِدارتانيان كَيْ يَحْتَفِظَ بِسَبَبِ مُبارَزَتِهِما سِرًّا : « اخْتَلَفْنا في مَوْضوعٍ دينِيٍّ .»

قالَ دارتانيان : « بِما أنَّكُمْ جَميعاً هُنا ، يا سادَةُ ، فَاسْمَحوا لي بِأنْ أُقَدِّمَ لَكُمْ خالِصَ اعْتِذاراتي !» عِنْدَ سَماعِ كَلِمَةِ « اعْتِذاراتي » قَطَّبَ آثوس جَبينَهُ ، وَظَهَرَتِ ابْتِسامَةُ ازْدِراءٍ عَلى وَجْهِ بورْثوس ، وَأبْدى أراميس عَدَمَ رِضاهُ صَراحَةً .

قالَ دارتانيان وَهُوَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ في خُيَلاء : « إِنَّكُمْ لا تَفْهَمونَني ! فَإِنّي أَطْلُبُ الاعْتِذارَ في حالَةِ عَدَمِ إِمْكاني مُقاتَلَتِكُمْ ، أَنْتُمُ الثَّلاثَةَ مَعًا . »

وَإِذْ قالَ دارتانيانَ ذَلِكَ بِأَشْجَعِ لَهْجَةٍ مُمْكِنَةٍ ، اسْتَلَّ سَيْفَهُ .

قالَ آثوس وَهُوَ يَسْتَلُّ سَيْفَهُ : « الجَوُّ حارٌّ اليَوْمَ ، وَرَغْمَ ذَلِكَ ، لا أَسْتَطيعُ أَنْ أَخْلَعَ صِداري . لَقَدْ شَعَرْتُ الآنَ بِجُرْحي يَنْزِفُ مَرَّةً ثانِيَةً ، وَلا أُريدُ مُضايَقَةَ هَذا الرَّجُلِ بِمَنْظَرِ الدَّمِ الَّذي لَمْ يَكُنْ هُوَ السَّبَبَ فيهِ . »

قالَ دارتانيان : « إِذًا ، فَسَأُقاتِلُ ، أَنا أَيْضًا وَأَنا مُرْتَدٍ صِداري . »

صاحَ پورثوس قائِلاً : « هَيّا ، هَيّا ، كَفى شَكاوى ، وَتَذَكَّرا – مِنْ فَضْلِكُما – أَنَّنا نَنْتَظِرُ دَوْرَيْنا . »

قاطَعَهُ أراميس بِقَوْلِهِ : « تَكَلَّمْ عَنْ نَفْسِكَ . أَعْتَقِدُ أَنَّ ما قالاهُ جِدُّ صَحيحٍ ، وَيَليقُ بِسَيِّدَيْنِ . »

ما كادَ السَّيْفانِ يَلْتَقِيانِ مَعًا ، حَتّى ظَهَرَتْ جَماعَةٌ مِنْ حَرَسِ الكارْدينالِ تَحْتَ إِمْرَةِ السَّيِّدِ دي جوساك ، عِنْدَ ناصِيَةِ القَصْرِ .

صاحَ أراميس وَپورثوس ، في اللَّحْظَةِ نَفْسِها قائِلَيْنِ : « حَرَسُ الكارْدينالِ ! أَغْمِدا سَيْفَيْكُما . »

الفصل الحادي عشر

دارتانيان يَتَّخِذ قراراً سَريعاً

فاتَ أَوانُ أَنْ يُغْمِدَ كُلٌّ مِنْ آثوس وَدارتانيان سَيْفَيْهِما ، فَقَدْ شوهِدا ، وَبَدا واضِحًا ما كانا يَنْتَوِيانِ .

صاحَ جوساك وَهُوَ يَتَقَدَّمُ مَعَ رِجالِهِ بِقَوْلِهِ : « مَرْحى ! أَراكُما تَتَبارَزانِ . يَبْدو أَنَّكُما نَسيتُما القانونَ . »

قالَ آثوس ، وَهُوَ في سَوْرَةِ غَضَبِهِ ، لِكَوْنِ جوساك أَحَدَ الحُرّاسِ الَّذين قاموا بِالهُجومِ الغادِرِ عَلى الفُرْسانِ في اليَوْمِ السّابِقِ: « لَسْتُ مُتَمَسِّكًا تَمامًا بِالقانونِ ، فَلَوْ رَأَيْتُكَ تُقاتِلُ ، فَلَنْ أَبْذُلَ أَيَّ جَهْدٍ في أَنْ أَتَدَخَّلَ . اُتْرُكْنا وَشَأْنَنا ، وَأَنْتَ وَشَأْنَكَ ! »

قالَ جوساك ، وَهُوَ مَمْلوءٌ ثِقَةً بِالنَّفْسِ : « لَنْ أَسْمَحَ بِكَسْرِ القانونِ ، يا سادَةُ ، حَتّى وَلَوْ كانَ الَّذينَ يَكْسِرونَهُ هُمُ الفُرْسانَ . أَغْمِدا سَيْفَيْكُما ، وَاتْبَعاني . »

لَمْ يَتحرَّكِ الفُرسانُ .

وَتمتَمَ آثوس بِقَوْلِهِ : « إِنَّهُمْ خمْسَةٌ ، وَنَحْنُ ثَلاثَةٌ فَقَطْ ، وَسَيَتَغَلَّبونَ عَلَيْنا مرَّةً ثانِيَةً . أمَّا عَنْ نَفْسي ، وَإِنْ حَدَثَ هذا ، فَلَنْ أَجْرُؤَ عَلى الظُّهورِ مَرَّةً أُخْرى ، أمامَ قائِدِنا .»

اِقْتَربَ آثوس وَپورْثوس وَآراميس ، كُلٌّ مِنَ الآخرِ ، وَجَعَلَ جُوساك رِجالَهُ مُصْطَفّينَ في وَضْعِ اسْتِعْدادٍ ، لِلْهُجومِ عِنْدَ الضَّرورَةِ .

قَرَّرَ دارتانيان قَرارَهُ عَلى الفَوْرِ . كانَ هَذا أَحَدَ الأَحْداثِ الَّتي تُقَرِّرُ حَياةَ المَرْءِ . كانَ الأمْرُ بِالنِّسْبَةِ لَهُ اخْتِياراً بَيْنَ المَلِكِ وَالكارْدينالِ ، فاسْتَدارَ نَحْوَ آثوس وَصَديقَيْهِ وَقالَ : « أرْجوكُمْ ، أَيُّها السَّادَةُ ، أنْ تَسْمَحوا لي بأنْ أضيفَ شَيْئاً إلى كَلامِكُمْ . لَقَدْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ ثَلاثَةٌ ، وَلكِنْ يَبدو لي أَنَّنا أَرْبَعَةٌ .»

قالَ پورْثوس : « وَلكِنَّكَ لَسْتَ واحِداً مِنّا .»

رَدَّ دارتانيان ، وَهُوَ يَنْحَني بِشِدَّةٍ : « أنا ، في قَرارَةِ نَفْسي ، فارِسٌ . قَدْ لا أَحْصُلُ عَلى حُلَّةِ الفارِسِ الرَّسْمِيَّةِ ، وَلكِنْ لي روحُ الفارِسِ .»

صاحَ جُوساك ، وَقَدْ خمَّنَ قَصْدَ دارتانيان مِنْ إيماءاتِهِ ، وَالمَلامِحِ المُعَبِّرَةِ البادِيَةِ في وَجْهِهِ ، قائِلاً : « اِنْسَحِبْ ، أَيُّها الشَّابُّ . انسحِبْ

في الحال . إِنَّنا نَسْمَحُ لك بِالانْسِحابِ . أُنْجُ بِحياتِكَ ، وَانْصَرِفْ سَريعاً .»

غَيْرَ أنَّ دارتانيان لَمْ يَتحرَّكْ .

وَاسْتَطْرَدَ آثوس قائِلاً : « يَجِبُ عَلَيْنا أنْ نَكونَ ثَلاثَةً فَقَطْ أَحَدُهُمْ جَريحٌ ، مَعَ إضافَةِ غُلامٍ . وَرَغْمَ ذَلِكَ ، فَسَيُقالُ إنَّنا كُنَّا أَرْبَعَةَ رِجالٍ .»

أَدْرَكَ دارتانيان شُكوكَهُمْ فيهِ ، فَقالَ : « جَرِّبوني ، يا سادَةُ ، وَسأُثْبِتُ لَكُمْ أنَّني لَنْ أَبْرَحَ هذا المَكانَ مَهْزوماً .»

سَأَلَهُ آثوس بِإِعْجابٍ : « يا لَكَ مِنْ شُجاعٍ ! ما اسْمُكَ ؟»

« دارتانيان ، يا سَيِّدي .»

صاحَ آثوس قائِلاً : « حَسَنٌ ، يا پورْثوس ، وَيا أراميس ، وَيا دارتانيان ، فَلْنَصْمُدْ .»

صاحَ جُوساك غاضِباً : « هيّا ، يا سادَةُ ، هَلْ قَرَّرْتُمْ ما سَتَفْعَلونَ ؟»

أجابَ أراميس رافِعاً قُبَّعَتَهُ بِإِحْدى يَدَيْهِ ، وَمُشْهِراً سَيْفَهُ بِالأُخْرى : « أَجَلْ ، نَحْنُ موشِكونَ عَلى أنْ يَكونَ لنا شَرَفُ

مُواجَهَتِكُمْ .»

صاحَ جُوساك : « هَكَذا ! إِذاً فَأَنْتُمْ مُصَمِّمونَ ؛ أَ لَيْسَ كَذَلِكَ ؟»

اِنْقَضَّ الحُرّاسُ الخَمْسَةُ بِوَحْشِيَّةٍ عَلى الفُرْسانِ الثَّلاثَةِ ، وَمَعَهُمْ دارتانيان .

لَمْ يَسْتَغْرِقِ القِتالُ إِلاّ وَقْتاً قَصيراً ، فَكانَ سَريعاً وَضارِياً ، إِلاّ أَنَّهُ سَرْعانَ ما اكْتَشَفَ دارتانيان أَنَّهُ نِدٌّ لِأَيٍّ مِنَ الحُرّاسِ . وَلَمْ يَمْضِ وَقْتٌ طَويلٌ ، حَتّى قُتِلَ أَحَدُ الحُرّاسِ ، وَجُرِحَ ثَلاثَةٌ آخَرونَ بِجُروحٍ بالِغَةٍ ؛ فَلَمْ يَسْتَطيعوا مُواصَلَةَ القِتالِ . فَلَمّا رَأى الحارِسُ الباقي نَفْسَهُ وَحيداً أَمامَ أَرْبَعَةِ فُرْسانٍ ، كَسَرَ سَيْفَهُ عَلى رُكْبَتِهِ لِيَتَحاشى الاسْتِسْلامَ .

تُحْتَرَمُ الشَّجاعَةُ دائِماً في أَيِّ مَكانٍ ، حَتّى لَدى العَدُوِّ نَفْسِهِ ؛ فَحَيّا الفُرْسانُ الحارِسَ الباقِيَ بِسُيوفِهِمْ ، وَأَعادوها إِلى أَغْمادِها ، وَحَذا دارتانيان حَذْوَهُمْ . وَبَعْدَ ذَلِكَ ، بِمُساعَدَةِ ذَلِكَ الحارِسِ ، نَقَلوا الجَرْحى إِلى بابِ القَصْرِ ، وَدَقّوا الجَرَسَ .

اِنْصَرَفَ الأَرْبَعَةُ الظّافِرونَ مُشْهِرينَ سُيوفَهُمْ ، مُبْتَهِجينَ مُيَمِّمينَ شَطْرَ مَقَرِّ السَّيِّدِ دي تريفي . وكانوا يُغَنّونَ وَهُمْ يَسيرونَ ، وَقَدْ تَأَبَّطَ

كُلٌّ مِنْهُمْ ذِراعَ الآخَرِ ، شاغِلينَ الشّارِعَ كُلَّهُ . وَانْضَمَّ إِلَيْهِمْ كُلُّ فارِسٍ الْتَقَوْهُ ، حَتّى كَوَّنوا في النِّهايَةِ مَسيرَةَ انْتِصارٍ . وَامْتَلأَ دارتانيان فَرَحاً وَهُوَ يَسيرُ فَخوراً بَيْنَ آثوس وَبورْثوس .

أَنَّبَ السَّيِّدُ دي تريفي الفُرْسانَ الثَّلاثَةَ عَلَناً ، وَرَغْمَ ذَلِكَ فَقَدْ هَنَّأَهُمْ فيما بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ، عَلى انْتِقامِهِمُ السَّريعِ الحاسِمِ مِنْ حَرَسِ الكارْدينالِ .

وَنَتيجَةً لِمَسْلَكِ دارتانيان ، الَّذي لا يَهابُ شَيْئاً ، أُلْحِقَ عَلى الفَوْرِ بِجَماعَةٍ مِنْ حَرَسِ المَلِكِ ، لِلتَّدْريبِ تَحْتَ إِمْرَةِ السَّيِّدِ ديسار . وَهَكَذا ، في ظُروفٍ أَكْثَرَ مُلاءَمَةً مِمّا كانَ بِوُسْعِ ذَلِكَ الغَسْقونِيِّ الشّابِّ أَنْ يَتَصَوَّرَ ، وَجَدَ نَفْسَهُ في طَريقِهِ لِأَنْ يُصْبِحَ فارِساً . وَعِلاوَةً عَلى ذَلِكَ ، رُحِّبَ بِهِ رَفيقاً لِلثَّلاثَةِ الَّذينَ لا يَنْفَصِلونَ : آثوس وَبورْثوس وَأَراميس ، وَصارَ يَقْضي مَعَهُمْ جُلَّ وَقْتِهِ .



الفصل الثاني عشر

ميلادي

بَعْدَ ذَلِكَ بِنحْوِ شَهْرَيْنِ ، تَصادَفَ أنْ كانَ دارتانيان يَسيرُ مُتباطِئاً في أحَدِ شَوارِعِ باريس ، فإذا بِسَيِّدَةٍ تَجْذِبُ انْتِباهَهُ ، وَهِيَ تَهْبِطِ دَرَجاتِ سُلَّمِ مَنْزِلٍ . لَمْ تَكُنْ صَغيرَةَ السِّنِّ وَبارِعَةَ الجَمالِ فَحَسْبُ ، بَلْ كانَ مِنَ الواضِحِ أَنَّها سَيِّدَةٌ مِنْ طَبَقَةٍ راقِيةٍ ؛ إذْ كانَتْ تَسيرُ خَلْفَها خادِمَتانِ . وَبَيْنَما هِيَ تَسْتَديرُ لِتُصْدِرَ أمْراً لإحْداهُما ، قَفَزَ قَلْبُ دارتانيان ، إذْ عَرَفَ أَنَّها سَيِّدَةُ مِيونْغ – السَّيِّدَةُ الَّتي خاطَبَها الرَّجُلُ ذو النَّدَبِ بِقَوْلِهِ : « ميلادي .»

لِحُسْنِ حَظِّ دارتانيان أنَّ تِلْكَ السَّيِّدَةَ لَمْ تَتَعَرَّفْ عَلَيْهِ ؛ وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ أمْكَنَهُ أن يَقْتَفِيَ أثَرَها دونَ أنْ تَنْتَبِهَ إلَيْهِ . رَكِبَتْ عَرَبَتَها عِنْدَ قارِعَةِ الطَّريقِ تَماماً ، وَسَمِعَها تَأْمُرُ سائِقَها بِأنْ يَسيرَ في الطَّريقِ المُؤَدِّي إلى سان جيرْمان – وَهِيَ ضاحِيَةٌ جَميلةٌ خارِجَ باريس .

لَمْ يَكُنِ اهْتِمامُ دارتانيان الشَّديدُ بِميلادي ؛ بِسَبَبِ جَمالِهِ الفاتِنِ ، الَّذي جَذَبَهُ يَقيناً ، وَإِنَّما لأَنَّهُ تَأَكَّدَ مِنْ أَنَّها إِحْدى جَواسيسِ الكارْدينالِ ، وَتاقَ إِلى اكْتِشافِ اللُّغْزِ المُحيطِ بِها . أَضِفْ إِلى ذَلِكَ ، أَنَّها تَحَدَّثَتْ إِلى عَدُوِّهِ – الرَّجُلِ ذي النَّدَبِ ، وَبِناءً عَلَيْهِ ، فَلا بُدَّ أَنَّها تَعْرِفُهُ . فَإِذا ما تَتَبَّعَها ، فَقَدْ تَقودُهُ إِلى ذَلِكَ الرَّجُلِ ، وَبِطَريقَةٍ ما ، أَوْ بِغَيْرِها ، يُمْكِنُهُ أَنْ يَكْتَشِفَ شَيْئاً عَنْهُ .

وَإِذْ كانَ مِنَ العَبَثِ أَنْ يَتْبَعَ العَرَبَةَ عَلى قَدَمَيْهِ ، فَقَدْ أَسْرَعَ إِلى إِسْطَبْلِ خُيولِ الحَرَسِ ، وَانْتَقى حِصاناً . وَسُرْعانَ ما كانَ في طَريقِهِ هُوَ أَيْضاً ، إِلى سان جيرمان .

لَمْ يَسْتَغْرِقْ بَحْثُهُ عَنْ آثارِ العَرَبَةِ طَويلاً ، إِذْ رَآها تَجُرُّها الخُيولُ في شارِعٍ جانِبِيٍّ هادِئٍ ، وَيَسيرُ إِلى جانِبِها رَجُلٌ فَخْمُ المَلْبَسِ ، عَلى صَهْوَةِ جَوادِهِ .

شُغِلَ الرَّجُلُ مَعَ ميلادي في حَديثٍ هامٍّ ، فَاقْتَرَبَ دارتانيان مِنَ الجانِبِ الآخَرِ لِلْعَرَبَةِ ، دونَ أَنْ يَلْحَظَهُ أَحَدٌ سِوى خادِمَةِ تِلْكَ السَّيِّدَةِ الحَسْناءِ ، الجالِسَةِ قُبالَةَ سَيِّدَتِها .

كانا يَتَكَلَّمانِ بِالإِنْجليزِيَّةِ ، وَهِيَ لُغَةٌ لا يُتْقِنُها دارتانيان كَثيراً ، وَلَكِنَّهُ اسْتَطاعَ أَنْ يُدْرِكَ أَنَّ السَّيِّدَةَ الإِنْجليزِيَّةَ النَّبيلَةَ المَرْأى ، كانَتْ في قِمَّةِ سَوْرَتِها . وَفَجْأَةً تَوَقَّفَتْ عَنِ الكَلامِ ، وَضَرَبَتِ الرَّجُلَ

بِمِرْوَحَتِها ، بِقُوَّةٍ جَعَلَتِ المِرْوَحَةَ تَتَناثَرُ في الهَواءِ قِطَعاً صَغيرَةً .

ضَحِكَ الرَّجُلُ ، عَلى حينَ جَلَسَتْ ميلادي ، تَلْوي مِنْديلَها بِعُنْفٍ وَتُمَزِّقُهُ في ثَوْرَةٍ عارِمَةٍ .

بَدا لِدارتانيان ، أَنَّ هَذِهِ اللَّحْظَةَ مُناسِبَةٌ ، لِكَيْ يَتَدَخَّلَ ؛ فَخَلَعَ قُبَّعَتَهُ وَانْحَنى لِلسَّيِّدَةِ قائِلاً : « هَلْ تَسْمَحينَ لي ، يا سَيِّدَتي ، بِأَنْ أُقَدِّمَ لَكِ خِدْماتي ؟ يَبْدو لي أَنَّ هَذا السَّيِّدَ يُضايِقُكِ . ما عَلَيْكِ سِوى أَنْ تَأْمُري ، يا سَيِّدَتي ، فَأُعاقِبَهُ عَلى سوءِ خُلُقِهِ ! »

حينَ سَمِعَتْ ميلادي هَذِهِ الكَلِماتِ ، اسْتَدارَتْ بِدَهْشَةٍ ، وَنَظَرَتْ إِلى هَذا الشّابِّ ، ثُمَّ أَجابَتْ في هُدوءٍ بِالفَرَنْسِيَّةِ : « لا شَكَّ ، يا سَيِّدي ، في أَنَّني أَضَعُ نَفْسي في حِمايَتِكَ ، لَوْ لَمْ يَكُنِ الشَّخْصُ الَّذي أَتَعارَكُ مَعَهُ ، هُوَ أَخي ! »

قالَ دارتانيان : « رَبّاهُ ! آمُلُ في أَنْ تَصْفَحي عَنّي ، يا سَيِّدَتي ، إِذْ لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ هَذا . »

سَأَلَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَنْحَني نَحْوَ نافِذَةِ العَرَبَةِ ، قائِلاً : « ماذا يُريدُ هَذا الغَبِيُّ ؟ وَلِمَ لا يَذْهَبُ وَشَأْنَهُ ؟ »

صاحَ دارتانيان ، وَهُوَ يَنْحَني أَيْضاً ، وَيُجيبُ مِنْ جانِبِهِ خِلالَ نافِذَةِ العَرَبَةِ : « الغَبِيُّ هُوَ أَنْتَ ! وَأَنا لَنْ أَذْهَبَ لأَنَّهُ يَسُرُّني أَنْ أَقِفَ

هُنا .»

عِنْدَ ذَلِكَ تَحَدَّثَ الرَّاكِبُ مَعَ أختِهِ بِبِضْعِ كَلِماتٍ بِالإنْجليزِيَّةِ .

فَقالَ دارتانيان : « تَحَدَّثْتُ إلَيْكَ بِالفَرَنْسِيَّةِ ، فَلِمَ لا تَرُدُّ عَلَيَّ بِاللُّغَةِ نَفْسِها ؟ قَدْ تَكونُ شَقيقَ هَذِهِ السَّيِّدَةِ ، وَلَكِنْ لِحُسْنِ الحَظِّ أنَّكَ لَسْتَ شَقيقي !»

مِنَ المُؤكَّدِ أن يَظُنَّ الإنْسانُ أنَّ ميلادي سَتَجْبُنُ ، مِثْلَ عُمومِ النِّساءِ ، فَتُحاوِلُ إيقافَ ذَلِكَ العِراكِ . وَلَكِنَّها ، عَلى العَكْسِ ، جَلَسَتْ في مَقْعَدِها بِالعَرَبَةِ ، وَأمَرَتْ سائِقَها في هُدوءٍ ، بِأنْ يَعودَ أدْراجَهُ إلى باريس .

مِنَ الجَلِيِّ أنَّ خادِمَةَ هَذِهِ السَّيِّدَةِ الجَميلَةِ قَدْ تأثَّرَتْ بِمَظْهَرِ دارتانيان الحَسَنِ ، إذْ ظَلَّتْ عَيْناها مَشْدودَتَيْنِ إلَيْهِ ، وَبَدا عَلى وَجْهِها القَلَقُ ، حينَ سارَتِ العَرَبَةُ تارِكَةً الرَّجُلَيْنِ ، يُواجِهُ كُلٌّ مِنْهُما الآخَرَ .

قامَ شَقيقُ ميلادي بِحَرَكَةٍ ، وَكَأنَّهُ سَيَتْبَعُ العَرَبَةَ ، إلاّ أنَّ دارتانيان اسْتَوْقَفَهُ قائِلاً : « يَبْدو لي ، يا سَيِّدي ، أنَّكَ أغْبى مِنِّي ؛ إذْ سُرْعانَ ما نَسيتَ أنَّ ثَمَّةَ عِراكاً بَسيطاً بَيْنَنا يَجِبُ تَسْوِيَتُهُ !»

قالَ الرَّجُلُ الإنْجليزِيُّ : « أ تَرْغَبُ في نِزالِ رَجُلٍ أعْزَلَ ؟

يُمْكِنُكَ أنْ تَرى بِوُضوحٍ أنْ لَيْسَ مَعي سَيْفٌ .»

« عَسى أنْ يَكونَ لَدَيْكَ سَيْفٌ في البَيْتِ ؛ فَإنْ لَمْ يَكُنْ ، فَمَعي اثْنانِ ، أعيرُكَ واحِداً مِنْهُما .»

قالَ الرَّجُلُ الإنْجليزِيُّ : « هَذا لَيْسَ ضَرورِيًّا . أنا مُزَوَّدٌ بِأمْثالِ هَذِهِ اللُّعَبِ !»

قالَ دارتانيان : « حَسَنٌ جِدًّا ، يا سَيِّدي ، هاتِ أطْوَلَ سَيْفٍ عِنْدَكَ ، وَتَعالَ أرِنيهِ هَذا المَساءَ .»

« أيْنَ ؟»

« خَلْفَ قَصْرِ لوكْسُمبورغ . هُناكَ ساحَةٌ هائِلَةٌ لِلألْعابِ ، بِجانِبِ القَصْرِ . وَهُناكَ سألَقِّنُكَ كَيْفَ تَلْعَبُ !»

« عَظيمٌ ! سأكونُ بِانْتِظارِكَ .»

« في أيِّ وَقْتٍ ؟»

« في السَّاعَةِ السَّادِسَةِ . وَلْتَصْطَحِبْ مَعَكَ – بِهَذِهِ المُناسَبَةِ – صَديقاً أوِ اثْنَيْنِ .»

« لَدَيَّ ثَلاثَةٌ ، سَيَكونُ مَدْعاةً لِسُرورِهِمْ أنْ يَنْضَمُّوا إلى هَذِهِ اللُّعْبَةِ مَعي .»

« ثلاثَةٌ ؟ هَذا رائِعٌ ! فَعَدَدُ أصْدِقائي كَذَلِكَ ثَلاثَةٌ . بِهَذِهِ المُناسَبَةِ خَبِّرْني مَنْ تَكونُ ؟»

« أنا السَّيِّدُ دارتانيان ، رَجُلٌ غَسقونِيٌّ ، أعْمَلُ في حَرَسِ المَلِكِ . وَمَنْ أنْتَ ؟»

« أنا اللُّورْد وِينْتر ، بارون شِفيلد .»

قالَ دارتانيان : « حَسَنٌ جِدًّا . إذًا ، فَمَوْعِدُنا السَّاعَةُ السَّادِسَةُ هَذا المَساءَ .» وَأدارَ حِصانَهُ ، وَانْطَلَقَ عائِداً بِهِ إلى باريس .

وَكالمُعْتادِ في مِثْلِ هَذِهِ الحالاتِ ، ذَهَبَ دارتانيان مُباشَرَةً إلى مَنْزِلِ آثوس ، وحَكى لَهُ كُلَّ ما حَدَثَ .

اِنْطَلَقَ الاثْنانِ مِنْ فَوْرِهِما ، إلى بورْثوسَ وَأراميس ، فَلَمَّا قَدِما أخْبَراهُما بِالمَوْعِدِ المُتَّفَقِ عَلَيْهِ في المَساءِ خَلْفَ قَصْرِ لوكْسُمْبورغ .

اِسْتَلَّ بورْثوس حُسامَهُ ، وَلَوَّحَ بِهِ في الهَواءِ مَزْهُوًّا بِما سَيَفْعَلُهُ بِخَصْمِهِ .

ذَهَبَ أراميس إلى حُجْرَةٍ أخْرى ، في هُدوءٍ ، لِيُكْمِلَ قَصيدَةً كانَ يَنْظِمُها ، وَطَلَبَ مِنْهُمْ ألا يُزْعِجوهُ إلى أنْ يَحينَ وَقْتُ المُبارَزَةِ .

أشارَ آثوس إلى خادِمِهِ جريمو لِيُحْضِرَ لَهُ زُجاجَةً أخْرى مِنَ

العَصيرِ .

شَغَلَ دارتانيان نَفْسَهُ بِالتَّفْكيرِ في تَفاصيلِ خُطَّةٍ – سَوْفَ نَقْرأ المَزيدَ عَنْها فيما بَعْدُ – تُهَيِّئُ لَهُ مُغامَرَةً مَقْبولَةً ، كَما يُسْتَنْتَجُ مِنَ الابْتِسامات التي تَبْدو في وَجْهِهِ بَيْنَ آوِنَةٍ وَأخْرى .

الفصل الثالث عشر

آثوس يُحافِظُ على كَلِمتِه
وَدارتانيان يَنْجَحُ في خُطَّتِه

قُبَيْلَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ ، رَكِبَ دارتانيان وَأَصْدِقاؤُهُ الثَّلاثَةُ جِيادَهُمْ ، يَتْبَعُهُمْ خَدَمُهُمُ الأَرْبَعَةُ ، وَساروا نَحْوَ السَّاحَةِ الهادِئَةِ الواقِعَةِ وَراءَ قَصْرِ لوكسُمْبورغ . وَأَصْدَروا أَوامِرَهُمْ إلى خَدَمِهِمْ بِأَنْ يَرْصُدوا ما يَقَعُ مِنْ أَحْداثٍ . وَبَعْدَ بِضْعِ دَقائِقَ ، جاءَتْ عَرَبَةٌ إلى المَدْخَلِ ، فَنَزَلَ مِنها لُورْد وينْتر وَثَلاثَةُ رِجالٍ ، وَساروا في صَمْتٍ نَحْوَ دارتانيان وَالفُرْسانِ الثَّلاثَةِ . وَ تَبَعاً لِلتَّقاليدِ ، تَمَّ التَّعارُفُ . وَكانَ جَميعُ رُفَقاءِ اللُّورد وينْتر مِنْ ذَوي المَكانَةِ ، وَمِنَ الطَّبيعيِّ أَنْ كانَتِ الأَسْماءُ غَيْرُ العادِيَّةِ لِخُصومِهِمْ مَوْضِعَ مُفاجَأَةٍ وَقَلَقٍ .

قالَ لُورْد وينْتر : « لَمْ نَعْرِفْ ، حَتَّى الآنَ ، مَنْ أَنْتُمْ ؛ فَنَحْنُ لا نُقاتِلُ أُناساً لَهُمْ هَذِهِ الأَسْماءُ . إنَّها لَيْسَتْ أَسْماءَ أَشْخاصٍ . »

قالَ آثوس : « إنَّها أَسْماءٌ حَرَكِيَّةٌ ، كَما قَدْ يَتَبادَرُ إلى ذِهْنِكَ . »

وَكانَتْ هَذِهِ هِيَ الحَقيقَةَ ؛ إذْ لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ أَسْماءَهُمُ الحَقيقِيَّةَ ، وَلا حَتَّى هُمْ أَنْفُسُهُم لَمْ يَعْرِفْ أَحَدُهُمُ اسْمَ الآخَرِ ، فيما عَدا السَّيِّدَ دي تريفي .

رَدَّ اللُّورد بِقَوْلِهِ : « يُوَلِّدُ هَذا فينا رَغْبَةً أَكْثَرَ في أَنْ نَعْرِفَ الأَسْماءَ الحَقيقِيَّةَ . يُقامِرُ المَرْءُ أَوْ يَلْعَبُ الوَرَقَ مَعَ أَيِّ إنْسانٍ ، وَلكِنَّهُ لا يُبارِزُ إلَّا مَنْ يَكونُ نِدّاً لَهُ . »

قالَ آثوس : « وَهُوَ كَذَلِكَ . » وانْتَحى جانِباً بِمَنْ سَيُقاتِلُهُ ، وَأَخْبَرَهُ بِاسْمِهِ ، هَمْساً . وَفَعَلَ بُورْثُوس وَأراميس الشَّيْءَ نَفْسَهُ .

قالَ آثوس لِخَصْمِهِ : « أَ يُرْضيكَ هَذا ؟ أَ تَجِدُ رُتْبَتي كافِيَةً لِأَكونَ في شَرَفِ مُبارَزَتِكَ بِالسَّيْفِ ؟ »

رَدَّ الرَّجُلُ بِانْحِناءَةٍ وَهُوَ يَقولُ : « أَجَلْ . »

وَاسْتَطْرَدَ آثوس يَقولُ بِبُرودٍ : « حَسَنٌ ! دَعْني أُخْبِرْكَ الآنَ بِشَيْءٍ آخَرَ ؛ كانَ مِنَ الحِكْمَةِ أَلا تُصِرَّ عَلى مَعْرِفَةِ اسْمي . إنَّ النَّاسَ يَعْتَقِدونَ أَنَّني مَيِّتٌ ، وَلَدَيَّ مِنَ الأَسْبابِ ما يَجْعَلُني راغِباً في الحِفاظِ عَلى هَذا السِّرِّ . وَلِذَلِكَ سَأُضْطَرُّ إلى قَتْلِكَ حِفاظاً عَلى سِرّي ! » وَحَمْلَقَ إلَيْهِ خَصْمُهُ مُعْتَقِداً أَنَّهُ يَمْزَحُ . وَلكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِمازِحٍ ، فَهُوَ لَمْ يَعْرِفِ المُزاحَ قَطُّ .



قالَ آثوس ، بَعْدَ لحظَةٍ ، يُخاطِبُ زُملاءَهُ وَخُصومَهُمْ : « أيُّها السَّادةُ ، هَلْ نَحْنُ جميعاً مُسْتَعِدُّونَ ؟» وَجاءَ الرَّدُّ مِنْهُمْ جميعاً ، وَفي صَوْتٍ واحِدٍ : « نَعَمْ !»

صاحَ آثوس : « إذاً ، فَخُذوا حِذْرَكُمْ .»

وَفي الحالِ ، تَألَّقَتْ نِصالُ ثَمانيَةِ سُيوفٍ في أشِعَّةِ الشَّمْسِ .

بارَزَ آثوس في هُدوءٍ وَبِطَريقَةٍ مَدْروسَةٍ ، وَكَأَنَّهُ يَتَدَرَّبُ في مَدْرَسَةٍ لِلْمُبارَزَةِ بِسُيوفِ الشَّيْشِ . أمَّا بورْثوس ، فَرُبَّما كانَ أقَلَّ مَجْهوداً مِنَ المُعْتادِ ، قاتَلَ بِمَهارَةٍ وَلكِنْ بِحَذَرٍ . وَأمَّا أراميس ، الَّذي كانَ لا بُدَّ لَهُ مِنْ أنْ يُكْمِلَ نَظْمَ قِطْعَةٍ شِعْرِيَّةٍ ثالِثَةٍ لِقَصيدَتِهِ ، فَكانَ مِنَ الجَلِيِّ أنَّهُ مُتَعَجِّلٌ . وَرَغْمَ ذَلِكَ ، كانَ آثوس أوَّلَ مَنْ هَزَمَ خَصْمَهُ بِضَرْبَةِ سَيْفٍ في قَلْبِهِ فَأرْداهُ قَتيلاً . لَقَدْ حافَظَ عَلى كَلِمَتِهِ ! وَرَقَدَ خَصْمُ بورْثوس بَعْدَهُ مُمَدَّداً فَوْقَ الأعْشابِ مَجْروحاً في فَخِذِهِ ، فَحَمَلَهُ بورْثوس بِذِراعَيْهِ وَنَقَلَهُ إلى العَرَبَةِ المُنْتَظِرَةِ . وَهاجَمَ أراميس خَصْمَهُ بِوَحْشِيَّةٍ حَتَّى إنَّهُ سَرْعانَ ما اسْتَسْلَمَ . أمَّا دارتانيان فَقاتَلَ مُلْتَزِماً الدِّفاعَ في بَساطَةٍ ، حَتَّى أبْصَرَ لورْد وِينْتر وَقَدْ أنْهَكَهُ التَّعَبُ ، فَأدارَ نَصْلَ حُسامِهِ دَوْرَةً فُجائِيَّةً أطارَتْ الحُسامَ مِنْ يَدِهِ ، فَحاوَلَ اللَّوْرْدُ اسْتِعادَةَ سَيْفِهِ ، غَيْرَ أنَّ قَدَمَهُ زَلَّتْ ، فَوَقَعَ عَلى ظَهْرِهِ .

وَفي لَحْظَةٍ كانَ دارتانيان واقِفاً فَوْقَهُ ، يُشيرُ بِسَيْفِهِ إلى رَقَبَتِهِ .

وَبَقِيَ لُورْد وِينتر تَحْتَ رَحْمَةِ دارتانيان ، وَهَكَذا حَقَّقَ هَذا الأخيرُ الجُزْءَ الأَوَّلَ مِنْ خُطَّتِهِ ، الَّتي كانَ يُفكِّرُ فيها آنِفاً .

قالَ دارتانيان : « بِوُسْعِيَ الإجْهازُ عَلَيْكَ ، وَلَكِنّي سَأُبْقي عَلى حَياتِكَ إِكْراماً لأُخْتِكَ .»

نَهَضَ لُورْد وِينتر بِبُطْءٍ مُنْتَصِباً على قَدَمَيْهِ ، ثُمَّ انْحنى اعْتِرافاً بِفَضْلِ دارتانيان ، وَاسْتَدارَ إلى الفُرْسانِ الثَّلاثَةِ ، فَأَثْنى عَلى مَهارَتِهِمْ .

قالَ لُورْد وِينْتر لِدارتانيان : « أيْ صَديقِيَ الشّابَّ ، إنْ سَمَحْتَ لي بِأَنْ أُناديكَ بِهَذا ، أَوَدُّ أَنْ تُقابِلَ أُخْتي ، لِيدي وِينْتر ، كَيْ تُضيفَ شُكْرَها إلى شُكْري .»

أَشْرَقَ وَجْهُ دارتانيان سُروراً ، وَأَبْدى مُوافَقَتَهُ بِانْحِناءَةٍ شَديدَةٍ .

وَقَبْلَ أَنْ يَنْصَرِفَ اللُّورْد وِينتر ، أَعْطى دارتانيان عُنْوانَ أُخْتِهِ – رَقْمُ ٦ ، المَيْدانُ المَلَكِيُّ – وَهُوَ يَقَعُ في مِنْطَقَةٍ جِدَّ راقِيَةٍ . وَ وَعَدَهُ بِأَنْ يَذْهَبَ إِلَيْهِ في ذَلِكَ المَساءِ لِكَيْ يَصْحَبَهُ إلى هُناكَ ، فَحَدَّدَ لَهُ دارتانيان السَّاعَةَ الثَّامِنَةَ في بَيْتِ آثوس .

أَسْرَعَ دارتانيان إِلى بَيْتِهِ مُباشَرَةً ، فَاسْتَبْدَلَ مَلابِسَهُ وَارْتَدى أَفْضَلَ حُلَّةٍ ، وَأَسْرَعَ إِلى آثوس فَأَخْبَرَهُ بِخُطَطِهِ فيما يَخْتَصُّ بِميلادي .

أَصْغى إِلَيْهِ آثوس مَلِيّاً ، ثُمَّ هَزَّ رَأْسَهُ بِبُطْءٍ ، ناصِحاً إيّاهُ بِأَنْ يَحْتاطَ جَيِّداً . وَلَمْ يَتَنَبَّهْ دارتانيان لِنَغْمَةِ الحُزْنِ الَّتي شابَتْ صَوْتَهُ .

قالَ دارتانيان : « أنا لَمْ أَقَعْ في غَرامِ ميلادي ، وإنَّما هَدَفي الوَحيدُ ، هُوَ أَنْ أَكْتَشِفَ بِالضَّبْطِ ، الدَّوْرَ الَّذي تَقومُ بِهِ في البَلاطِ .»

« يا لَرَحْمَةِ السَّماءِ ! لَيْسَ هَذا صَعْبَ التَّخْمينِ ، بَعْدَ الَّذي أَخْبَرْتَني بِهِ . لا شَكَّ في أَنَّها وَالرَّجُلَ ذا النَّدَبِ مِنْ جَواسيسِ الكارْدينالِ . كُنْ عَلى حَذَرٍ ، وَإلّا جَرَّتْكَ إِلى شَرَكٍ لَنْ تُفْلِتَ مِنْهُ !»

« عَزيزي آثوس ، إِنَّكَ تَنْظُرُ دائِماً إِلى الجانِبِ المُعْتِمِ مِنَ الأُمورِ.»

« أنا لا أَثِقُ بِالنِّساءِ ، ولا سِيَّما الجَميلاتِ مِنْهُنَّ . كَيْفَ لي أَنْ أُفَكِّرَ في غَيْرِ ذَلِكَ ! لَقَدِ اشْتَرَيْتُ خِبْرَتي غالِياً . قُلْ لي ، هَلْ ميلادي جَميلَةٌ ؟»

« إِنَّها مِنْ أَجْمَلِ النِّساءِ اللائي وَقَعَتْ عَلَيْهِنَّ عَيْنايَ !»

« آهٍ ، يا عَزيزي دارتانيان المِسْكينَ !»

« اِسْمَعْ ، يا آثوس ، أنا لا أُريدُ إِلّا أَنْ أَكْتَشِفَ شَيْئاً ما ، وَعِنْدَما أَكْتَشِفُهُ ، فَلَنْ تُهِمَّني هِيَ بَعْدَ ذَلِكَ في كَثيرٍ أَوْ قَليلٍ .»

قالَ آثوس كَسيفًا : « اِفْعَلْ ما يَحْلو لَكَ ، ياصَديقِي الصَّغير ، وَلَكِنِ الْزَمْ جانِبَ الحَذَرِ .»

الفصل الرابع عشر

ميلادي تَسْتَقْبِلُ دارتانيان

بَرَّ لُورد وِينْتر بِوَعْدِهِ ؛ فَذَهَبَ إلى دارتانيان في السَّاعَةِ الثَّامِنَةِ لِيَصْحَبَهُ لِيُقابِلَ أُخْتَهُ ميلادي .

كانَ بَيْتُ ميلادي بِالَمدينَةِ ، أَبْهى بَيْتٍ في الحَيِّ ، وَلَمْ يَدْهَشْ دارتانيان مِنْ كَوْنِهِ مُؤَثَّثًا بِأَغْلى الأثاثِ . في ذَلِكَ الوَقْتِ ، كانَ جُلُّ الإنْجليزِ يُغادِرونَ فَرَنْسا مِنْ جَرَّاءِ الحَرْبِ الُمرْتَقَبَةِ بَيْنَ الإنْجليزِ وَالفَرَنْسِيِّينَ . أَمَّا ميلادي ، فَعَلى العَكْسِ ، إِذْ أَعادَتْ طِلاءَ بَيْتِها . وَبَدا لِلْعِيانِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ ما تَخافُهُ بِبَقائِها في باريس . لاحَظَ دارتانيان هَذِهِ الحَقيقَةَ ، فَدَعَّمَتْ شُكوكَهُ في أَنَّ ثَمَّةَ لُغْزًا يُحيطُ بِها .

قالَ اللُّورْد وِينْتر لِشَقيقَتِهِ : « اِسْمَحي لي بِأَنْ أُقَدِّمَ لَكِ رَجُلاً صَغيرَ السِّنِّ ، كانَتْ حَياتي مُعَلَّقَةً بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُسِئِ انْتِهازَ

الفُرْصَةَ ؛ إذْ أبْقى عَلى حَياتي ، رَغْمَ أنَّني أنا الَّذي بادَرْتُ بِإهانَتِهِ . وَالآنَ ، أ لا بادَرْتِ بِأنْ تُضيفي شُكْرَكِ إلى شُكْري ؟»

بَعْدَ ذَلِكَ اسْتَدارَ اللُّورْد وِينْتر ، لِيَدُقَّ الجَرَسَ كَيْ يَطْلُبَ شَرابًا ، وَمِنْ ثَمَّ ، فَلَمْ يُلاحِظْ مَسْحَةَ الامْتِعاضِ الَّتي مَرَّتْ عَلى وَجْهِ أخْتِهِ . وَرَغْمَ هَذا ، حينَ تَكَلَّمَتْ لَمْ يَبْدُ أيُّ أثَرٍ لِذَلِكَ الامْتِعاضِ ، في صَوْتِها الرَّقيقِ العَذْبِ .

قالَتْ : « يُسْعِدُني أنْ أرَحِّبَ بِكَ ، يا سَيِّدي . يَبْدو لي أنَّكَ نِلْتَ حُقوقًا أبَدِيَّةً في اعْتِرافي بِجَميلِكَ .»

بَعْدَ ذَلِكَ ، رَوى أخوها القِصَّةَ بِالتَّفْصيلِ .

أصْغَتْ ميلادي بِانْتِباهٍ تامٍّ ، وَلَكِنِ اتَّضَحَ لِدارتانيان ، أنَّ هَذِهِ الحِكايَةَ لَمْ تَلْقَ عِنْدَها القَبولَ . وَلاحَظَ كَيْفَ كانَتْ تُعَقِّدُ مِنْديلَها وَتَشُدُّهُ ، كَما لاحَظَ أنَّها كانَتْ تَدُقُّ الأرْضَ بِفَرْدَةٍ مِنْ حِذائِها الصَّغيرِ ذي اللَّوْنَيْنِ الأحْمَرِ وَالفِضِّيِّ ، في قَلَقٍ ، فَوْقَ البِساطِ اللَّيِّنِ .

لَمْ يُلاحِظِ اللُّورْد وِينْتر شَيْئًا مِنْ هَذا ، إذْ كانَ مَشْغولاً بِإعْدادِ الشَّرابِ عِنْدَ المائِدَةِ الصَّغيرَةِ ، وَهُوَ يَرْوي قِصَّتَهُ .

مَلأَ اللُّورْد كَأسَيْنِ ، وَدَعا دارتانيان بِإيماءَةٍ كَيْ يُشارِكَهُ

الشَّرابَ ، فَاتَّجَهَ دارتانيان إلى المائِدَةِ لِيَتَناوَلَ كَأْسَهُ ، مُراعِيًا أنْ يُراقِبَ ميلادي في مِرْآةٍ كَبيرَةٍ عَلى الحائِطِ . وَحينَ اعْتَقَدَتْ ميلادي أنْ لا أحَدَ يُراقِبُها ، بَدَتْ عَلَيْها نَظْرَةُ مَقْتٍ هائِلَةٌ ، فَطَفِقَتْ تَنْهَشُ مِنْديلَها بِأسْنانِها الجَميلَةِ .

في تِلْكَ اللَّحْظَةِ بِالذّاتِ ، جاءَتِ الخادِمَةُ الحَسْناءُ بِمُذَكِّرَةٍ لِلُّورْدِ ، وَكَلَّمَتْهُ بِضْعَ كَلِماتٍ بِالإنْجليزِيَّةِ . فَلَمّا قَرَأَ المُذَكِّرَةَ ، اسْتَأْذَنَ في الانْصِرافِ ، إذْ كانَ مَطْلوبًا في مَوْعِدٍ هامٍّ .

وَحينَ الْتَفَتَ دارتانيان نَحْوَ ميلادي ، كانَتْ كُلُّ آثارِ الغَضَبِ قَدِ اخْتَفَتْ وَكَأنَّها بِفِعْلِ ساحِرٍ ، وَتَساءَلَ لِلَحْظَةٍ ما إذا كانَتِ المِرْآةُ قَدْ خَدَعَتْهُ أمْ لا .

بَعْدَ انْصِرافِ اللُّورْد ، غَدا الحَديثُ وُدِّيًّا ؛ فَعَلِمَ دارتانيان أنَّ لُورْد وِينْتر لَمْ يَكُنْ أخا ميلادي ، بَلْ هُوَ شَقيقُ زَوْجِها . فَقَدْ تَزَوَّجَتْ أخا اللُّورْد وِينْتر الأصْغَرَ ، وَهِيَ الآنَ أرْمَلَتُهُ ، بَعْدَ أنْ أنْجَبَتْ مِنْهُ طِفْلاً واحِدًا . كانَ هَذا الابْنُ الوارِثَ الوَحيدَ لِلُّورْد وِينْتر ، شَريطَةَ ألاّ يَتَزَوَّجَ هَذا اللُّورْد .

أحَسَّ دارتانيان ، في أثْناءِ الحَديثِ الَّذي دارَ بَيْنَهُما ، بِأنَّ ميلادي تُخْفي شَيْئًا ما ، وَلَكِنْ ما هُوَ ؟ هَذا ما لَمْ يَسْتَطِعْ فَهْمَهُ .

أضِفْ إلى ذَلِكَ ، اقْتِناعَهُ بِأنَّها مِنْ أصْلٍ فَرَنْسِيٍّ وَلَيْسَتْ إنْجليزِيَّةً . كانَتْ تَتَكَلَّمُ الفَرَنْسِيَّةَ بِطَلاقَةٍ وَنَقاءٍ أزالا كُلَّ شَكٍّ .

فِي المَساءِ التّالي ، عاوَدَ دارتانيان زِيارَةَ ميلادي ، فَاسْتَقْبَلَتْهُ بِحَفاوَةٍ أكْثَر . وَبَدا أنَّها تَخُصُّهُ بِاهْتِمامٍ عَظيمٍ بِهِ وَبِعَمَلِهِ . رَغْمَ ذَلِكَ ، لَمْ يَنْسَ دارتانيان أنْ يُثْنِيَ عَلى الكارْدينالِ ، وَقالَ إنَّهُ كانَ يَتَمَنَّى الالْتِحاقَ بِحَرَسِ الكارْدينالِ ، لَوْ لَمْ يُقَدِّمْ أوَّلاً لِلسَّيِّدِ دي تريڤي .

غَيَّرَتْ ميلادي مَجْرى الحَديثِ بَعْدَ ذَلِكَ بِلَباقَةٍ ، وَسَألَتْ بِبَراءَةٍ عَمَّا إذا كانَ دارتانيان قَدْ قامَ بِزِيارَةِ إنْجِلْترا ، في وَقْتٍ ما .

فَكَّرَ دارتانيان في نَفْسِهِ قائِلاً : « رَبّاهُ ! إنَّها تَعْرِفُ زِيارَتي السِّرِّيَّةَ لإنْجِلْترا ، لِلُورْد بَكِنْجهام .»

أجابَ بِصَوْتٍ بَرِيءٍ بَراءَةَ صَوْتِ ميلادي ، بِأنَّ السَّيِّدَ دي تريڤي أرْسَلَهُ ذاتَ مَرَّةٍ إلى إنْجِلْترا لِشِراءِ خُيولٍ ، فَأحْضَرَ مَعَهُ أرْبَعَةَ جِيادٍ مِنْ نَوْعٍ أصيلٍ .

وَإذْ أدْرَكَتْ ميلادي أنَّ دارتانيان يُجيدُ اللَّعِبَ بِالألْفاظِ مِثْلَما يُجيدُ اللَّعِبَ بِالسَّيْفِ ، أدارَتْ دَفَّةَ الحَديثِ إلى مَوْضوعاتٍ أكْثَرَ أمْناً .

الفصل الخامس عشر

دارتانيان يَسْتَرِقُ السَّمْعَ

رَغْمَ نَصيحَةِ آثوس ، هامَ دارتانيان بِحُبِّ ميلادي ، وَظَلَّ يَزورُها كُلَّ مَساءٍ تَقْريباً . وَما عادَ يَسْتَأْذِنُ في الدُّخولِ عَلَيْها ؛ إذْ أصْدَرَتْ ميلادي أمراً بِأنْ يَدْخُلَ دارتانيان حُجْرَةَ جُلوسِها الخاصَّةَ ، فَوْرَ مَجيئِهِ مُباشَرَةً .

لَمْ يُدْرِكْ دارتانيان أنَّ ميلادي تَلْعَبُ دَوْراً ، حَتَّى سَمِعَها مُصادَفَةً وَهِيَ تَتَحَدَّثُ إلى خادِمَتِها الخاصَّةِ كيتي ، في الحُجْرَةِ المُجاوِرَةِ لِحُجْرَةِ الجُلوسِ الَّتي كانَ مُنْتَظِراً فيها . لَمْ يَكُنِ البابُ المُوَصِّلُ بَيْنَ الحُجْرَتَيْنِ موصَداً تَماماً ؛ وَهَكَذا اسْتَطاعَ أنْ يَسْمَعَ بِوُضوحٍ ما كانَ يَدورُ بَيْنَهُما مِنْ حَديثٍ .

قالَتْ ميلادي : « يَبْدو أنَّ صَديقَنا الغَسْقونِيَّ سَيَتَأخَّرُ اللَّيْلَةَ .»

قالَتْ كيتي : « ماذا ، يا سَيِّدَتي ؟ هَلْ يُسْتَهْتَرُ بِصَداقَتِكِ إلى

حدٍّ ألا يكونَ مُواظِبًا ؟»

« مِنَ المُحْتَمَلِ أنْ يكونَ عَمَلُهُ قَدْ مَنَعَهُ المَجيءَ . لا بَأْسَ ؛ فَأَنا أعْرِفُ ما سأفْعَلُهُ مَعَهُ ، يا كيتي .»

« لماذا يا سيِّدَتي ؟ وأيَّةُ لُعبةٍ ستَلْعَبينَها ؟»

« هَذا سُؤالٌ حَسَنٌ ! وَسَوْفَ نرى . ثَمَّةَ شَيْءٌ ما بيْني وَبَيْنَ ذَلِكَ الشَّابِّ . الَّذي يَجْهَلُهُ أَنَّهُ كادَ يُحَطِّمُني في عَيْنَي الكارْدينال بِشأنِ مَوْضوعِ ماساتِ المَلِكَةِ . لا بُدَّ مِنْ أنْ آخُذَ بِثَأري !»

« رَبَّاهُ ! ظَنَنْتُكِ تَهيمينَ بِحُبِّهِ .»

« أحِبُّهُ ؟ إنَّني أمْقُتُهُ ! كانَتْ حَياةُ لُورْد وِينْتر في يَدَيْ ذَلِكَ الغَبِيِّ ، فَلَمْ يَقْتُلْهُ . وَبِسَبَبِ عَدَمِ قَتْلِهِ ، فَقَدْتُ ميراثًا سَنَوِيًّا قَدْرُهُ ثَلاثُمِئَةِ أَلْفِ جُنَيْهٍ !»

قالَتْ كيتي : « هَذا حَقيقِيٌّ . لَقَدْ نَسيتُ أنَّ ابْنَكِ ، يا سيِّدَتي ، هُوَ الوارِثُ الوَحيدُ لِعَمِّهِ . وَحَتَّى يَبْلُغَ سِنَّ الرُّشْدِ ، سَتَكونينَ المُتَصَرِّفَةَ في أيَّةِ ثَرْوَةٍ يَرِثُها .»

قالَتْ ميلادي بِحِدَّةٍ : « نَعَمْ ، وَكانَ لا بُدَّ لي مِنَ الانْتِقامِ مُنْذُ أَمَدٍ بَعيدٍ ، لَوْ لَمْ يُصِرَّ الكارْدينالُ عَلى أنْ أسْتَمِرَّ في صَداقَةِ ذَلِكَ

الغَسْقونِيِّ البَغيضِ . وَلا يُمْكِنُني أنْ أفْهَمَ السَّبَبَ .»

ارْتَجَفَ دارتانيان ، وأسْرَعَ يَهْبِطُ السُّلَّمَ ، مُتَسَلِّلاً إلى خارِجِ البَيْتِ عَلى أطْرافِ أصابِعِ قَدَمَيْهِ ، لِكَيْ يُهَدِّئَ مِنْ غَضَبِهِ . وَفي الصَّباحِ التَّالي ، هُرِعَ إلى مُقابَلَةِ آتوس ، وأخْبَرَهُ بِما سَمِعَ .

قالَ آتوس : « يَبْدو أنَّ مَعْشوقَتَكَ ميلادي امْرَأَةٌ شِرِّيرَةٌ . وَلا شَكَّ في أنَّكَ تُواجِهُ عَدُوَّةً شَقِيَّةً .»

وَبَيْنَما هُما يَتَكَلَّمانِ ، نَظَرَ آتوس بِإمْعانٍ إلى خاتَمٍ مِنَ الياقوتِ الأزْرَقِ في إصْبَعِ دارتانيان ، وَقالَ : « يا لَهُ مِنْ خاتَمٍ جَميلٍ ، هَذا



الَّذي تَلْبَسُهُ ! إِنَّهُ يُذَكِّرُني بِجَوْهَرَةٍ عائِلِيَّةٍ كُنْتُ أَحوزُها فيما مَضى . هَلْ قايَضْتَ بِهِ عَلى خاتَمِكَ الماسِيِّ ؟»

« لا . إِنَّهُ هَدِيَّةٌ مِنْ ميلادي .»

صاحَ آثوس بِانْفِعالٍ : « ماذا ؟ جاءَكَ هَذا الخاتَمُ مِنْ ميلادي ؟»

وَفَحَصَ آثوس الخاتَمَ ، فَامْتَقَعَ لَوْنُهُ .

رَدَّدَ في نَفْسِه : « مُسْتَحيلٌ ! لا يُمْكِنُ ! كَيْفَ وَصَلَ هَذا الخاتَمُ إِلى حَوْزَةِ ميلادي ؟ وَمَعَ ذَلِكَ ، فَمِنَ الصَّعْبِ أَنْ نَتَصَوَّرَ إِمْكانَ تَشابُهِ جَوْهَرَتَيْنِ إِلى هَذا الحَدِّ !»

سَأَلَهُ دارتانيان : « أَلَكَ سابِقُ مَعْرِفَةٍ بِهَذا الخاتَمِ ؟»

أَجابَ آثوس : « أَظُنُّ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ لا بُدَّ أَنَّ ثَمَّةَ خَطَأً ما . أَرْجوكَ ، يا دارتانيان ، إِمَّا أَنْ تَخْلَعَ هَذا الخاتَمَ ، وَإِمَّا تُديرُ فَصَّهُ ؛ فَهُوَ يُذَكِّرُني بِذِكْرَياتٍ قاسِيَةٍ . وَلَكِنِ انْتَظِرْ ! دَعْني أَفْحَصِ الفَصَّ ؛ فَلِلْفَصِّ الَّذي ذَكَرْتُهُ لَكَ خَدْشٌ عَلى أَحَدِ أَوْجُهِهِ .»

خَلَعَ دارتانيان الخاتَمَ وَسَلَّمَهُ إِلى آثوس .

نَظَرَ آثوس إِلَيْهِ مَلِيًّا ؛ فَبَدا عَلَيْهِ الاضْطِرابُ .

قالَ آثوس وَهُوَ يُشيرُ إِلى الخَدْشِ الَّذي ذَكَرَهُ : « أُنْظُرْ ، إِنَّهُ الخَدْشُ نَفْسُهُ كَما أَخْبَرْتُكَ . هَذِهِ جَوْهَرَةٌ عائِلِيَّةٌ قَديمَةٌ وَرِثْتُها عَنْ أُمّي .»

سَأَلَهُ دارتانيان مُتَرَدِّداً : « هَلْ بِعْتَها ؟»

أَجابَ آثوس بِبُطْءٍ وَتَمَعُّنٍ: « لا ، أَهْدَيْتُها لامْرَأَةٍ أَحْبَبْتُها .»

اِسْتَعادَ دارتانيان الخاتَمَ ، وَ وَضَعَهُ في جَيْبِهِ لا في إِصْبَعِهِ .

أَمْسَكَ آثوس بِيَدِ دارتانيان وَقالَ : « أَيْ دارتانيان ، تَعْرِفُ أَنَّني أَعْتَبِرُكَ أَخاً أَصْغَرَ لي . اِعْمَلْ بِنَصيحَتي ، وَابْتَعِدْ عَنْ هَذِهِ المَرْأَةِ . إِنَّني لا أَعْرِفُها ، وَلَكِنَّ شَيْئًا ما يوحي إِلَيَّ بِأَنَّها لَنْ تَجُرَّ عَلَيْكَ سِوى الشَّرِّ !»

قالَ دارتانيان : « أَنْتَ عَلى حَقٍّ . سَأَكُفُّ عَنْ لِقائِها . وَلَكِنْ لا تَقْلَقْ ، فَإِنَّنا سَنُغادِرُ باريس بَعْدَ أَيّامٍ قَلائِلَ لِنَشْتَرِكَ في حِصارِ روشيل .»

بَعْدَ انْصِرافِ دارتانيان ، جَلَسَ آثوس صامِتاً يُفَكِّرُ . أَقْلَقَتْ أَفْكارَهُ ذِكْرَياتُ الماضي ، فَأَخَذَ يَسْتَرْجِعُ وَيَسْتَدْعي المَشاهِدَ الَّتي كَثيراً ما مَرَّتْ بِهِ . وَعَبَثاً حاوَلَ أَنْ يَكُفَّ عَنِ التَّفْكيرِ وَيَسْلو .

رَأى نَفْسَهُ ، مَرَّةً أُخْرى ، الكونْت دي لا فير ، النَّبيلَ الفَرَنْسِيَّ

الشَّابَّ . كانَ الاسْمُ الَّذي يَحْمِلُهُ أَصيلاً وَنَبيلاً . وَكانَتْ لَهُ السَّيْطَرَةُ على أَراضيهِ ، وَكانَتْ كَلِمَتُهُ قانونًا .

وَضَمَّتْ هذِهِ الصُّورَةُ فَتاةً رَقيقَةً كالنَّسْمَةِ جَميلَةً كالملاكِ ، أَقْبَلَتْ مَعَها نَسَماتُ الرَّبيعِ . جاءَتْ مَعَ أَخيها الَّذي حازَ مَنْصِباً بِمَكانٍ ما ، في قَرْيَةٍ تَقَعُ في مُمْتَلَكاتِ الكونت . كانَتْ تَبْدو بَريئَةً وَلَطيفَةً ، وَيَبْدو أخوها وَرِعاً وَتَقِيًا ، حَتَّى إِنَّ أَحَداً لَمْ يَسأَلْ مِنْ أَيْنَ قَدِما ، أَوِ ارْتابَ لَحْظَةً في أَنَّهُما بِخِلافِ ما كانا يَبْدوانِ عَلَيْهِ .

كَثيراً ما شاهَدَ النَّبيلُ تِلْكَ الفَتاةَ وَهُوَ مُمْتَطٍ جَوادَهُ خِلالَ القَرْيَةِ. وَكانَ حُبُّ ذَلِكَ الشَّابِّ لِهَذِهِ الفَتاةِ الرَّقيقَةِ آن ، يَزيدُ يَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ .

وَتَعاقَبَتْ مَشاهِدُ تَلاقيهِما ، مَشْهَداً بَعْدَ آخَرَ ، تَحْتَ أَشْجارِ الصَّنَوْبَرِ ذاتِ الأَريجِ العَبِقِ ، وَخِلالَ المَمَرَّاتِ الَّتي يُعَطِّرُها شَذى الأَزْهارِ ، وَبِجانِبِ مَجْرى ماءٍ بارِدٍ يَخُرُّ خَريراً جَميلاً ، وَعَلى الجِسْرِ الرِّيفِيِّ الَّذي اعْتادا الوُقوفَ عَلَيْهِ ، إِذا ما أَخَذَتْ ظِلالُ المَساءِ تَطولُ، ثُمَّ في ذَلِكَ البَيْتِ الصَّيْفِيِّ تَحْتَ ظِلالِ النَّباتاتِ المُتَسَلِّقَةِ .

وَرَغْمَ كَوْنِها لَيْسَتْ مِنْ طَبَقَةٍ نَبيلَةٍ ، وَرَغْمَ عَدَمِ مُوافَقَةِ أُسْرَتِهِ ، تَزَوَّجَها ذَلِكَ الكونت الشَّابُّ ، وَجَعَلَها أَوَّلَ كُونْتيسة لِذَلِكَ

الإِقْليمِ .

اِضْطَرَبَ آثوس قَلَقاً ، عَلى حينَ تَضاءَلَ المَنْظَرُ أَمامَهُ ، وَظَهَرَتْ في تَفاصيلَ حَيَوِيَّةٍ ، تِلْكَ الحادِثَةُ المُميتَةُ في ساحَةِ الصَّيْدِ – رَأى زَوْجَتَهُ تَسْقُطُ عَنْ ظَهْرِ جَوادِها إِلى الأَرْضِ ، وَتَرْقُدُ مُغْشِيًّا عَلَيْها في غَيْبوبَةٍ تُشْبِهُ غَيْبوبَةَ المَوْتِ . وَرَأى نَفْسَهُ يَرْتَجِفُ جَزَعاً وَهَلَعاً ، وَيَفْتَحُ فُسْتانَها مِنْ عَلٍ كَيْ يَمُدَّها بِمَزيدٍ مِنَ الهَواءِ ؛ فَإِذا بِهِ يَرى عَلى بَشَرَةِ كَتِفِها النَّاعِمَةِ ، واضِحَةً أَمامَ عُيونِ كُلِّ مَنِ احْتَشَدَ حَوْلَها – أَبْصَرَ العَلامَةَ المُريعَةَ ، عَلامَةَ العارِ وَالشَّنارِ ، الَّتي طَبَعَها الجَلادُ العامُّ عَلى جِلْدِها بِمِكْواتِهِ – عَلامَةَ « زَهْرَةِ الزَّنْبَقِ » .

كانَتْ زَوْجَتُهُ – كُونْتيسةُ دي لا فير ، مُجْرِمَةً مُدانَةً ، فَأَنْزَلَ هَذا الاكْتِشافُ بِكِبْرِياءِ الكونت ضَرْبَةً قاصِمَةً – ضَرْبَةً لَمْ يُشْفَ مِنْها قَطُّ .

في تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، غادَرَ الكونت دي لا فير قَصْرَهُ ، وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِ أَلْبَتَّةَ .

لَمْ يُثِر احْتِمالُ كَوْنِها قَدْ تَكونُ عَلى قَيْدِ الحَياةِ ، رَغْمَ افْتِراضِ مَوْتِها – لَمْ يُثِرْ أَيَّ إِحْساسٍ بِالشَّفَقَةِ في قَلْبِ آثوس . وَلَمْ يُخَفِّفِ الزَّمَنُ ، بِحالٍ ما ، تِلْكَ الضَّرْبَةَ القاصِمَةَ الَّتي تَلَقَّاها . فَرَفَعَ كَأْسَهُ

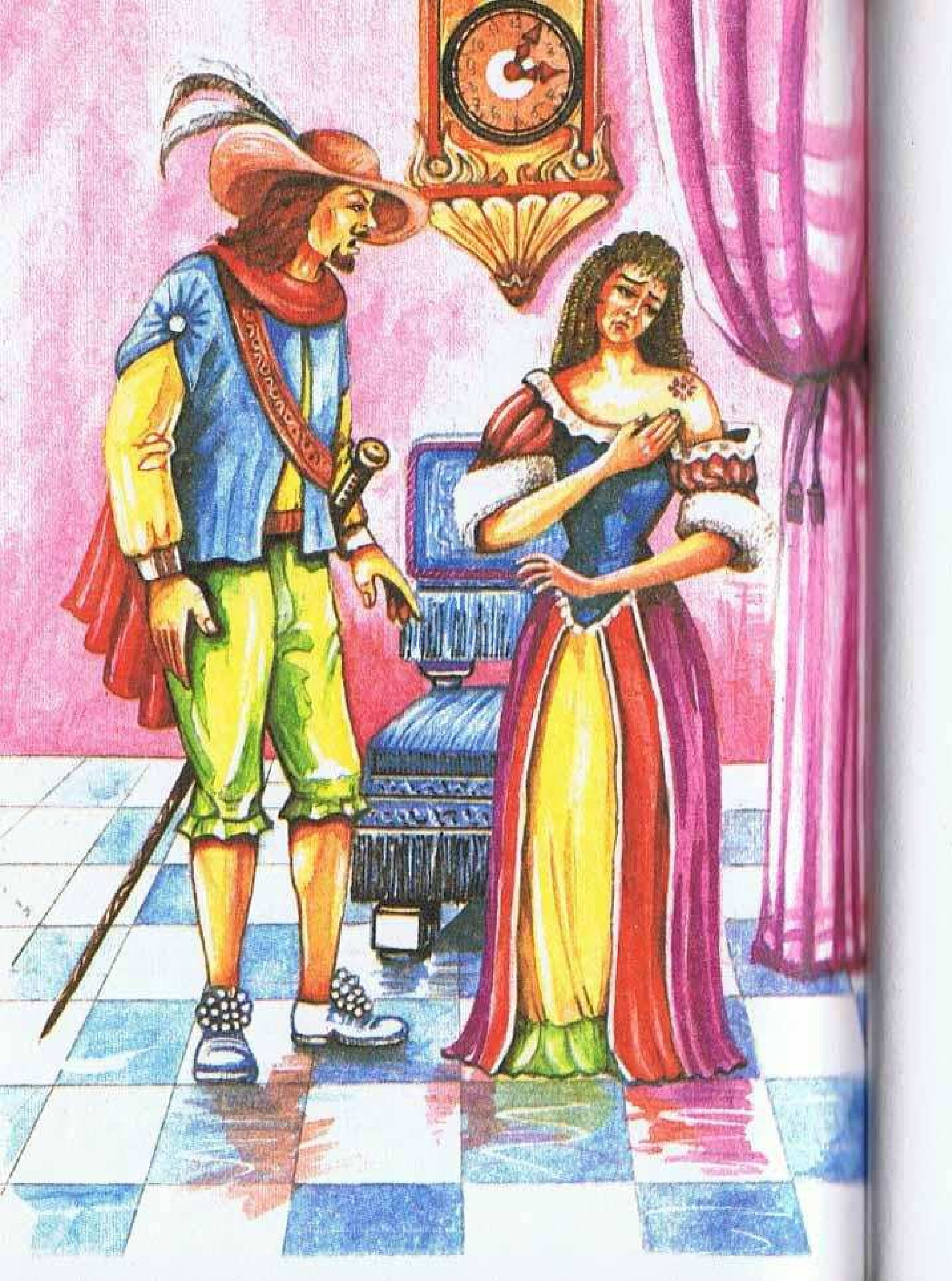
وَشَرِبَها حَتّى الثُّمالَةِ ، وَمالَ رَأْسُهُ في بُطْءٍ حَتّى اسْتَقَرَّ عَلى ذِراعَيْهِ المُمْتَدَّيْنِ فَوْقَ المائِدَةِ ، وَاحْتَرَقَتِ الشَّمْعَةُ حَتّى تَلاشَتْ ثُمَّ انْطَفَأَتْ ، دونَ أَنْ يَفْطِنَ إِلَيْها . وَهَكَذا بَقِيَ آثوس حَتّى بَدأَ نورُ الفَجْرِ البارِدِ يَلوحُ خِلالَ مِصْراعَيِ النّافِذَةِ نِصفِ المَفْتوحَةِ .

الفصل السادس عشر

سِرُّ ميلادي

رَغْمَ ما عَرَفَهُ دارتانيان عَنْ ميلادي ، فَإِنَّهُ أَحَسَّ في قَرارَةِ نَفْسِهِ أَنَّهُ خَرَقَ لِلأَدَبِ وَدَماثَةِ الخُلُقِ ، إِنْ هُوَ غادَرَ باريس ، دونَ أَنْ يُوَدِّعَها . وَمِنْ ثَمَّ ، فَقَدْ زارَها بَعْدَ مُرورِ لَيْلَتَيْنِ ، لِيُخْبِرَها بِرَحيلِهِ المُبَكِّرِ مَعَ فِرْقَتِهِ إِلى السّاحِلِ الغَرْبِيِّ لِفَرَنْسا ، لِلْمُشارَكَةِ في حِصارِ روشيل . وَعَلى أَيَّةِ حالٍ ، لَمْ تَعْرِفْ ميلادي أَنَّهُ سَمِعَ مُصادَفَةً كَلامَها مَعَ خادِمَتِها . وَزِيادَةً عَلى ذَلِكَ ، لَمْ يَرْغَبْ في إِثارَةِ شُكوكِها ، إِنْ هُوَ قَطَعَ ، فَجْأَةً ، زِياراتِهِ لَها ، الَّتي كَثُرَتْ في الأَيّامِ الأَخيرَةِ .

لَمْ يَمْكُثْ دارتانيان لَدى ميلادي طَويلاً ، وَإِنَّما نَهَضَ وَاسْتَأْذَنَ في الانْصِرافِ ، حينَما عَنَّ لَهُ أَنْ يَنْصَرِفَ . وكانَتْ ميلادي رَقيقَةً كَعادَتِها ، وَتَطَوَّعَتْ مُبْتَسِمَةً بِأَنْ تَصْحَبَهُ حَتّى البابِ ، غَيْرَ أَنَّها وَهِيَ تَنْهَضُ لِتَفْعَلَ ذَلِكَ ، اشْتَبَكَ طَرَفُ فُسْتانِها بِكَعْبِ فَرْدَةِ حِذائِها



اليُسْرى ، فَجُذِبَ الفُسْتانُ بِشِدَّةٍ عِنْدَ كَتِفِها ؛ فَلَمْ يُقاوِمِ الفُسْتانُ الحَريريُّ الرَّقيقُ هَذِهِ الجَذْبَةَ القَوِيَّةَ ، فَتَمَزَّقَ عِنْدَ الكَتِفِ .

وَإِذْ رَأى دارتانيان ارْتِباكَ ميلادي ، تَقَدَّمَ بِطَبيعَةِ الحالِ ، لِيُساعِدَ في تَخْليصِ الفُسْتانِ ، فَإِذا عَلى إِحْدى كَتِفَيْها - وَقَدْ كَشَفَها الفُسْتانُ المُمَزَّقُ - يَظْهَرُ شَيْءٌ مُذْهِلٌ ؛ فَلَمْ يَسَعْهُ إِلّا أَنْ يَقِفَ وَيُحَمْلِقَ دَهِشًا ؛ فَعَلى جِلْدِ كَتِفِها الأَبْيَضِ ، نُقِشَتْ عَلامَةُ زَهْرَةِ الزَّنْبَقِ ، الَّتي تَدُلُّ عَلى الإِدانَةِ ، طَبَعَتْها مِكْواةُ الجَلّادِ العامِّ .

اسْتَدارَتْ ميلادي ، وَفي لَمْحِ البَصَرِ ، أَدْرَكَتْ أَنَّ دارتانيان اكْتَشَفَ سِرَّها الرَّهيبَ - ذَلِكَ السِّرَّ الَّذي أَخْفَتْهُ ، حَتَّى عَنْ خادِمَتِها .

صاحَتْ ميلادي قائِلَةً ، وَما عادَتِ امْرَأَةً ، بَلْ قِطَّةً مُتَوَحِّشَةً : « يا لَكَ مِنْ وَغْدٍ ! لَقَدْ عَرَفْتَ سِرِّي ، سَأَقْتُلُكَ ! »

وَهُرِعَتْ إِلى دولابٍ صَغيرٍ وَسَطَ الحُجْرَةِ ، وَفَتَحَتْ دُرْجًا بِيَدَيْنِ مُرْتَجِفَتَيْنِ ، وَأَخْرَجَتْ خِنْجَرًا صَغيرًا ذا مِقْبَضٍ ذَهَبِيٍّ ، وَاسْتَدارَتْ فَأَلْقَتْ بِنَفْسِها عَلى دارتانيان .

رَغْمَ شَجاعَةِ دارتانيان ، ارْتَجَفَ لِمَرْآها المُتَغَيِّرِ وَنَظْرَتِها الوَحْشِيَّةِ ، وَعَيْنَيْها اللَّتَيْنِ تَقْدَحانِ بِالشَّرَرِ ، وَ وَجْنَتَيْها الشّاحِبَتَيْنِ ، وَشَفَتَيْها

الدَّامِيَتَيْنِ بَيْنَ أَسْنَانِها ، فَقَفَزَ إلى الخَلْفِ ، وكأنَّهُ يَتَحاشى قَفْزَةَ أَفْعى سامَّةٍ تَهْجُمُ عَلَيْهِ ، واسْتَلَّ سَيْفَهُ .

لَمْ تَهْتَمَّ ميلادي بِالسَّيْفِ ، وَلا بِالفُسْتانِ المُمَزَّقِ ، وَلا بِعَدَمِ الاحْتِشامِ لِكَتِفِها العارِيَةِ ، بَل انْقَضَّتْ عَلى دارتانيان بِخَنْجَرِها في ضَراوَةٍ . وَلَمْ تَتَقَهْقَرْ إلى الخَلْفِ إلّا عِنْدَما شَعَرَتْ بِسِنِّ السَّيْفِ الحادَّةِ فَوْقَ رَقَبَتِها . وَحَتّى ذلِكَ لَمْ يَفُتَّ في عَضُدِها ، فَحاوَلَتْ في ثَوْرَتِها العَمْياءِ ، أَنْ تُمْسِكَ السَّيْفَ بِيَدِها العارِيَةِ لِتَنْقَضَّ عَلى غَرِيمِها ، وَلكِنَّهُ خَلَّصَ السَّيْفَ ، وَاحْتَفَظَ بِهِ مُسَلَّطاً ، إمّا عَلى رَقَبَتِها وَإمّا عَلى عَيْنَيْها .

وَإذِ اسْتَمَرَّتْ تُوَجِّهُ إلَيْهِ الضَّرَباتِ ، دونَ جَدْوى ، صَرَخَتْ تَصُبُّ اللَّعَناتِ في صَوْتٍ مُريعٍ ، يُرْعِبُ أَيَّ رَجُلٍ عادِيٍّ .

كانَ كُلُّ هذا أَشْبَهَ بِمُبارَزَةٍ . وَسَرْعانَ ما تَمالَكَ دارتانيان نَفْسَهُ ، فَأَجْبَرَ ميلادي عَلى التَّراجُعِ إلى خَلْفِ الحُجْرَةِ بِبُطْءٍ ، عَلى حينَ سارَ هُوَ في طَريقِهِ إلى البابِ . كانَ كُلُّ هَدَفِهِ أَنْ يَهْرُبَ ، فَتَحَسَّسَ خَلْفَهُ بِيَدِهِ اليُسْرى ، وَأَمْسَكَ بِمِقْبَضِ البابِ فَأَدارَهُ ، وَرَكَلَ البابَ بِعَقِبِ قَدَمِهِ ، فَانْفَتَحَ . وَبِقَفْزَةٍ واحِدَةٍ ، صارَ خارِجَ الحُجْرَةِ ، وَأَغْلَقَ البابَ خَلْفَهُ بِسُرْعَةِ البَرْقِ ، وَأَدارَ المِفْتاحَ في القُفْلِ .

أَغْمَدَ دارتانيان سَيْفَهُ ، وَأَسْرَعَ يَهْبِطُ السُّلَّمَ . وَ وَقَفَ لَحْظَةً في مَدْخَلِ البابِ الخارِجِيِّ ، لِيَلْتَقِطَ أَنْفاسَهُ وَيَمْسَحَ العَرَقَ المُتَصَبِّبَ مِنْ جَبِينِهِ . وَعِنْدَئِذٍ أَمْكَنَهُ أَنْ يَسْمَعَ صَرَخاتِ ميلادي ، وَصَوْتَ الخَنْجَرِ وَهِيَ تَطْعَنُ بِهِ البابَ المُقْفَلَ ، طَعَناتٍ عَمْياءَ .

غادَرَ دارتانيان البَيْتَ بَعْدَ ذلِكَ ، وَانْصَرَفَ بِسُرْعَةٍ مُتَّجِهاً شَطْرَ بَيْتِ آثوس .

دَهِشَ آثوس لِهذِهِ الزِّيارَةِ المُتَأَخِّرَةِ مِنْ دارتانيان ، الَّذي كانَ شاحِبَ الوَجْهِ مَهْموماً ، فَأَمْسَكَ آثوس بِيَدَيْهِ ، وَسَأَلَهُ : « ما الخَطْبُ ؟ هَلْ ماتَ المَلِكُ ؟ هَلْ قَتَلْتَ الكارْدينالَ ؟ هَيّا ، هَيّا ، أَخْبِرْني ! »

قالَ دارتانيان : « اسْتَعِدَّ لِصَدْمَةٍ ، يا آثوس ! »

قالَ آثوس ، بَعْدَ أَنْ قَدَّمَ إلَيْهِ كُرْسِيًّا : « ما الخَبَرُ ؟ »

تَرَدَّدَ دارتانيان لَحْظَةً ، ثُمَّ هَمَسَ بِقَوْلِهِ : « ميلادي مَطْبوعَةٌ عَلى كَتِفِها عَلامَةُ زَهْرَةِ الزَّنْبَقِ . »

صاحَ آثوس بِدَهْشَةٍ : « ماذا ؟ »

قالَ دارتانيان : « أَ أَنْتَ عَلى يَقينٍ مِمّا أَخْبَرْتَني بِهِ ذاتَ مَرَّةٍ مِنْ

أنَّ تِلْكَ المَرْأة – تِلْكَ المَرْأة ذاتَ العَلامَةِ ، زَوْجَتكَ ، قَضتْ نَحْبَها حَقيقةً ؟»

تَنَهَّدَ آثوس عميقًا ، وَأسْقطَ رأسَهُ بينَ يَدَيْه ، وَشَرَدَ فِكْرُهُ لِبِضْعِ لَحَظاتٍ .

ولَمَّا رَفَعَ رَأسَهُ ، لاحَظَ دارتانيان أنَّ كُلَّ أماراتِ الحُزْنِ وَالأسى ، قَدْ حَلَّ مَحَلَّها نَظْرَةٌ قَوِيَّةٌ بارِدَةٌ .

قالَ دارتانيان : « إنَّها امْرَأةٌ في حَوالى السَّابِعَةِ والعِشْرينَ مِنْ عُمْرِها ، ولكِنَّها تَبْدو أصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ .»

قالَ آثوس : « أَلَيْسَتْ جَميلَةً ؟»

« بَلى ، هِيَ جَميلَةٌ لِلْغايَةِ !»

« وَذاتُ عَيْنَيْنِ زَرْقاوَيْنِ نَجْلاوَيْنِ ، وَأهْدابٍ طَويلَةٍ وَحاجِبَيْنِ داكِنَيْنِ ؟»

« نَعَمْ .»

« طَويلَةُ القامَةِ وَبَضَّةُ القَوامِ ؟»

« نَعَمْ .»

« وَزَهْرَةُ الزَّنْبَقِ صَغيرَةٌ ، وَرْدِيَّةُ اللَّوْنِ ، وَتَبْدو وَكَأنَّ جُهْدًا قَدْ بُذِلَ

لإزالَتِها ؟»

« نَعَمْ .»

قالَ وَكَأنَّ فِكْرَةً مُفاجِئَةً قَدْ طَرَأتْ بِبالِهِ : « وَلَكِنَّكَ قُلْتَ إنَّها إنْجليزِيَّةٌ .»

قالَ دارتانيان : « يُنادونَها ميلادي ، وَرَغْمَ ذَلِكَ فَمِنَ الجائِزِ جِدًّا أنْ تَكونَ فَرَنْسِيَّةً ؛ فَهِيَ تَتَكَلَّمُ الفَرَنْسِيَّةَ بِطَلاقَةٍ . وَمَعَ كُلٍّ ، فَلَيْسَ اللّورْد وينْتر إلاّ شَقيقَ زَوْجِها .»

« إنَّها هِيَ – زَوْجَتي . وَكُنْتُ أظُنُّها ماتَتْ . سَأَزورُها .»

« حَذارِ يا آثوس ! إنَّها قادِرَةٌ عَلى أنْ تَفْعَلَ أيَّ شَيْءٍ . أرَأيْتَها ثائِرَةً ، في وَقْتٍ مِنَ الأوْقاتِ ؟»

قالَ آثوس : « لا .»

قالَ دارتانيان : « إنَّها وَشَقَّةٌ بَرِّيَّةٌ ، أوْ نَمِرَةٌ !» ثُمَّ رَوى كُلَّ ما حَدَثَ .

وَاسْتَطْرَدَ يَقولُ : « أقْسِمُ بِشَرَفي ، لَوْ عَرَفَتْ أنَّكَ لا تَزالُ حَيًّا ، فَلَنْ تُساوِيَ حَياتُكَ عِنْدَها شَيْئًا . وَلِحُسْنِ الحَظِّ أنَّنا سَنُغادِرُ باريس بَعْدَ غَدٍ .»

رَدَّ آثوس قائِلاً : « أ تَظُنُّ أنَّ الحياةَ تَعْني الكَثيرَ بِالنِّسْبَةِ لي ؟»

« يُحيطُ بِها لُغزٌ جَديدٌ . مِنَ المُؤكَّدِ أنَّها إحْدى جَواسيسِ الكارْدينالِ .»

قالَ آثوس : « في هَذِهِ الحالَةِ عَلَيْكَ بِمَزيدٍ مِنَ الحَذَرِ ؛ إذْ لَمْ يَنْسَ الكارْدينالُ مَوْضوعَ ماساتِ المَلِكَةِ . وَإنْ خَرَجْتَ ، فَلا تَخْرُجْ وَحْدَكَ . وَعِنْدَما تَأكُلُ فَخُذْ كُلَّ الاحْتِياطاتِ . لا تَثِقْ بِأيِّ شَيْءٍ ، حَتَّى وَلَوْ كانَ ظِلَّكَ !»

قالَ دارتانيان : « لِحُسْنِ الحَظِّ ، لَيْسَتْ هَذِهِ الاحْتِياطاتُ ضَرورِيَّةً ؛ إذْ سَنَكونُ غَداً في طَريقِنا لِلانْضِمامِ إلى القُوّاتِ ، قُرْبَ روشيل . وَهُناكَ ، كَما أرْجو ، لَنْ يَكونَ غَيْرُ الرِّجالِ لِنَخافَهُمْ .»

قالَ آثوس : « وَرَغْمَ ذَلِكَ ، دَعْني أصْحَبْكَ إلى بَيْتِكَ .»

عِنْدَما خَرَجا ، بَعْدَ ذَلِكَ بِساعَةٍ ، أمَرَ آثوس خادِمَهُ جريمو بِأنْ يُحْضِرَ بُنْدُقِيَّتَهُ ، وَيَتْبَعَهُما عَلى بُعْدِ بِضْعِ خُطُواتٍ مِنْهُما .

الفصل السابع عشر

دارتانيان يُطْلِقُ العِنانَ لِقَدَمَيْهِ

في الصَّباحِ الباكِرِ لِلْيَوْمِ التَّالي ، اسْتَعْرَضَ لُويس الثَّالِثَ عَشَر قُوّاتِهِ المُخْتارَةَ لِمُهاجَمَةِ ميناءِ روشيل .

مِنْ سَنَواتٍ خَلَتْ كانَ الأهْلونَ مُشاغِبينَ وَمَصْدَراً لِقَلَقِ الكارْدينالِ . وَبِسَبَبِ عَدَمِ وَفاءِ السُّكّانِ وَدَسائِسِهِمْ ضِدَّ أنْصارِ المَلَكِيَّةِ ، جاءَتْ إلى هَذِهِ المَدينَةِ أعْدادٌ ضَخْمَةٌ مِنَ المُنْشَقِّينَ وَالمُغامِرينَ وَالجُنودِ المُرْتَزِقَةِ مِنْ جَميعِ الجِنْسِيّاتِ . وَ وَجَدَ أعْداءُ فَرَنْسا تَرْحيباً مُسْبَقاً ، وَمَأوًى آمِناً داخِلَ أسْوارِ المَدينَةِ . وَفَضْلاً عَنْ هَذا ، كانَتْ روشيل آخِرَ ميناءٍ مَفْتوحٍ أمامَ الإنْجليزِ ، الَّذينَ اعْتَبَرَهُمُ الفَرَنْسِيّونَ في ذَلِكَ الوَقْتِ أعْداءَهُمُ الحَقيقِيّينَ .

وَلِمُساعَدَةِ سُكّانِ روشيل في مُقاوَمَةِ أيِّ هُجومٍ تَقومُ بِهِ القُوّاتُ المَلَكِيَّةُ ، وَعَدَهُمُ الإنْجليزُ ، أوْ عَلى الأصَحِّ ، وَعَدَهُمْ دوق

بكنْجهام ، الّذي هُوَ ألَدُّ أعْداءِ الكارْدينالِ ، بِتَقْديمِ كُلِّ عَوْنٍ .
فَلمَّا عَلِمَ لُويس الثّالِثَ عَشَرَ أنَّ بكنْجهام قَدْ أرْسَلَ قُوَّةً قِوامُها
تِسْعونَ سَفينَةً تَحمِلُ عِشْرينَ ألْفَ رَجُلٍ ، نَزلوا عَلى جَزيرَةِ ري أمامَ
حِصْنِ روشيل المُحاصَرِ ، ما عادَ يَشُكُّ في كَلامِ الكارْدينالِ ، بِأنَّ
ثَمَّةَ خَطَرًا حَقيقِيًّا يُحْدِقُ بِمَمْلَكَةِ فَرَنْسا . وَقَرَّرَ إرْسالَ جَيْشٍ مِنَ
الرِّجالِ المُخْتارينَ لإخْضاعِ المُتَمَرِّدينَ ، إلى الأبَدِ ، وَأنْ يَقودُ الهُجومَ
بِنَفْسِهِ بِمُساعَدَةِ الكارْدينالِ .

رَغْمَ هَذا ، لَمْ يُغادِرِ المَلِكُ باريس بِالقُوَّةِ الرَّئيسِيَّةِ ، فَاضْطُرَّ
حَرَسُهُ – أي الفُرْسانُ – إلى البَقاءِ مَعَهُ ، الأمْرُ الّذي اسْتاءَ مِنْهُ
الأصْدِقاءُ الأرْبَعَةُ أشَدَّ اسْتِياءٍ . وما إنِ انْتَهى اسْتِعْراضُ المَلِكِ
لِقُوّاتِهِ ، حَتّى تَحَرَّكَتِ القُوّاتُ ، تَتَقَدَّمُها فِرْقَةُ حَرَسِ المَلِكِ ، الّتي
يَتْبَعُها دارتانيان ، مُيَمِّمَةً شَطْرَ الشّاطِئِ الغَرْبِيِّ .

رَكِبَ الغَسْقونِيُّ الصَّغيرُ مَزْهُوًّا ، مَعَ رُفَقائِهِ ، وَهُوَ شارِدُ الفِكْرِ
تَمامًا ، وَمِنْ ثَمَّ لَمْ يُلاحِظْ ميلادي وَهِيَ تَمْتَطي جَوادًا جَميلاً
كَسْتَنائِيَّ اللَّوْنِ . وَ وَقَفَتْ في مَوْضِعٍ يُمْكِنُها مِنْهُ أنْ تَرى الجُنودَ
بِوُضوحٍ ، وَهُمْ يَمُرّونَ . وَكانَ بِقُرْبِها رَجُلانِ يَرْكَبانِ جَوادَيْنِ قَوِيَّيْنِ
أيْضًا ، فَأوْمَأتْ لَهُما بِرَأسِها عِنْدَما أشارَ أحَدُهُما إلى دارتانيان .
وَكانَ مِنَ المُؤَكَّدِ أنَّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ لَنْ يَعْجِزا عَنِ التَّعَرُّفِ على

دارتانيان مَرَّةً أخرى . ثُمَّ أصْدَرَتْ إلَيْهِما تَعْليماتٍ خاصَّةً ، بِصَوْتٍ
هادِئٍ صادِقِ العَزْمِ . وَرَكِبَ الرَّجُلانِ بَعْدَ ذَلِكَ ، مُتَّخِذَيْنِ نَفْسَ
الاتِّجاهِ الّذي تَسيرُ فيهِ القُوّاتُ .

وَ وَقَفَتِ القُوّاتُ عَلى مَرْأى مِنْ روشيل ، وَأقامَتْ مُعَسْكَرَها
انْتِظارًا لِقُدومِ المَلِكِ . وَإذِ انْفَصَلَ دارتانيان عَنْ أصْدِقائِهِ الثَّلاثَةِ ،
وَجَدَ لَدَيْهِ مُتَّسَعًا مِنَ الوَقْتِ لِلتَّفْكيرِ في هُدوءٍ ؛ فَمُنْذُ مَجيئِهِ إلى
باريس ، اكْتَسَبَ خِبْراتٍ كَثيرَةً . فَاتَّخَذَ أرْبَعَةَ أصْدِقاءَ أوْفِياءَ ، إذْ
هُوَ بِطَبيعَةِ الحالِ يَعْتَبِرُ السَّيِّدَ دي تريفي صَديقًا حَميمًا .

بَيْدَ أنَّهُ عِنْدَما شَرَعَ يُفَكِّرُ في أمْرِ مُسْتَقْبَلِهِ ، لَمْ يَجِدْ سِوى
الأفْكارِ الكَئيبَةِ . وَبِقَدْرِ ما يَسْتَطيعُ أنْ يَرى ، وَهُوَ الشَّخْصُ غَيْرُ ذي
المَكانَةِ ، رَأى أنَّهُ عادى الكارْدينالَ ؛ وَهُوَ الرَّجُلُ الّذي يَرْتَجِفُ أمامَهُ
أعْظَمُ رِجالاتِ المَمْلَكَةِ ؛ فَبِوُسْعِ الكارْدينالِ أنْ يَسْحَقَهُ ، إلا أنَّهُ
وَلِسَبَبٍ خَفِيٍّ ، لَمْ يَفْعَلْ . أمّا عَدُوُّهُ الآخَرُ – ميلادي ، فَكانَ خَوْفُهُ
مِنْها أقَلَّ مِنْ خَوْفِهِ الكارْدينالَ . وَرَغْمَ هَذا ، أحَسَّ بِأنَّها عَدُوٌّ لا
يُمْكِنُ الاسْتِهانَةُ بِهِ .

تَأمَّلَ دارتانيان في هَذِهِ الأفْكارِ ، وَهُوَ جالِسٌ إلى نَفْسِهِ ، فَأخَذَ
يَسيرُ وَئيدًا في الطَّريقِ المُوَصِّلِ مِنَ المُعَسْكَرِ إلى القَرْيَةِ المُجاوِرَةِ ، في
جَوِّ المَساءِ البارِدِ . وَبِالقُرْبِ مِنَ المُعَسْكَرِ ، جَذَبَتِ انْتِباهَهُ حَرَكَةُ

بَسيطَةَ لِشَيْءٍ عَلى جانِبِ الطَّريقِ ، عَلى مَقْرَبَةٍ مِنْهُ . وَتَأَلَّقَ هَذا الشَّيْءُ تَحْتَ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ ، وَخُيِّلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَمَحَ ماسورَةَ بُنْدُقِيَّةٍ .

وَكانَ دارتانيان يَمْتازُ بِسُرْعَةِ اللَّماحِيَّةِ وَالفَهْمِ . وَكانَ مِنَ الجَلِيِّ أَنَّ البُنْدُقِيَّةَ لَمْ تَصِلْ إِلى ذَلِكَ المَكانِ وَحْدَها ، وَلَمْ يَخْتَبِئِ الشَّخْصُ الَّذي يُمْسِكُها ، خَلْفَ الأَعْشابِ لِقَصْدٍ طَيِّبٍ . وَفي اللَّحْظَةِ نَفْسِها ، تَقْرِيباً ، أَبْصَرَ ماسورَةَ بُنْدُقِيَّةٍ أُخْرى تَبْرُزُ مِنْ وَراءِ صَخْرَةٍ عَلى الجانِبِ الآخَرِ مِنَ الطَّريقِ .

كانَ مِنَ الجَلِيِّ أَنَّ هَذا كَمينٌ .

نَظَرَ مَرَّةً أُخْرى إِلى البُنْدُقِيَّةِ الأُولى ، فَرَآها تُصَوَّبُ نَحْوَهُ بِبُطْءٍ ، وَبِمُجَرَّدِ أَنْ شاهَدَها ثَبَتَتْ لا تَتَحَرَّكُ ؛ انْبَطَحَ عَلى الأَرْضِ ، وَبَعْدَ هُنَيْهَةٍ ، أُطْلِقَتِ البُنْدُقِيَّةُ ، وَمَرَّتِ الطَّلْقَةُ مِنْ فَوْقِ رَأْسِهِ . وَعَمِلَ دارتانيان عَلى عَدَمِ ضَياعِ لَحْظَةٍ واحِدَةٍ ؛ فَهَبَّ مُنْتَصِباً عَلى قَدَمَيْهِ ، وَقَفَزَ جانِباً . وَعَلى الفَوْرِ أُطْلِقَتِ البُنْدُقِيَّةُ الثّانِيَةُ ، وَأَصابَتِ الطَّلْقَةُ الأَرْضَ الَّتي كانَ مُنْبَطِحاً فَوْقَها .

لَمْ يَكُنْ دارتانيان لِيَسْعى إِلى مَوْتٍ تافِهٍ ؛ كَيْ يُقالَ إِنَّهُ لَمْ يَتَقَهْقَرْ خُطْوَةً واحِدَةً ، بِالإِضافَةِ إِلى أَنَّ الشَّجاعَةَ هُنا لَيْسَتْ جَديرَةً بِالاعْتِبارِ . لِذا فَقَدْ أَطْلَقَ دارتانيان العِنانَ لِساقَيْهِ مُتَّجِهاً نَحْوَ

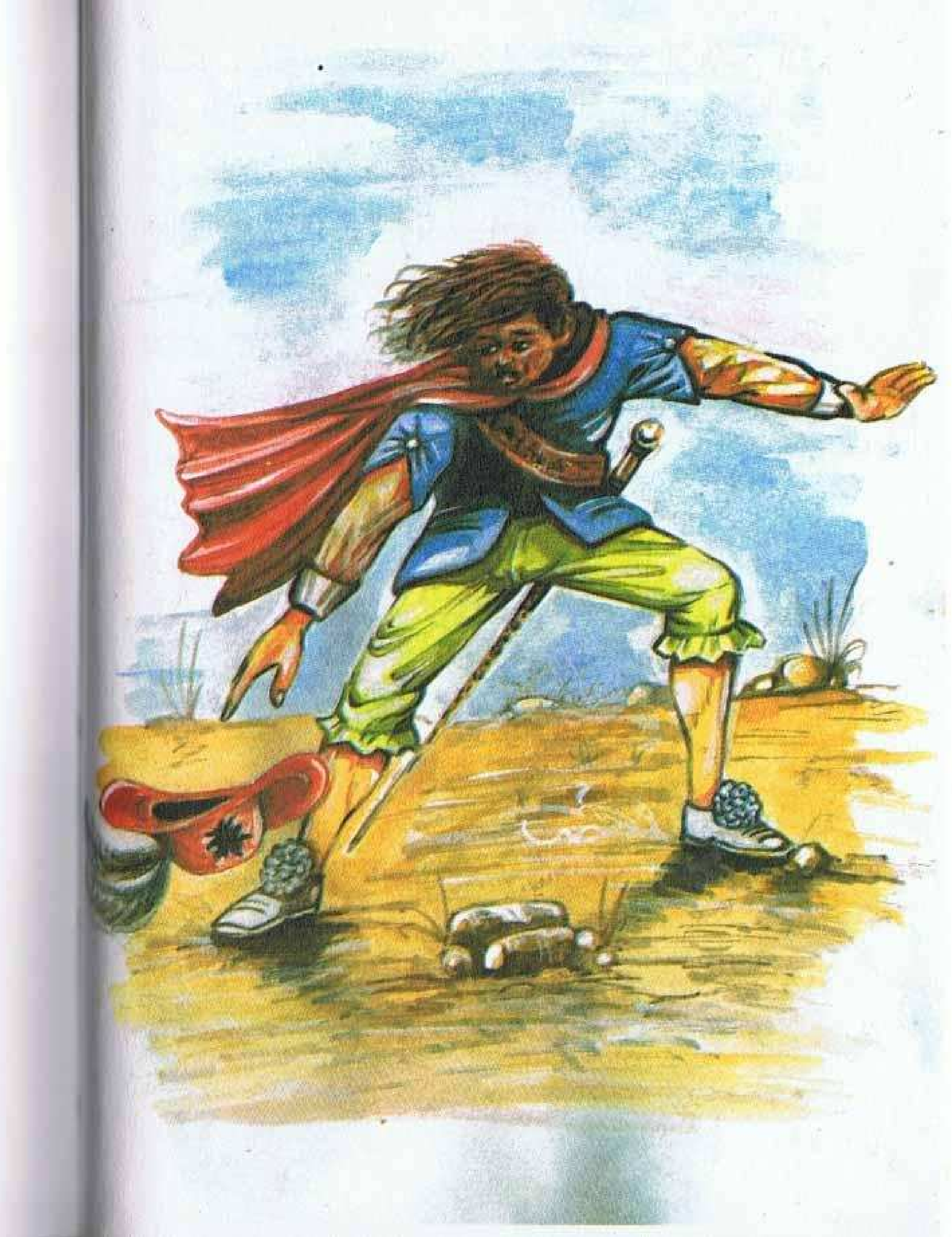
المُعَسْكَرِ ، بِأَسْرَعِ ما تَسْتَطيعُ قَدَماهُ أَنْ تَفْعَلَ . غَيْرَ أَنَّ الرَّجُلَ الَّذي أَطْلَقَ أَوَّلَ طَلْقَةٍ ، سَرْعانَ ما شَحَنَ بُنْدُقِيَّتَهُ مَرَّةً أُخْرى . وَفي هَذِهِ المَرَّةِ ، كانَ تَسْديدُها نَحْوَ الهَدَفِ أَدَقَّ مِنَ المَرَّةِ السّابِقَةِ ، فَأَصابَتِ الطَّلْقَةُ قُبَّعَةَ دارتانيان وَأَطارَتْها لِمَسافَةِ عِدَّةِ خُطُواتٍ بَعيداً عَنْهُ . وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ سِوى قُبَّعَةٍ واحِدَةٍ ، فَقَدْ خاطَرَ بِالتَّوَقُّفِ لِيَلْتَقِطَها . وَلِحُسْنِ حَظِّهِ لَمْ تُطْلَقْ طَلْقَةٌ أُخْرى .

وَصَلَ دارتانيان إِلى المُعَسْكَرِ مُمْتَقَعَ اللَّوْنِ ، مَبْهورَ الأَنْفاسِ . وَذَهَبَ مُباشَرَةً إِلى خَيْمَتِهِ دونَ أَنْ يَنْطِقَ بِكَلِمَةٍ واحِدَةٍ لِأَيِّ فَرْدٍ ، بَلْ جَلَسَ وَحْدَهُ ، وَأَمْسَكَ قُبَّعَتَهُ ، وَأَخَذَ يَفْحَصُ بِعِنايَةٍ ذَلِكَ الثُّقْبَ الَّذي أَحْدَثَتْهُ الطَّلْقَةُ . لَمْ يَكُنِ الثُّقْبُ بِطَلْقَةٍ حَرْبِيَّةٍ ، لِذا فَلَمْ يَكُنْ هَذا كَميناً نَصَبَهُ العَدُوُّ . وَلَمْ يَخْطُرْ بِبالِهِ أَنَّ الكارْدينالَ يَلْجَأُ إِلى مِثْلِ هَذا الإِجْراءِ الدَّنيءِ المَشْكوكِ فيهِ ، لِيَتَخَلَّصَ مِنْهُ أَوْ مِنْ أَيِّ عَدُوٍّ آخَرَ .

مِنَ الجائِزِ جِدّاً ، أَنْ تَكونَ ميلادي قَدِ اسْتَأْجَرَتْ هَذَيْنِ الوَغْدَيْنِ لِتَنْفيذِ انْتِقامِها ، في أَوَّلِ فُرْصَةٍ مُناسِبَةٍ . حاوَلَ أَنْ يَتَذَكَّرَ مَلامِحَهُما ، أَوْ مَلابِسَهُما ، وَلَكِنَّهُ كانَ قَدِ انْطَلَقَ بِسُرْعَةٍ فَلَمْ يُلاحِظْهُما .

أَمَرَ دارتانيان ، في تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، بِوَضْعِ الحِراسَةِ عَلى خَيْمَتِهِ ،

وَبَقِيَ هُوَ داخِلَها مُعْتَذِراً بِأَنَّهُ مُتْعَبٌ لِلغايَةِ وَبِحاجَةٍ إلى الرَّاحَةِ وَالهُدوءِ .



الفصل الثامن عشر

مُهِمَّةٌ خَطِرَةٌ تَأتي بِنَتائِجَ غَيْرِ عادِيَّةٍ

بَعْدَ ذَلِكَ بِأَيّامٍ قَلائِلَ ، قامَ دُوق دورليان ، الَّذي يَقودُ القُوّاتِ الفَرَنْسِيَّةَ أمامَ روشيل في غِيابِ المَلِكِ ، وَيَقومُ بِالتَّفْتيشِ عَلى المُعسكَرِ ، وَأَقَرَّ كُلَّ شَيْءٍ رَآهُ ، وَأَثْنى بِخَيْرٍ بِنَوْعٍ خاصٍّ عَلى السَّيِّدِ ديسَّار رَئيسِ الحَرَسِ المَلَكِيِّ .

اِتَّجَهَ دُوق دورليان نَحْوَ الجُنودِ ، وَرَفَعَ عَقيرَتَهُ قائِلاً : « أُريدُ ثَلاثَةَ أَوْ أَرْبَعَةَ مُتَطَوِّعينَ مَعَ قائِدٍ قَديرٍ ، لِلاضْطِلاعِ بِمُهِمَّةٍ خَطِرَةٍ . »

قالَ السَّيِّدُ ديسَّار ، وَهُوَ يُشيرُ إِلى دارتانيان : « ها هُوَ ذا الرَّجُلُ الَّذي يَقودُهُمْ ، يا سَيِّدي . »

تَقَدَّمَ دارتانيان إِلى الأَمامِ ، وَشَهَرَ سَيْفَهُ قائِلاً : « هَلْ مِنْ أَرْبَعَةِ رِجالٍ يُخاطِرونَ بِحَياتِهِمْ مَعي ؟ »

تَقَدَّمَ إِلى الأَمامِ اِثْنانِ مِنَ الحَرَسِ ، وَتَبِعَهُما مُباشَرَةً جُنْدِيّانِ ،

فَوافَقَ دارتانيان عَلى هَؤُلاءِ الأَرْبَعَةِ ، الَّذينَ أَبْدَوْا رَغْبَتَهُمْ بِدونِ تَرَدُّدٍ .

كانَتْ حامِيَةُ روشيل قَدْ شَنَّتْ هَجْمَةً في أَثْناءِ اللَّيْلِ ، وَاسْتَعادَتِ القَلْعَةَ الَّتي اسْتَوْلَتْ عَلَيْها القُوّاتُ المَلَكِيَّةُ قَبْلَ ذَلِكَ بِبِضْعَةِ أَيّامٍ .

كانَتْ مُهِمَّةُ دارتانيان فَحْصَ تِلْكَ القَلْعَةِ عَنْ قُرْبٍ ، وَمَعْرِفَةَ كَيْفِيَّةِ حِراسَةِ العَدُوِّ لَها .

خَرَجَ دارتانيان مَعَ رِفاقِهِ الأَرْبَعَةِ ، الحارِسانِ عَلى جانِبَيْهِ ، يَتْبَعُهُما الجُنْدِيّانِ ، فَساروا مُتَخَفّينَ داخِلَ خَنْدَقٍ ، حَتّى صاروا عَلى مَسافَةِ مِئَةِ مِتْرٍ مِنَ القَلْعَةِ ، فَتَوَقَّفوا لِكَيْ يَتَنَصَّتوا وَيَنْظُروا ما فَوْقَ جانِبِ الخَنْدَقِ الَّذي يَحْميهِمْ ؛ فَاكْتَشَفَ دارتانيان أَنَّ الجُنْدِيَّيْنِ لَيْسا خَلْفَهُ ، فَصَرَخَ في نَفْسِهِ قائِلاً : « يا لَهُما مِنْ جُبَناءَ ! رُبَّما نَكَصا عَلى أَعْقابِهِما . »

وَاسْتَداروا حَوْلَ زاوِيَةٍ عَلى مَقْرَبَةٍ مِنْهُمْ ، فَوَجَدوا أَنْفُسَهُمْ عَلى مَسافَةِ خَمْسينَ مِتْرًا مِنْ هَدَفِهِمْ ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا أَحَدًا . وَبَدَتِ القَلْعَةُ مَهْجورَةً ، غَيْرَ أَنَّهُمْ قَبْلَ أَنْ يُقَرِّروا ما إِذا كانوا يَسْتَمِرّونَ في تَقَدُّمِهِمْ أَوْ يَمْكُثونَ وَيُراقِبونَ ، مَرَّتْ اثْنَتا عَشْرَةَ قَذيفَةً تَصْفِرُ إِلى جانِبِ الثَّلاثَةِ .

وَعَرَفوا مِنْ هَذا كُلَّ ما أرادوا مَعْرِفَتَهُ ؛ فَالقَلْعَةُ مُحَصَّنَةٌ ، فَتَقَهْقَروا إلى الخَلْفِ في الحالِ .

وَحينَ انْعَطَفوا عِنْدَ زاوِيَةِ الخَنْدَقِ ، سَقَطَ أَحَدُ أفْرادِ الحَرَسِ صَريعًا ؛ إذْ أصابَتْهُ قَذيفَةٌ في صَدْرِهِ ، عَلى حينِ كانَ الآخَرُ سَليمًا مُعافًى ، وَلَمْ يُصَبْ بِسوءٍ ، فَاسْتَأْنَفَ سَيْرَهُ عائِدًا إلى المُعَسْكَرِ بِأقْصى ما أوتِيَ مِنْ سُرْعَةٍ .

وَإذِ انْكَبَّ دارتانيان عَلى الحارِسِ المُصابِ لإسْعافِهِ ، انْطَلَقَتْ قَذيفَتانِ أُخْرَيانِ ، أصابَتْ إحْداهُما رَأْسَ المُصابِ ، وَأصابَتِ الأُخْرى جانِبَ الخَنْدَقِ ، بِجِوارِ دارتانيان .

كانَ مِنَ الواضِحِ – بِناءً عَلى اتِّجاهِ القَذيفَتَيْنِ – أنَّهُما لا يُمْكِنُ أنْ تَأْتِيا مِنَ القَلْعَةِ . وَفي لَمْحِ البَصَرِ ، تَذَكَّرَ دارتانيان الجُنْدِيَّيْنِ اللَّذَيْنِ حاوَلا الاعْتِداءَ عَلى حَياتِهِ في مَساءِ اليَوْمِ السّابِقِ ؛ فَاعْتَزَمَ في هَذِهِ المَرَّةِ أنْ يَكْتَشِفَ أمْرَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ . فَوَقَعَ فَوْقَ جِسْمِ الحارِسِ الصَّريعِ ، وَكَأَنَّهُ قَدْ أُصيبَ هُوَ نَفْسُهُ .

وَلَمْ يَمْضِ وَقْتٌ طَويلٌ حَتّى ظَهَرَ رَأْسانِ حَوْلَ زاوِيَةِ جانِبِ الخَنْدَقِ ، وَكانا رَأْسَيِ الجُنْدِيَّيْنِ . لَمْ يُخْطِئْ دارتانيان في حَدْسِهِ ؛ إذِ انْتَهَزَ الرَّجُلانِ فُرْصَةَ الخُروجِ مَعَ دارتانيان ؛ آمِلينِ في أنَّهُما إنْ قَتَلاهُ

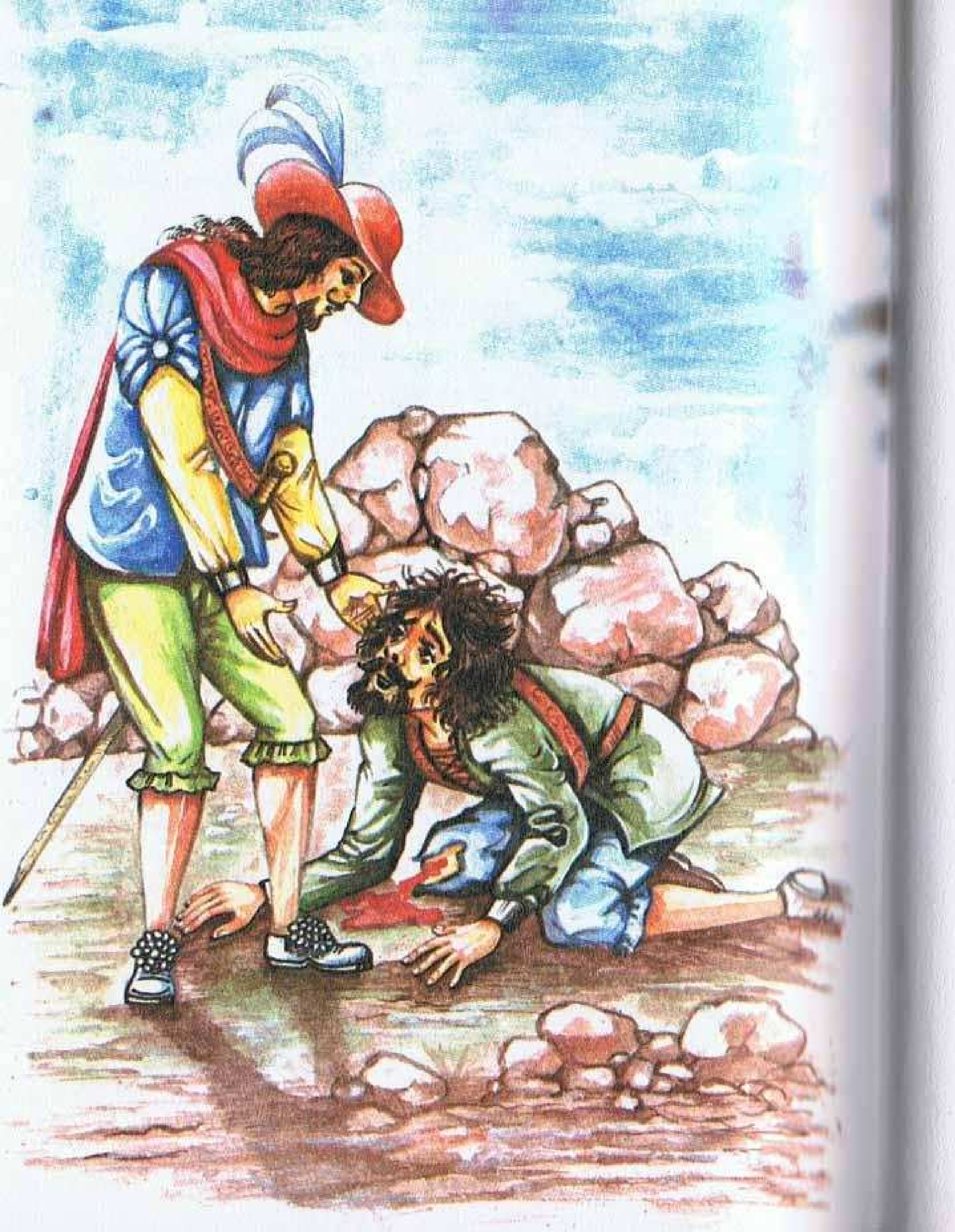
بَدا أنَّ العَدُوَّ هُوَ الَّذي قَتَلَهُ ، وَإذا جُرِحَ ، اتُّهِما فيما بَعْدُ ، وَلِذا تَقَدَّما نَحْوَهُ لِيَتَأَكَّدا مِمّا حَدَثَ لَهُ . وَلَكِنْ ، لِسوءِ حَظِّهِما ، خَدَعَتْهُما حيلَةُ دارتانيان ؛ إذْ لَمْ يُعيدا شَحْنَ بُنْدُقِيَّتَيْهِما . وَكانَ دارتانيان قَدِ احْتاطَ ألّا يَتْرُكَ سَيْفَهُ ، فَلَمّا صارا عَلى مَقْرُبَةِ بِضْعِ خُطُواتٍ مِنْهُ ، هَبَّ واقِفًا عَلى قَدَمَيْهِ .

وَأدْرَكَ القاتِلانِ عَلى الفَوْرِ ، أنَّهُ مِنَ العَبَثِ أنْ يَفِرّا إلى المُعَسْكَرِ دونَ أنْ يَنالا مِنْهُ ، فَإنْ أخْفَقا في ذَلِكَ انْضَمّا إلى قُوّاتِ العَدُوِّ .

وَهَوى أحَدُهُما بِبُنْدُقِيَّتِهِ عَلى دارتانيان ، إلّا أنَّ هَذا تَحاشى الضَّرْبَةَ الهائِلَةَ بِأنْ قَفَزَ جانِبًا بِسُرْعَةِ البَرْقِ ، تارِكًا بِعَمَلِهِ هَذا مَمَرًّا لِلْجُنْدِيِّ الآخَرِ ، الَّذي انْدَفَعَ هارِبًا في اتِّجاهِ القَلْعَةِ ، فَأطْلَقَ حُرّاسُ القَلْعَةِ النّارَ ظانّينَ إيّاهُ جُنْدِيًّا مَلَكِيًّا ، فَسَقَطَ وَقَدْ خُلِعَتْ كَتِفُهُ .

في الوَقْتِ ذاتِهِ ، هَجَمَ دارتانيان عَلى الجُنْدِيِّ الآخَرِ ، فَلَمْ يَسْتَغْرِقِ القِتالُ مَعَهُ سِوى بِضْعِ لَحَظاتٍ ، خَرَّ بَعْدَها الجُنْدِيُّ بِضَرْبَةِ سَيْفٍ في فَخِذِهِ .

صاحَ الجُنْدِيُّ مُسْتَرْحِمًا حينَ سَلَّطَ دارتانيان طَرَفَ سَيْفِهِ عَلى رَقَبَتِهِ ، قائِلاً : « لا تَقْتُلْني ! اِصْفَحْ عَنّي ! سامِحْني ، وَسَأَعْتَرِفُ لَكَ بِكُلِّ شَيْءٍ .»



قالَ دارتانيان : « لِماذا ؟ هَلْ سِرُّكَ عَظيمُ الأَهَمِّيَّةِ بِحَيْثُ يَمْنَعُني قَتْلَكَ ؟ »

« أَجَلْ ، إِنْ كُنْتَ تَعْتَقِدُ أَنَّ الحَياةَ تُساوي شَيْئًا لِشابٍّ شُجاعٍ وَوَسيمٍ مِثْلِكَ . »

صاحَ دارتانيان : « يا لَكَ مِنْ وَغْدٍ ! تَكَلَّمْ في الحالِ ! مَنِ الَّذي اسْتَأْجَرَكَ لِقَتْلي ؟ »

« لا أَعْرِفُ مَنْ هِيَ ، سِوى أَنَّها تُدْعى ميلادي . »

« إِنْ كُنْتَ لا تَعْرِفُها ، فَكَيْفَ تَعْرِفُ اسْمَها ؟ »

« خاطَبَها صَديقي بِهَذا الاسْمِ ، وَهُوَ الَّذي اتَّفَقَ مَعَها . وَالواقِعُ أَنَّ في جَيْبِهِ خِطابًا مِنْها . »

« كَيْفَ اشْتَرَكْتَ في هَذا العَمَلِ ؟ »

« اِقْتَرَحَ عَلَيَّ زَميلي أَنْ أَنْضَمَّ إِلَيْهِ ، فَوافَقْتُ . »

« ماذا كُنْتَ سَتَرْبَحُ بِعَمَلِكَ هَذا ؟ »

« مِئَةَ لويسٍ [1] نَقْتَسِمُها فيما بَيْنَنا . »

---

(١) اللويس عُمْلَةٌ ذَهَبِيَّةٌ فَرَنسِيَّةٌ قَديمَةٌ ، حَلَّ مَحَلَّها الونتو في سنة ١٧٩٥ .

قالَ دارتانيان ضاحِكًا : « إذًا فَهِيَ تَعْتَقِدُ أَنَّنِي أساوي شَيْئًا ! مِئَةُ لُويسٍ إغْراءٌ قَوِيٌّ لِخَسيسَيْنِ مِنْ أَمْثالِكُما . رَغْمَ هَذا ، سَأُبْقي عَلى حَياتِكَ ، بِشَرْطٍ واحِدٍ . »

سَأَلَهُ الجُنْدِيُّ بِقَلَقٍ : « ما هُوَ ؟ »

« أَنْ تَذْهَبَ وَتُحْضِرَ الخِطابَ الَّذي تَدَّعي أَنَّهُ في جَيْبِ زَميلِكَ . »

صاحَ : « لا ، لا ! لَيْسَ هَذا سِوى طَريقَةٍ أُخْرى لِقَتْلي ! سَيُطْلِقُ جُنودُ القَلْعَةِ النّارَ عَلَيَّ ، أَنا أَيْضًا . »

« هَيّا ! فَكِّرْ في الأَمْرِ . اِذْهَبْ وَأَحْضِرِ الخِطابَ ، وَإِلّا دَفَعْتُ سَيْفي في جَسَدِكَ . »

صاحَ الرَّجُلُ جاثِيًا : « أُعْفُ عَنّي ، يا سَيِّدي ! أَشْفِقْ عَلَيَّ ! »

صاحَ دارتانيان وَهُوَ يَهْجُمُ عَلى الرَّجُلِ بِوَحْشِيَّةٍ : « لا بُدَّ لي مِنْ ذَلِكَ الخِطابِ . »

صاحَ الرَّجُلُ مَذْعوراً مِنْ أَنْ تَكونَ هَذِهِ آخِرَ لَحْظَةٍ في عُمْرِهِ : « سَأَذْهَبُ ، سَأَذْهَبُ . »

زَحَفَ الرَّجُلُ الجَريحُ نَحْوَ زَميلِهِ وَهُوَ يَرْتَعِدُ فَرَقًا مِنَ المَوْتِ ؛ فَلَمّا أَبْصَرَ دارتانيان الرُّعْبَ يُطِلُّ مِنْ عَيْنَيْ ذَلِكَ الرَّجُلِ ، وَالدَّمَ الَّذي

يَنْزِفُ مِنْهُ ؛ أَشْفَقَ عَلَيْهِ .

قالَ دارتانيان وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ شَزْرًا : « قِفْ ، سَأُريكَ الفَرْقَ بَيْنَ الشُّجاعِ وَالجَبانِ . اِبْقَ حَيْثُ أَنْتَ ، وَسَأَحْمِلُ عَنْكَ عِبْءَ هَذِهِ المُخاطَرَةِ . »

أَخَذَ دارتانيان يُراقِبُ بِحَذَرٍ حَرَكَةَ الحُرّاسِ ، مُتَّخِذًا مِنَ الحُفَرِ وَالصُّخورِ ساتِرًا لَهُ ، حَتّى وَصَلَ في أَمانٍ إِلى حَيْثُ يَرْقُدُ الجُنْدِيُّ الثّاني .

كانَ عَلى دارتانيان أَنْ يَعْمَلَ أَحَدَ شَيْئَيْنِ : إِمّا أَنْ يُفَتِّشَ الرَّجُلَ حَيْثُ هُوَ ، وَإِمّا أَنْ يَحْمِلَهُ وَيَعودَ بِهِ ، مُتَّخِذًا إِيّاهُ دِرْعًا ، ثُمَّ يُفَتِّشَهُ في الخَنْدَقِ .

وَبِدونِ تَرَدُّدٍ ، قَرَّرَ دارتانيان الخُطَّةَ الثّانِيَةَ . وَبَعْدَ أَنْ رَفَعَ الرَّجُلَ عَلى كَتِفَيْهِ ، بِلَحْظَةٍ ، أَطْلَقَ الحُرّاسُ النّارَ .

شَعَرَ دارتانيان بِثَلاثِ طَلَقاتٍ ، عَلى الأَقَلِّ ، تُصيبُ الرَّجُلَ ، وَبِذا أَنْقَذَ حَياتَهُ مَنْ كانَ سَيُفْقِدُهُ إِيّاها .

عادَ دارتانيان إِلى الخَنْدَقِ سَليمًا ، فَأَنْزَلَ الجُثَّةَ ، وَفَتَّشَ في جُيوبِها .

وَجَدَ دارتانيان الخِطابَ في جَيْبٍ داخِلِيٍّ ، فَقَرَأَهُ ، فَإِذا بِهِ :

لا تترك ذلك الرجل ، إذ لو تركته ، فأنت تعرف أن يدي تمتد إلى مسافة بعيدة ، وأنك ستدفع الثمن غاليا نظير المئة لويس ، التي أخذتها مني

لَمْ يكُنْ بِالخِطابِ تَوْقيعٌ ، إلاّ أنّهُ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ شَكٌّ في أنَّ المُرْسِلَ هُوَ ميلادي . طَوى دارتانيان هَذا الخِطابَ وَ وَضَعَهُ بِعِنايَةٍ في جَيْبِهِ ، إذْ هُوَ دَليلٌ ماديٌّ قَوِيٌّ لإدانَتِها .

اِسْتَدارَ دارتانيان نَحْوَ الرَّجُلِ الجَريحِ، وَمَدَّ إلَيْهِ يَدَهُ قائِلاً : « هيّا ، لا يُمْكِنُني أنْ أدَعَكَ هُنا بِحالَتِكَ هَذِهِ . اِتَّكِئْ عَلى ذِراعي ، وَهَيّا بِنا نَعُدْ إلى المُعَسْكَرِ . »

جَثا الرَّجُلُ عَلى رُكْبَتَيْهِ ، وَانْحَنى لِيُقَبِّلَ قَدَمَيْ دارتانيان ، مُتَوَسِّلاً إلَيْهِ : « أشْفِقْ عَلَيَّ ! إنَّكَ سَتَعودُ بي إلى المُعَسْكَرِ لِيَشْنُقوني ! دَعْني أمُتْ هُنا ! رُحْماكَ بي ! »

قالَ دارتانيان غاضِباً مِنْ فَرْطِ جُبْنِ الرَّجُلِ : « اِنْهَضْ ، فَقَدْ حَصَلْتَ عَلى وَعْدي . لِلْمَرَّةِ الثّانِيَةِ ، سَأُبْقي عَلى حَياتِكَ . »

وَصَلَ الحارِسُ الآخَرُ إلى المُعَسْكَرِ بِسَلامٍ ، وَأعْلَنَ عَنْ مَوْتِ الأرْبَعَةِ الآخَرينَ مِنْ فَريقِهِ . وَلِذا فَقَدْ دَهِشَ مَنْ بِالمُعَسْكَرِ دَهْشَةً بالِغَةً ، وَابْتَهَجوا عِنْدَما شاهَدوا دارتانيان يَعودُ سَليماً مُعافًى .

حَكى دارتانيان أنَّهُمْ هاجَموا العَدُوَّ فيما بَعْدُ لِلْحُصولِ عَلى مَزيدٍ مِنَ المَعْلوماتِ ، وَأنَّ العَدُوَّ تَمَكَّنَ مِنْ قَتْلِ اثْنَيْنِ ، وَجَرْحِ الجُنْدِيِّ الَّذي عادَ مَعَهُ .

أثْنى الجَيْشُ كُلُّهُ عَلى دارتانيان ثَناءً عَظيماً ، وَلَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ حَديثٌ طَوالَ ذَلِكَ اليَوْمِ إلاّ في هَذا المَوْضوعِ . وَحَتّى دُوق دورليان ، امْتَدَحَهُ بِحَرارَةٍ بَعْدَ أنْ سَمِعَ تَقْريرَهُ .

وَالآنَ ، وَقَدْ قُتِلَ أحَدُ أعْداءِ دارتانيان ، وَصارَ كُلُّ هَمِّ عَدُوِّهِ الآخَرِ ، هُوَ أنْ يَكونَ في خِدْمَةِ دارتانيان ، أحَسَّ هَذا الأخيرُ بِراحَةِ بالٍ عَظيمَةٍ .

وَقَدْ أثْبَتَتْ راحَةُ البالِ هَذِهِ ، أنَّ دارتانيان أساءَ الحُكْمَ عَلى ميلادي .

الفصل التاسع عشر

عَصيرُ أنجو

تَعاقَبَتِ الأيّامُ ، وَلَمْ يَصِلِ المَلِكُ بَعْدُ ، كَما كانَ مُتَوَقَّعًا ، وَيَبْدو أَنَّهُ أُصيبَ بِوَعْكَةٍ بَسيطَةٍ ، أَدَّتْ إلى هَذا التَّأْخيرِ .

اسْتَمَرَّ دارتانيان في عَمَلِهِ هانِئَ البالِ ، كَما هِيَ الحالُ عِنْدَما يَنْجو إِنْسانٌ مِنْ خَطَرٍ مُحْدِقٍ ، غَيْرَ أَنَّ كُلَّ ما كانَ يُقْلِقُهُ هوَ عَدَمُ وُرودِ أَخْبارٍ عَنْ أَصْدِقائِهِ الثَّلاثَةِ .

وَكَمْ كانَتْ فَرْحَتُهُ عَظيمَةً ، عِنْدَما تَسَلَّمَ الخِطابَ التَّالِيَ بَعْدَ بِضْعَةِ أَسابيعَ :

« السيد دارتانيان

« تشرفت بدعوة السادة آثوس وبورثوس وأراميس إلى منزلي لتناول الشراب ، وقد أعجب هؤلاء كثيرًا بعصير أنجو ، حتى إنهم طلبوا مني أن أرسل

لك اثنتي عشرة زجاجة منه ؛ ففعلت .

« وتفضل ، يا سيدي ، بقبول عظيم الاحترام .

« خادمك المتواضع المطيع

جودو .»

صاحَ دارتانيان قائِلاً : « هَذا رائِعٌ ! لَقَدْ فَكَّروا فِيَّ أَثْناءَ مَسَرّاتِهِمْ ، مِثْلَما فَكَّرْتُ فيهِمْ أَثْناءَ مَتاعِبي ، إِلّا أَنَّني لَنْ أَشْرَبَ نَخْبَهُمْ وَحْدي .»

أَسْرَعَ دارتانيان ، مِنْ فَوْرِهِ ، يَبْحَثُ عَنِ اثْنَيْنِ بِذاتِهِما مِنْ رِجالِ الحَرَسِ ، كانَ عَلى صِلَةٍ جِدِّ طَيِّبَةٍ بِهِما . كانَ أَحَدُهُما في نَوْبَتِهِ هَذِهِ اللَّيْلَةَ ، وَالآخَرُ نَوْبَتُهُ في اللَّيْلَةِ التّالِيَةِ . فَاتَّفَقوا عَلى أَنْ يَتَناوَلوا العَشاءَ مَعًا في اللَّيْلَةِ التّالِيَةِ لِنَوْبَةِ الثّاني ، وَيَشْرَبوا نَخْبَ أَصْدِقائِهِمُ الغائِبينَ .

عَهِدَ دارتانيان بِزُجاجاتِ العَصيرِ الاثْنَتَيْ عَشْرَةَ ، إِلى خادِمِهِ بلانْشيه ، وَأَصْدَرَ إِلَيْهِ التَّعْليماتِ بِإِعْدادِ عَشاءٍ خاصٍّ .

ابْتَهَجَ بلانْشيه ، وَبَدَأَ يَعْمَلُ بِنَفْسٍ راضِيَةٍ ، عَلى ثِقَةٍ بِأَنَّ سَيِّدَهُ لا بُدَّ سَيُعْطيهِ كَأْسًا مِنَ العَصيرِ . وَكانَ يُساعِدُهُ في هَذا العَمَلِ الجُنْدِيُّ الزّائِفُ ، الَّذي كانَ ، في ذَلِكَ الوَقْتِ ، في خِدْمَةِ

دارتانيان . كَما حَصَلَ عَلى مُساعَدَةِ فُورو خادِمِ أَحَدِ الضَّيْفَيْنِ.

وَحانَ وَقْتُ العَشاءِ ، فَاتَّخَذَ الأَصْدِقاءُ الثَّلاثَةُ أَماكِنَهُمْ ، وَصُفَّتِ الأَطْباقُ عَلى المائِدَةِ ، وَقامَ پلانْشيه بِالخِدْمَةِ ، وَفَتَحَ فُورو زُجاجاتِ العَصيرِ ، وَصَبَّ الجُنْدِيُّ بريزمون العَصيرَ في الكُئوسِ . وَرَجَّ فُورو أَوَّلَ زُجاجَةٍ عِنْدَ فَتْحِها ، فَإِذا بِالعَصيرِ عَكِرٌ . وَسَمَحَ دارتانيان لِلْجُنْدِيِّ أَنْ يَشْرَبَ مِنْه ، ثُمَّ يَمْلأَ الكُئوسَ مِنْ زُجاجاتٍ أُخْرى .

تَناوَلَ الضَّيْفانِ حَساءَهُما ، وَكانا موشِكَيْنِ عَلى أَنْ يَرْفَعا كَأْسَيْهِما لِيَشْرَبا نَخْبَ مُضيفِهِما ، فَإِذا بِهِمْ يَسْمَعونَ صَوْتَ انْطِلاقِ المَدافِعِ ، فَخَشِيَ الثَّلاثَةُ أَنْ يَكونَ قَدْ حَدَثَ هُجومٌ مُفاجِئٌ ، فاسْتَلُّوا سُيوفَهُمْ وَخَرَجوا إِلى مَواقِعِهِمْ .

وَما كادوا يُغادِرونَ الحُجْرَةَ ، حَتَّى سَمِعوا الهُتافاتِ : « يَحْيا المَلِكُ . يَحْيا الكارْدينالُ .» إِذاً فَقَدْ أُطْلِقَتِ المَدافِعُ تَحِيَّةً لِقُدومِ المَلِكِ .

أَخيراً وَصَلَ المَلِكُ ، مَعَ فُرْسانِهِ وَعَشَرَةِ آلافِ رَجُلٍ . وَإِذْ كانَ دارتانيان عَلى رَأْسِ ضُيوفِهِ ، فَسُرْعانَ ما أَبْصَرَهُ أَصْدِقاؤُهُ الثَّلاثَةُ . وَانْتَهى بِسُرْعَةٍ حَفْلُ الاسْتِقْبالِ ، وَاجْتَمَعَ شَمْلُ الأَصْدِقاءِ الأَرْبَعَةِ مُجَدَّداً .

صاحَ دارتانيان مُبْتَهِجاً وَهُوَ يُقَدِّمُ أَصْدِقاءَهُ إِلى الحارِسَيْنِ : « ما كُنْتُمْ لِتَصِلوا في فُرْصَةٍ أَفْضَلَ مِنْ هَذِهِ . يُمْكِنُكُمُ الآنَ أَنْ تَشْتَرِكوا مَعَنا في احْتِساءِ عَصيرِكُمْ .»

قالَ آثوس دَهِشاً : « عَصيرُنا !»

« نَعَمْ ، العَصيرُ الَّذي أَرْسَلْتُموهُ إِلَيَّ .»

« العَصيرُ الَّذي أَرْسَلْناهُ إِلَيْكَ ؟»

« طَبْعاً ، عَصيرُ أَنجو الَّذي تُغْرَمونَ بِهِ كَثيراً .»

قالَ آثوس وَهُوَ يَنْظُرُ إِلى أراميس بِخَجَلٍ : « هَلْ أَرْسَلْتَ عَصيراً ، يا أراميس ؟»

« لا !»

اسْتَطْرَدَ آثوس يَقولُ : « وَلا أَنْتَ ، يا پورْثوس ؟»

« لَمْ يَحْدُثْ !»

قالَ دارتانيان : « حَيْثُ إِنَّكُمْ لَمْ تُرْسِلوهُ ، فَمِنَ المُؤَكَّدِ أَنَّ جودو قَدْ أَرْسَلَهُ بِاسْمِكُمْ .»

قالَ پورْثوس : « مَهْما يَكُنْ مَصْدَرُهُ ، فَهَيَّا نَحْتَسيه .»

قالَ آثوس بِإِصْرارٍ : « لا ، لَنْ نَشْرَبَ بِغَباءٍ عَصيراً لا نَعْرِفُ

مَصْدَرُهُ .»

قالَ دارتانيان : « أ لَمْ تَطْلُبوا مِنْ جودو أنْ يُرْسِلَ لي بَعْضَ العَصيرِ ؟»

« نَعَمْ ، لَمْ نَطْلُبْ . وَلماذا تَظُنُّنا طَلَبْنا مِنْهُ ذَلِكَ ؟»

أطْلَعَهُمْ دارتانيان عَلى المُذَكِّرَةِ وَهُوَ يَقولُ : « ها هُوَ الخِطابُ الَّذي جاءَ مَعَ العَصيرِ .»

قالَ آثوس بِصَوْتٍ مُضْطَرِبٍ : « لا يُمْكِنُ أنْ يَكونَ هَذا الخِطابُ مِنْهُ . أضِفْ إلى ذَلِكَ ، أنَّنا لَمْ نَتَناوَلِ العَشاءَ مَعَهُ مُنْذُ عِدَّةِ شُهورٍ . إذًا ، فَهَذا الخِطابُ زائِفٌ !»

صَمَتَ الأرْبَعَةُ ، وَكُلٌّ مِنْهُمْ يَجولُ بِخاطِرِهِ ما يَراهُ مِنْ أفْكارٍ . وَكانَ دارتانيان هُوَ أوَّلَ مَنْ خَرَجَ عَنْ صَمْتِهِ ، فَصاحَ قائِلاً : « ميلادي ! أ يُمْكِنُ أنْ تَكونَ هَذِهِ مُؤامَرَةً أخْرى عَلى حَياتي ؟» قالَ هَذا ، وَانْطَلَقَ فَجْأةً إلى حُجْرَةِ المائِدَةِ ، يَتْبَعُهُ أصْدِقاؤُهُ الثَّلاثَةُ وَالضَّيْفانِ .

كانَ أوَّلَ مَنْ وَقَعَ عَلَيْهِ نَظَرُ دارتانيان حينَ دَخَلَ الحُجْرَةَ ، بريزمون وَهُوَ يَتَدَحْرَجُ عَلى الأرْضِ في ألَمٍ مُمِضٍّ ، عَلى حينِ يُحاوِلُ كُلٌّ مِنْ بِلانْشيه وَفورو إسْعافَهُ ، وَهُما شاحِبا اللَّوْنِ يَرْتَجِفانِ . وَلَكِنْ

مِنَ الواضِحِ أنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ كانَ يُحْتَضَرُ .

تَأوَّهَ بريزمون حينَ وَقَعَ بَصَرُهُ عَلى دارتانيان ، وَقالَ : « رَبَّاهُ ! بَعْدَ أنْ تَظاهَرْتَ بِالعَفْوِ عَنّي ، هأنْتَذا تَقْتُلُني بِالسُّمِّ !»

قالَ دارتانيان : « ماذا تَقولُ ، أيُّها الخَسيسُ ؟»

قالَ : « أعْطَيْتَني العَصيرَ ، وَطَلَبْتَ مِنّي أنْ أشْرَبَهُ . أرَدْتَ أنْ تَأخُذَ بِثَأرِكَ !»

قالَ دارتانيان : « أقْسِمُ بِشَرَفي أنَّني لَمْ أكُنْ أعْرِفُ أنَّ العَصيرَ مَسْمومٌ !»

غَيْرَ أنَّهُ لَمْ تَكُنْ ثَمَّةَ فائِدَةٌ مِنْ أنْ يَزيدَ عَلى قَوْلِهِ هَذا ؛ إذْ ماتَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِنْ فَوْرِهِ .

اِسْتَدارَ دارتانيان نَحْوَ ضَيْفَيْهِ ، وَقالَ : « أرْجوكُما ألا تَتَفَوَّها بِشَيْءٍ مِمّا حَدَثَ . قَدْ تَكونُ لأناسٍ ذَوي سُلْطانٍ عَظيمٍ يَدٌ في هَذا الأمْرِ ، وَمِنَ الأسْلَمِ لَكُما ألا تَكونَ لَكُما صِلَةٌ بِهِ .»

وَعَدَ الحارِسانِ بِألا يَذْكُرا هَذا الأمْرَ لأيِّ إنْسانٍ ، ثُمَّ لَمّا رَأيا رَغْبَةَ الأصْدِقاءِ الأرْبَعَةِ في الانْفِرادِ مَعًا ، اسْتَأذَنا وَانْصَرَفا .

قالَ آثوس : « فَلْنَتْرُكْ هَذِهِ الحُجْرَةَ ، وَنَأكُلْ في مَكانٍ آخَرَ ؛

فَلَيْسَ مِنَ المُسْتَحَبِّ وُجودُ المَوْتى عِنْدَ تَناوُلِ الطَّعامِ !»

قالَ دارتانيان وَهُوَ مُغادِرٌ : « أيْ پلانْشيه ، أَتْرُكُ جُثَّةَ هٰذا الرَّجُلِ في عُهْدَتِكَ . اسْتَدْعِ أَحَداً وَادْفِنْهُ . إِنَّهُ في الحَقيقَةِ اقْتَرَفَ جَريمَةً ، وَلٰكِنَّهُ نَدِمَ عَلَيْها .»

وَجَلَسَ الأَرْبَعَةُ في حُجْرَةٍ بِالطَّابَقِ العُلْوِيِّ ، وَتَناوَلوا طَعاماً شَهِيًّا قَدَّمَهُ لَهُمْ صاحِبُ الفُنْدُقِ ، وَشَرِبوا الماءَ الَّذي أَحْضَرَهُ لَهُمْ آثوس بِنَفْسِهِ ، مِنَ البِئْرِ الَّتي خَلْفَ الفُنْدُقِ .

وَبَيْنَما يَتَناوَلونَ وَجْبَتَهُمُ البَسيطَةَ ، رَوى دارتانيان لِأَصْدِقائِهِ الثَّلاثَةِ ، ما حَدَثَ في المُحاوَلَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ ، مِنْ إِطْلاقِ النَّارِ عَلَيْهِ .

الفصل العشرون

فُنْدُقُ بُرْجِ الحَمامِ الأَحْمَرِ

بَعْدَ ذٰلِكَ بِعِدَّةِ لَيالٍ ، كانَ آثوس وَپورثوس وَأراميس مُمْتَطين جِيادَهُمْ وَيَسيرونَ الهُوَيْنى في طَريقِهِمْ إِلى المُعَسْكَرِ مِنْ فُنْدُقٍ في القَرْيَةِ المُجاوِرَةِ ، فَإِذا بِهِمْ يَسْمَعونَ وَقْعَ حَوافِرِ خُيولٍ قادِمَةٍ . وَكانوا ثَلاثَتُهُمْ مُسَلَّحينَ تَسْليحاً كامِلاً ، وَلٰكِنَّهُمْ لا يَعْرِفونَ ما إِذا كانَ الرَّاكِبونَ القادِمونَ أَصْدِقاءَ ، أَوْ أَعْداءً . فَتَوَقَّفوا عَنِ السَّيْرِ وَانْضَمّوا مَعاً في وَسَطِ الطَّريقِ . وَفي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، أَضاءَ القَمَرُ مِنْ خَلْفِ سَحابَةٍ فَأَبْصَروا فارِسَيْنِ . وَفي اللَّحْظَةِ ذاتِها ، أَبْصَرَ القادِمانِ الرِّفاقَ الثَّلاثَةَ فَتَوَقَّفا ، وَبَدا أَنَّهُما لَمْ يُقَرِّرا بَعْدُ ماذا سَيَفْعَلانِ : هَلْ يَسْتَمِرّانِ في طَريقِهِما أَمْ يَعودانِ ؟

وَبِالطَّبْعِ ، كانَ هٰذا التَّرَدُّدُ كافِياً لِإِيقاظِ الشُّكوكِ في نُفوسِ الفُرْسانِ الَّذين لا يَهابونَ شَيْئاً ، فَصاحَ آثوس عَلى الفَوْرِ : « مَنْ

هُناكَ ؟» فَأجابَ أحَدُ الرّاكِبَيْنِ : « مَنْ أنْتَ ؟»

قالَ آثوس : « لَيسَ هَذا رَدًّا ! مَنِ الّذي يَسيرُ هُناكَ ؟ أجيبا ، وَإلّا فَسَنَهْجُمُ عَلَيْكُما .»

رَدَّ صَوْتٌ بَدا أنَّهُ مُعْتادٌ مِثْلَ تِلْكَ الأمور : « يَجِبُ أنْ تَأخُذوا حِذْرَكُمْ ، أيُّها السّادَةُ .»

قالَ آثوس لِرَفيقَيْهِ : « مِنَ الجائِزِ أنْ يَكونَ هَذا ضابِطًا ذا رُتْبَةٍ رَفيعَةٍ يَقومُ بِالتَّفْتيشِ لَيْلاً . ماذا تَقْتَرِحانِ أنْ نَفْعَلَ ؟»

كَرَّرَ الصَّوْتُ الآخَرُ قَوْلَهُ : « مَنْ أنْتُمْ ؟ أجيبوا وَإلّا فَسَتَنْدَمونَ عَلى عِصْيانِكُمْ !»

قالَ آثوس وَقَدْ تَأكَّدَ مِنْ أنَّ لِهَذا المُتَكَلِّمِ حَقَّ السُّؤالِ أكْثَرَ مِنْهُمْ: « فُرْسانُ المَلِكِ .»

« مِنْ أيَّةِ فِرْقَةٍ ؟»

« مِنْ فِرْقَةِ السَّيِّدِ دي تريفي .»

« تَقَدَّموا وَأخْبِروني ماذا تَعْمَلونَ هُنا في مِثْلِ هَذا الوَقْتِ ؟»

تَقَدَّمَ الرِّفاقُ الثَّلاثَةُ إلى الأمامِ قَليلاً وَفي بُطْءٍ ، فَرَأوا المُتَكَلِّمَ عَلى بُعْدِ بِضْعِ خُطُواتٍ أمامَ زَميلِهِ ، فَأشارَ آثوس إلى بورثوس وَأراميس

بِأنْ يَتَوَقَّفا ، وَسارَ بِجَوادِهِ ، وَحْدَهُ ، إلى الأمامِ .

قالَ آثوس : « عَفْواً ، يا سَيِّدي ! لَمْ نَعْرِفْ مَنْ أنْتَ . لَقَدْ كُنّا نَقومُ بِالحِراسَةِ .»

سَألَهُ الضّابِطُ الّذي احْتَفَظَ بِجُزْءٍ مِنْ وَجْهِهِ مُغَطًّى بِمِعْطَفِهِ : « ما اسْمُكَ ؟»

قالَ آثوس ، وَقَدْ ضايَقَهُ السُّؤالُ : « وَلَكِنْ مَنْ أنْتَ ؟ أُحِبُّ أنْ أعْرِفَ ما إذا كانَ لَكَ الحَقُّ في أنْ تَسْألَني أوْ لا .»

كَشَفَ الرّاكِبُ وَجْهَهُ ، وَقالَ : « ما اسْمُكَ ؟»

صاحَ آثوس دَهِشًا : « سَيِّدي الكارْدينالُ !»

كَرَّرَ الكارْدينالُ ، لِلْمَرَّةِ الثّالِثَةِ : « ما اسْمُكَ ؟»

قالَ : « آثوس .»

نادى الكارْدينالُ تابِعَهُ ، وَقالَ لَهُ بِصَوْتٍ خَفيضٍ : « يَجِبُ أنْ يَتْبَعَني هَؤلاءِ الفُرْسانُ الثَّلاثَةُ . لا أريدُ أنْ يُعْرَفَ أنَّني غادَرْتُ المُعَسْكَرَ ، فَإذا تَبِعونا ، تَأكَّدْنا مِنْ عَدَمِ إبْلاغِهِمْ أيَّ شَخْصٍ .»

قالَ آثوس : « نَحْنُ رِجالٌ ، يا سَيِّدي . خُذْ مِنّا كَلِمَةَ شَرَفٍ ، وَلا تَخَفْ ! فَإنَّنا نَحْفَظُ السِّرَّ ، وَأنْتَ تَعْلَمُ ذَلِكَ يَقينًا .»

نَظَرَ الكارديناكُ إلى آثوس لَحظَةً ، وَقالَ : « لَكَ أُذُنٌ حادَّةُ السَّمعِ ، يا سَيِّدُ آثوس ! لا أُريدُكُمْ أنْ تَتْبَعوني لأنَّني لا أثِقُ بِكُمْ ، ولكِنْ رُبَّما أحْتاجُ إلى حِمايَتِكُمْ . وَأعْتَقِدُ أنَّ زَميلَيْكَ هُما السَّيِّدانِ بُورثوس وَأراميس ، أ لَيْسَ كَذلِكَ ؟ »

أجابَ آثوس : « بَلى ، يا سَيِّدي . »

قالَ الكارْدينالُ : « أعْرِفُكُمْ ، أيُّها السّادَةُ . وَيُؤْسِفُني أنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنْ زُمْرَةِ أصْدِقائي الخُلَّصِ . وَلكِنَّكُمْ ، عَلى الأقَلِّ ، رِجالٌ صَناديدُ وَمُخْلِصونَ . وَأنا أضَعُ فيكُمْ ثِقَتي . اِتْبَعوني مِنْ فَضْلِكُمْ . »

قالَ آثوس : « خَيْراً تَفْعَلُ ، يا سَيِّدي ، بِأنْ تَطْلُبَ مِنّا مُرافَقَتَكَ ؛ فَقَدْ رَأيْنا في الطَّريقِ كَثيراً مِنَ الرِّجالِ يُنْبِئُ مَظْهَرُهُمْ عَلى أنَّهُمْ أشْرارٌ ، وَتَعارَكْنا مَعَ أرْبَعَةٍ مِنْهُمْ في فُنْدُقِ بُرْجِ الحَمامِ الأحْمَرِ . »

صاحَ الكارْدينالُ : « عِراكٌ ! لماذا ، أيُّها السّادَةُ ؟ تَعْلَمونَ أنَّني لا أحِبُّ المُشاغِبينَ ! »

« لِهَذا السَّبَبِ ، يا سَيِّدي ، لي شَرَفُ إخْبارِكَ بِهِ ؛ إذْ قَدْ يُشَوِّهُ لَكَ الحَقائِقَ غَيْرُنا ، فَتَلومُنا . »

سَألَ الكارْدينالُ عابِساً : « ماذا إذاً كانَتْ نَتيجَةُ ذَلِكَ العِراكِ ؟ »

« جُرِحَ صَديقي أراميس جُرْحاً بَسيطاً في ذِراعِهِ ، إلّا أنَّهُ يَسْتَطيعُ

الوُقوفَ في مَيْدانِ المَعْرَكَةِ غَداً ، إنِ اقْتَضى الأمْرُ . »

قالَ الكارْدينالُ : « إنَّكُمْ لَمْ تَتَعَوَّدوا السَّماحَ لِأحَدٍ بِأنْ يُصيبَكُمْ هَكَذا . كونوا صُرَحاءَ ، يا سادَةُ . أعْتَقِدُ أنَّكُمْ أخَذْتُمْ بِثَأْرِكُمْ مِنْ شَخْصٍ ما . »

قالَ آثوس : « نَحْنُ يا سَيِّدي ؟ لا ، فَلَمْ نَسْتَلَّ سُيوفَنا عَلى الإطْلاقِ ، بَلْ لَمْ أفْعَلْ سِوى أنْ أمْسَكْتُ بِالرَّجُلِ الآثِمِ وَقَذَفْتُ بِهِ مِنَ الشُّبّاكِ ، وَيَبْدو ... » ثُمَّ صَمَتَ قَليلاً ، وَاسْتَطْرَدَ يَقولُ مُتَرَدِّداً : « وَيَبْدو أنَّهُ كُسِرَتْ ساقُهُ نَتيجَةً لِسُقوطِهِ . »

قالَ الكارْدينالُ : « رَبّاهُ ! وَماذا فَعَلْتَ ، يا سَيِّدُ بُورثوس ؟ »

« لَمّا كُنْتُ أعْلَمُ ، يا سَيِّدي ، أنَّ المُبارَزَةَ مُحَرَّمَةٌ ، أمْسَكْتُ مَقْعَداً خَشَبِيًّا وَهَوَيْتُ بِهِ عَلى أحَدِ الأشْخاصِ ، وَأعْتَقِدُ أنَّ الضَّرْبَةَ كَسَرَتْ كَتِفَهُ . »

« وَماذا فَعَلْتَ ، يا سَيِّدُ أراميس ؟ »

« كَما تَعْلَمُ ، يا سَيِّدي ، أنا رَجُلٌ جِدُّ صَبورٍ وَمُحِبٌّ لِلْعَمَلِ وَأمْقُتُ العِراكَ . وَحَدَثَ أنْ هاجَمَني أحَدُ أولَئِكَ الرِّجالِ الأشْرارِ ، فَجَرَحَ ذِراعي اليُسْرى ، فَفَقَدْتُ صَبْري ، وَاسْتَلَلْتُ سَيْفي ، وَوَضَعْتُهُ أمامَ جِسْمي دِفاعاً عَنْ نَفْسي ، فانْقَضَّ عَلَيَّ ذَلِكَ الرَّجُلُ

بِوَحْشِيَّةٍ ، فاخْتَرَقَ السَّيْفُ جَسَدَهُ مُباشَرَةً . وَلا أَعْلَمُ يَقيناً ما حَدَثَ لَهُ ، سِوى أَنَّهُ سَقَطَ . ولَكِنّي أَعْتَقِدُ أَنَّ زَميلَيْهِ حَمَلاهُ بَعيداً .»

« يا لَرَحْمَةِ السَّماءِ ! لَقَدْ أُصيبَ ثَلاثَةُ رِجالٍ في العِراكِ بِما يُشْبِهُ العَجْزَ ! حَقًّا إِنَّكُمْ تُؤَدُّونَ واجِبَكُمْ عَلى الوَجْهِ الأَكْمَلِ ! وَما سَبَبُ ذَلِكَ العِراكِ ؟»

قالَ آثوس : « كانوا مَخْمورينَ ، يا سَيِّدي ، وَخِلْناهُمْ قَدْ يُسَبِّبونَ مُضايَقَةً لِلسَّيِّدَةِ الَّتي قَدِمَتْ إِلى الفُنْدُقِ في هَذا المَساءِ .»

« ما شَكْلُ هَذِهِ السَّيِّدَةِ ؟»

أَجابَ آثوس : « لَمْ نَرَها ، يا سَيِّدي .»

قالَ الكارْدينال بِحِدَّةٍ : « لَمْ تَرَوْها ! إِذاً فَقَدْ فَعَلْتُمْ خَيْراً بِالدِّفاعِ عَنْ سَيِّدَةٍ . وَأَنا ، بِالصُّدْفَةِ ، في طَريقي إِلى فُنْدُقِ بُرْجِ الحَمامِ الأَحْمَرِ ، وَسَأَتَحَقَّقُ مِنْ أَقْوالِكُمْ .»

قالَ آثوس مَزْهُوًّا : « سَبَقَ أَنْ قُلْتُ لِسِيادَتِكَ إِنَّنا رِجالٌ ! نَحْنُ لا نَكْذِبُ لِكَيْ نَحْمِيَ أَنْفُسَنا .»

قالَ الكارْدينالُ : « رَبّاهُ ! أَنا لا أَرْتابُ في كَلامِكُمْ لَحْظَةً واحِدَةً . وَلَكِنْ ، هَلْ كانَتْ هَذِهِ السَّيِّدَةُ وَحْدَها ؟»

« لا ، عَلى ما يَبْدو أَنَّ شَخْصاً ما قَدْ زارَها ، وَلَكِنَّهُ ، رَغْمَ الضَّوْضاءِ ، لَمْ يَظْهَرْ . وَعَلى ذَلِكَ ، فَمِنَ المُؤَكَّدِ أَنَّهُ جَبانٌ .»

قالَ الكارْدينالُ : « لا تَتَسَرَّعْ في الحُكْمِ ! اتْبَعوني .»

وَفي دَقائِقَ وَصَلوا إِلى فُنْدُقِ بُرْجِ الحَمامِ الأَحْمَرِ ، وَبِالقُرْبِ مِنَ البابِ ، أَمَرَ الكارْدينالُ خادِمَهُ وَالفُرْسانَ بِالتَّوَقُّفِ ، وَتَقَدَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ ، مِنْ بابٍ جانِبِيٍّ ، وَطَرَقَ ثَلاثَ طَرَقاتٍ بِطَريقَةٍ خاصَّةٍ ، فَخَرَجَ رَجُلٌ يَرْتَدي مِعْطَفاً فَضْفاضاً ، وَتَحَدَّثَ إِلى الكارْدينال لِبِضْعِ لَحَظاتٍ ، ثُمَّ قَفَزَ فَوْقَ حِصانِهِ الَّذي كانَ مُنْتَظِراً هُناكَ ، وَانْطَلَقَ بِهِ .

قالَ الكارْدينال بَعْدَ انْصِرافِ ذَلِكَ الفارِسِ الغَريبِ : « اقْتَرِبوا ، يا سادَةُ . لَقَدْ نَطَقْتُمْ بِالصِّدْقِ ، وَلَنْ يَكونَ خَطَئي ، إِذا كانَتْ نَتائِجُ اجْتِماعِنا في هَذا المَساءِ في غَيْرِ صالِحِكُمْ ، في يَوْمٍ مِنَ الأَيّامِ .»

تَرَجَّلَ الكارْدينالُ وَأَمَرَ الآخَرينَ بِأَنْ يَفْعَلوا مِثْلَهُ ، ثُمَّ سَلَّمَ عِنانَ فَرَسِهِ لِخادِمِهِ ، وَرَبَطَ الفُرْسانُ الثَّلاثَةُ أَعِنَّةَ خُيولِهِمْ في السِّياجِ .

مِنَ الجَلِيِّ أَنَّ صاحِبَ الفُنْدُقِ ، الَّذي جاءَ إِلى البابِ بِنَفْسِهِ ، كانَ يَتَوَقَّعُ مَجيءَ ضابِطٍ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ مَنْ هُوَ .

سَأَلَهُ الكارْدينالُ : « هَلْ عِنْدَكَ حُجْرَةٌ بِمِدْفَأَةٍ في الدَّوْرِ الأَرْضِيِّ ، لِيَبيتَ فيها هَؤُلاءِ السّادَةُ وَيَسْتَمْتِعوا بِالدِّفْءِ ؟»



انْحَنى صاحِبُ الفُنْدُقِ ، وقادَهُمْ إلى حُجْرَةٍ فَسيحَةٍ استُبْدِلَ فيها بِالمَوْقِدِ الحَديدِيِّ القَديمِ ، مَوْقِدٌ آخَرُ كَبيرٌ تَضْطَرِمُ بِداخِلِهِ نارٌ .

أَبْدى الكارْدينالُ اسْتِحْسانَهُ قائِلاً : « هَذِهِ حُجْرَةٌ رائِعَةٌ ! أُدْخُلوا ، يا سادَةُ ، وَأَرْجو أَنْ تَنْتَظِروا هُنا ؛ فَلَنْ أَتَأَخَّرَ عَنْكُمْ طَويلاً . »

دَخَلَ الفُرْسانُ الثَّلاثَةُ ، عَلى حينَ صَعِدَ الكارْدينالُ إلى الطّابَقِ العُلْوِيِّ مُباشَرَةً ، وَكانَ واضِحاً أَنَّهُ يَعْرِفُ الطَّريقَ جَيِّداً .

جَلَسَ بورْثوس وَأراميس إلى مائِدَةٍ بِقُرْبِ المِدْفَأَةِ ، وَأَخَذَ آثوس يَذْرَعُ أَرْضَ الحُجْرَةِ جيئَةً وذَهاباً ، مُفكِّراً فيمَنْ سَيُشَرِّفُهُ الكارْدينالُ بِمِثْلِ هَذِهِ الزِّيارَةِ الخاطِفَةِ . وَبَيْنَما هُوَ يَسيرُ هَكَذا في الحُجْرَةِ ، كانَ يَمُرُّ مِراراً بِالمَوْقِدِ القَديمِ غيرِ المُسْتَعْمَلِ . وَكانَتْ أُنْبوبَةُ المِدْخَنَةِ المَكْسورَةُ تَخْتَرِقُ السَّقْفَ وَتَتَّصِلُ بِمِدْفَأَةٍ في الحُجْرَةِ العُلْيا .

وَفي كُلِّ مَرَّةٍ يَمُرُّ فيها آثوس بِالأُنْبوبَةِ ، يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَسْمَعُ تَمْتَمَةَ أَصْواتٍ ، لِذا تَوَقَّفَ عِنْدَها مُتَنَصِّتاً . وَقَدْ أَمْتَعَهُ ما سَمِعَهُ ؛ إِذْ أَشارَ لِصَديقَيْهِ بِالْتِزامِ الصَّمْتِ وَالتَّقَدُّمِ مِنْ أُنْبوبَةِ المِدْخَنَةِ المَكْسورَةِ .

سَمِعوا الكارْدينالَ يَقولُ : « اِسْمَعي ، يا ميلادي ، فَهَذا الأَمْرُ بالِغُ الأَهَمِّيَّةِ . »

فَكَّرَ آثوس فيما سَمِعَ ، وَصاحَ في نَفْسِهِ مُتَعَجِّباً : « رَبّاهُ !

ميلادي !» واقْتَرَبَ بِأُذُنِهِ وَ وَضَعَها على الأنْبوبَةِ ، وَبِذا أَمْكَنَهُ أَنْ يُمَيِّزَ بِوُضوحٍ كثيراً مِنَ المُحادَثَةِ .

بَعْدَ لَحَظاتٍ قَلائِلَ ، أَخَذَ بِأَيْدي صَديقَيْهِ وَقادَهُما إلى الطَّرَفِ الآخَرِ مِنَ الحُجْرَةِ .

قالَ بُورْثوس : « ما الأَمْرُ ؟ لِمَ لا تُصْغي لِنِهايَةِ الحَديثِ ؟»

قالَ آثوس هامِساً : « صَهْ ! لَقَدْ سَمِعْتُ كُلَّ ما أُريدُ سَماعَهُ . وَفَضْلاً عَنْ هَذا ، يَجِبُ أَنْ أَنْصَرِفَ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ الكارْدينالُ .»

قالَ بُورْثوس : « وَماذا نَقولُ لَهُ إِنْ سَأَلَ عَنْكَ ؟»

قالَ : « لا تَنْتَظِراهُ حَتّى يَسْأَلَ . تَكَلَّما أَوَّلاً . أَخْبِراهُ بِأَنَّني خَرَجْتُ لأَفْحَصَ المِنْطَقَةَ المُحيطَةَ بِالفُنْدُقِ ؛ إِذْ لَدَيَّ سَبَبٌ يَجْعَلُني أَرْتابُ في الطَّريقِ . وَسَأُخْبِرُ رَجُلَ الكارْدينالِ بِالشَّيْءِ نَفْسِهِ وَأَنا مُغادِرٌ . لا تَقْلَقا عَلَيَّ وَلا عَلى ما سَأَفْعَلُهُ .»

رَجَعَ بُورْثوس وَأَراميس إلى مَكانَيْهِما قُرْبَ المِدْفَأَةِ ، يَسْتَمْتِعانِ بِدِفْئِها .

خَرَجَ آثوس ، فَحَلَّ عِنانَ جَوادِهِ وَشَرَحَ لِتابِعِ الكارْدينالِ سَبَبَ مُغادَرَتِهِ قَبْلَ زَميلَيْهِ . وَامْتَطى صَهْوَةَ فَرَسِهِ ، وَانْطَلَقَ بِسَيْفٍ مَسْلولٍ في الطَّريقِ المُؤَدِّيَةِ إلى المُعَسْكَرِ .

الفصل الحادي والعشرون

ميلادي تَسْتَقْبِلُ زائِراً غَيْرَ مُتَوَقَّعٍ

لَمْ يَكَدْ آثوس يَبْتَعِدُ بِحِصانِهِ كَثيراً ، حَتّى اسْتَدارَ بَعيداً عَنِ الطَّريقِ ، وَانْبَرى عائِداً ، حَتّى صارَ عَلى مَقْرُبَةٍ مِنْ فُنْدُقِ بُرْجِ الحَمامِ الأَحْمَرِ ، فَتَرَجَّلَ وَاخْتَبَأَ خَلْفَ سِياجٍ مُرْتَفِعٍ مِنَ النَّباتاتِ المُتَسَلِّقَةِ ، لَيْسَ بِبَعيدٍ عَنِ الطَّريقِ . وَلَمْ يَنْتَظِرْ هُناكَ طَويلاً حَتّى أَبْصَرَ الكارْدينالَ وَجَماعَتَهُ يَمُرّونَ في طَريقِهِمْ عائِدينَ إلى المُعَسْكَرِ ، فَتَرَكَهُمْ يَمُرّونَ بِخُيولِهِمْ حَتّى اخْتَفَوْا عَنْ ناظِرَيْهِ ، وَامْتَطى جَوادَهُ وَأَسْرَعَ عائِداً إلى الفُنْدُقِ .

فَتَحَ صاحِبُ الفُنْدُقِ البابَ ، فَعَرَفَهُ عَلى الفَوْرِ . وَبادَرَهُ آثوس : « أَرْسَلَني الضّابِطُ الَّذي زارَ السَّيِّدَةَ بِالدَّوْرِ العُلْوِيِّ ، بِرِسالَةٍ نَسِيَ أَنْ يُعْطِيَها إِيّاها .»

رَدَّ صاحِبُ الفُنْدُقِ : « السَّيِّدَةُ لا تَزالُ في حُجْرَتِها . اِصْعَدْ إِلَيْها .»



صَعِدَ آثوس مِنْ فَوْرِهِ ، مُحاذِراً وَهُوَ يَسيرُ بِخِفَّةٍ قَدْرَ الإمْكانِ ، فَأَبْصَرَ ميلادي مِنْ خِلالِ البابِ المَفْتوحِ تَلْبَسُ قُبَّعَتَها ، فَتَسلَّلَ إلى الحُجْرَةِ ، وَأَقْفَلَ البابَ خَلْفَهُ بِالمِزْلاجِ ، فالْتَفَتَتْ ميلادي عَلى صَوْتِ المِزْلاجِ .

وَقَفَ آثوس عِنْدَ البابِ مُتَلَفِّعاً بِمِعْطَفِهِ وَيُخْفي عَيْنَيْهِ بِقُبَّعَتِهِ وَذَهِلَتْ ميلادي لِهَذا الشَّخْصِ الصّامِتِ السّاكِنِ الَّذي لا يَتَحَرَّكُ ، كَأَنَّهُ تِمْثالٌ .

صاحَتْ تَسْأَلُهُ : « مَنْ أَنْتَ ؟ ماذا تُريدُ ؟»

رَدَّدَ آثوس لِنَفْسِهِ قائِلاً : « نَعَمْ ، إِنَّها هِيَ .»

وَأَطْلَقَ مِعْطَفَهُ ، وَخَلَعَ قُبَّعَتَهُ ، وخَطا نَحْوَها قائِلاً : « أَ تَعْرِفينَني ، يا سَيِّدَتي ؟»

تَقَدَّمَتْ ميلادي خُطْوَةً إلى الأمامِ ، ثُمَّ تَقَهْقَرَتْ إلى الخَلْفِ مَذْعورَةً وَكَأَنَّها أَبْصَرَتْ أَفْعى .

تَمْتَمَتْ تَقولُ وَقَدِ امْتُقِعَ لَوْنُها : « الكُونْت دي لا فير !»

قالَ آثوس : « نَعَمْ ، الكُونْت دي لا فير بِشَخْصِهِ – زَوْجُكِ ! فَلْنَقُلْ كَما قالَ الكارْدينال مُنْذُ لَحْظَةٍ قَصيرَةٍ : اجْلِسي وَدَعينا

نَتحَدَّثْ .»

جَلَستْ ميلادي مُرْتَعِبَةً ، وَلَمْ تَستطعْ أنْ تَنبِس بِبِنْتِ شَفَةٍ .

قالَ آتوس : « لَمْ يَدْرِ بخَلَدي قَطُّ أنْ توجدَ امرَأَةٌ شرِّيرَةٌ مِثْلُكِ ! ها قَدِ اعْتَرَضْتِ طَريقي مَرَّةً أخرى . ظَنَنْتُكِ شُنِقْتِ وَتَخَلَّصَ العالَمُ مِنْكِ . لكِنْ يَبْدو أنّني كُنْتُ مَخدوعاً ، إلا إذا كُنْتِ قَدْ عُدْتِ إلى الحَياةِ ثانِيَةً مِنَ الجَحيمِ !»

رَفَعَتْ ميلادي رَأسَها حينَ سَمِعَتْ هَذِهِ الألفاظَ الّتي ذَكَّرَتْها بِأحْداثِ الماضي الأليمَةِ .

اسْتَطْرَدَ آتوس ، يَقولُ : « نَعَمْ ، مَنَحَتْكِ الجَحيمُ الحَياةَ مِنْ جَديدٍ ، وَمَنَحَتْكِ ثَرْوَةً وَاسْماً آخَرَ ، وَلَكِنَّها لَمْ تَستَطِعْ أنْ تَمْحُوَ عَنْكِ سَوادَ رُوحِكِ ، وَلا عَلامَةَ العارِ مِنْ كَتِفِكِ .»

هَبَّتْ ميلادي واقِفَةً فَجْأةً ، وَعَيْناها تَقْدَحانِ بِشَرَرِ الغَضَبِ ، غَيْرَ أنَّ آتوس ظَلَّ جالِساً لا يَتَحَرَّكُ .

اسْتأنَفَ آتوس كَلامَهُ : « ظَنَنْتِني مِتُّ ، كَما ظَنَنْتُكِ أنا كَذَلِكَ . لَقَدْ أخْفى اسْمُ آتوس الكُونْت دي لا فير ، مِثْلَما أخفى اسْمُ ليدي وِينْتر اسْمَ آن دي بريّي . أ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ قَبْلَ أنْ نَتزَوَّجَ ؟»

قالَتْ ميلادي بِصَوْتٍ واهِنٍ مُضْطَرِبٍ : « ماذا جاءَ بِكَ إلَيَّ ؟

ماذا تُريدُ مِنّي ؟»

« أريدُكِ أنْ تَعْلَمي أنَّهُ رَغْمَ غِيابِكِ عَنْ ناظِرَيَّ ، فإنَّ حَياتَكِ كانَتْ ظاهِرَةً لي كَكِتابٍ مَفْتوحٍ أمامي .»

« ماذا تَعْرِفُ عَنّي ؟»

« بِوُسْعي أنْ أخبِرَكِ بِكُلِّ شَيْءٍ اقْتَرَفْتِهِ ، يَوْماً بِيَوْمٍ ، مُنْذُ دُخولِكِ في خِدْمَةِ الكارْدينالِ ، حَتّى هَذا المَساءِ .»

ابْتَسَمَتْ ميلادي ابْتِسامَةً شاحِبَةً ، وَهِيَ تَستَعيدُ بَعْضَ الثِّقَةِ ؛ إذْ خالَتْهُ يُبالِغُ في قَوْلِهِ .

أضافَ آتوس بِحِدَّةٍ : « اسْمَعي ! لَيْسَ لَدَيَّ وَقْتٌ لأسْرُدَ عَلَيْكِ قائِمَةً بِكُلِّ جَرائِمِكِ ، أوْ أصِفَ لَكِ حَياتَكِ الشِّرّيرَةَ . وَرَغْمَ ذَلِكَ ، اكْتَشَفَ دارتانيان سِرَّكِ المُخْزِيَ . هَلْ تُنْكِرينَ أنَّكِ اسْتأجَرْتِ رَجُلَيْنِ لِيَتَتَبَّعاهُ ، وَعِنْدَما أخْطَأتْهُ قَذائِفُهُما ، مَرَّتَيْنِ ، أرْسَلْتِ لَهُ نَبيذاً مَسْموماً، مَعَ خِطابٍ زائِفٍ ؟ ثُمَّ .. وَمُنْذُ بِضْعِ دَقائِقَ فَقَطْ ، في هَذِهِ الحُجْرَةِ ، ارْتَبَطْتِ بِعَهْدٍ مَعَ الكارْدينالِ عَلى أنْ تَقْتُلي دُوق بَكِنْجهام ، وَنَظيرَ هَذِهِ الخِدْمَةِ ، سَيَسْمَحُ لَكِ الكارْدينالُ بِقَتْلِ دارتانيان . وَكانَ مِنْ ضِمْنِ الكَلِماتِ الّتي اسْتَعْمَلْتِها : « حَياةٌ بِحَياةٍ ، وَرَجُلٌ بِرَجُلٍ .» أ لَيْسَ كَذَلِكَ ؟»

صاحَتْ ميلادي ، الَّتي غَدا وَجْهُها شاحِباً شُحوبَ المَوْتِ : « لا بُدَّ أنَّكَ الشَّيْطانُ نَفْسُهُ !»

قالَ آثوس : « رُبَّما ، وَلٰكِنْ أصْغي تَماماً وبِإمْعانٍ إلى ما سأقولُ. يُمْكِنُكِ أنْ تَفْعَلي ما تَشائينَ فيما يَخْتَصُّ بِدُوْق بكِنْجهام – تغْتالينَهُ أوْ تَعْمَلينَ عَلى اغْتِيالِهِ ، هَذانِ سِيَّانِ بِالنِّسْبَةِ لي ، وَلٰكِنَّكِ إنْ لَمَسْتِ بِطَرَفِ إصْبَعِكِ شَعْرَةً واحِدَةً مِنْ رَأسِ دارتانيان ، فَإنِّي أقْسِمُ بِرَأسِ أبي عَلى أنَّ هٰذِهِ الجَريمَةَ سَتَكونُ آخِرَ عَهْدِكِ بِالحَياةِ !»

بَقِيَ آثوس صامِتاً لِبِضْعِ لَحَظاتٍ ، وَقَدْ ثَبَّتَ عَيْنَيْهِ عَلى ميلادي ، وَصارَ وَجْهُهُ صُلْباً يَنِمُّ عَنْ عَزْمٍ وَمَضاءٍ . وَنَهَضَ بَطيئاً مِنْ مَقْعَدِهِ وَأخْرَجَ مُسَدَّسَهُ مِنْ جِرابِهِ . وَشَحَبَ وَجْهُ ميلادي شُحوبَ المَوْتى ، وَبَدَتْ كَأنَّها تَحَوَّلَتْ إلى تِمْثالٍ حَجَرِيٍّ . وَحاوَلَتْ أنْ تَصْرُخَ ، وَلٰكِنْ تَجَمَّدَتِ الأصْواتُ في حَلْقِها .

رَفَعَ آثوس المُسَدَّسَ بِبُطْءٍ ، ومَدَّ ذِراعَهُ ، وَصَوَّبَهُ نَحْوَها ، وَهُوَ يَتَحَدَّثُ بِصَوْتٍ مُرْعِبٍ ، تَدُلُّ لَهْجَتُهُ عَلى الحَسْمِ وَقُوَّةِ العَزيمَةِ ، قائِلاً: « أعْطيني ، في الحالِ ، تِلْكَ الوَرَقَةَ الَّتي وَقَّعَها الكارْدينالُ مَعَكِ ، وَإلّا نَسَفْتُ رَأسَكِ !»

كانَ مِنَ المُمْكِنِ أنْ تَرْتابَ ميلادي في أيِّ رَجُلٍ آخَرَ ، أمّا



بِالنِّسْبَةِ لآثوس ، فَلا . كانَتْ تَعْرِفُ أنَّهُ رَجُلُ الكَلِمَةِ ، وَقَرَأتْ في وَجْهِهِ الدّالِّ عَلى الإصْرارِ وَقُوَّةِ العَزيمَةِ ، أنَّهُ يوشِكُ عَلى أنْ يُطْلِقَ النّارَ ، فَأخْرَجَتِ الوَرَقَةَ مِنْ جَيْبِها سَريعاً ، وَقَدَّمَتْها إلَيْهِ .

فَضَّ آثوس الوَرَقَةَ ، وَقَرَأ :

٣ من ديسمبر سنة ١٦٢٧

إنه بأمري ولصالح الدولة فعل حامل هذه ما فعله .

ريشلييه

غادَرَ آثوس الحُجْرَةَ دونَ أنْ يَنْظُرَ خَلْفَهُ . وَفي الخارِجِ كانَ ثَمَّةَ فارِسانِ ، وَحِصانٌ أرْسَلَهُ الكارْدينالُ لِيَحْمِلَ ميلادي إلى الميناءِ في الانْتِظارِ .

يَمَّمَ آثوس نَحْوَ الفارِسَيْنِ ، وَقالَ : « أيُّها السَّيِّدانِ ، لا تَنْسيا أنَّ الأوامِرَ الَّتي لَدَيْكُما هِيَ مُرافَقَةُ السَّيِّدَةِ فَوْراً إلى الميناءِ ، وَألا تَتْرُكاها إلّا بَعْدَ أنْ تَصْعَدَ عَلى ظَهْرِ السَّفينَةِ . »

كانَتْ هَذِهِ التَّعْليماتُ هِيَ نَفْسُها الَّتي تَلَقَّاها الفارِسانِ مِنْ قَبْلُ. فَحَيَّا الرَّجُلانِ آثوس عَلامَةً على الإذْعانِ .

قَفَزَ آثوس عَلى ظَهْرِ حِصانِهِ ، وَرَكَضَ بِهِ . وَبَدَلاً مِنَ السَّيْرِ في الشَّارِعِ ، اخْتَصَرَ الطَّريقَ عَبْرَ الحُقولِ . وَتَوَقَّفَ مَرَّتَيْنِ وَأصْغى ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ شَيْئاً . أمَّا في المَرَّةِ الثَّالِثَةِ ، فَسَمِعَ وَقْعَ حَوافِرِ خُيولٍ مُقْبِلَةٍ فَتَيَقَّنَ فى نَفْسِهِ أنَّها خُيولُ الكارْدينالِ وَجَماعَتِهِ ؛ فَتَحاشاهُمْ وَسَبَقَهُمْ بِحِصانِهِ إلى مَكانٍ بِجِوارِ المُعَسْكَرِ قَبْلَهُمْ بِمَسافَةٍ ما .

وَهُناكَ أسْرَعَ فَمَسَحَ العَرَقَ المُتَصَبِّبَ مِنْ جِسْمِ جَوادِهِ ، وَاتَّخَذَ مَكاناً في وَسَطِ الطَّريقِ ، وَانْتَظَرَ .

عِنْدَما اقْتَرَبَ الرُّكْبانُ ، صاحَ آثوس : « مَنْ هُناكَ ؟ »

قالَ الكارْدينالُ : « أ هَذا فارِسُنا الشُّجاعُ ؟ »

قالَ پُورثُوس : « أجَلْ ، يا سَيِّدي . إنَّهُ هُوَ . »

قالَ الكارْدينالُ : « أشْكُرُ لَكَ حِراسَتَكَ المُتَيَقِّظَةَ يا سَيِّدُ آثوس . »

وَحينَ بَلَغوا مَدْخَلَ المُعَسْكَرِ ، حَيَّا الكارْدينالُ الأصْدِقاءَ الثَّلاثَةَ ، وَاسْتَمَرَّ في طَريقِهِ مَعَ تابِعِهِ .

حينَ ابْتَعَدَ الكارْدينالُ مَسافَةً كافِيَةً ، صاحَ آثوس : « بِحَوْزَتي الوَرَقَةُ الَّتي وَقَّعَ عَلَيْها . »

لَمْ يَتَفَوَّهِ الأصْدِقاءُ الثَّلاثَةُ بِكَلِمَةٍ واحِدَةٍ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَهُمْ في طَريقِهِمْ إلى مَقَرِّهِمْ ، إلّا بِإعْطاءِ أفْرادِ الحِراسَةِ كَلِمَةَ السِّرِّ .

الفصل الثاني والعشرون

عَقْدُ رِهانٍ سَخيف على عَمَلٍ خَطير

ما إنْ وَصَلَ الأَصْدِقاءُ الثَّلاثَةُ إلى مَقَرِّهِمْ ، حَتَّى أَرْسَلَ آثوس في طَلَبِ دارتانيان .

رَأى آثوس أَنَّهُ مِنَ الخطَرِ الكَلامُ بِحُرِّيَةٍ حَيْثُ هُمْ ، لِذا قَرَّروا تَناوُلَ طَعامِ الإِفْطارِ مُبَكِّرًا في فُنْدُقِ القَرْيَةِ ، حَيْثُ يَخْتَلِفونَ مَعًا . رَفَضَ آثوس أنْ يُفصِحَ بِكَلِمَةٍ واحِدَةٍ قَبْلَ أنْ يَبْلُغوا مَكانًا يُمْكِنُهُمُ التَّحَدُّثُ فيهِ دونَ أنْ يَتَنَصَّتْ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ ، وَحَيْثُ يَبْدو اجْتِماعُهُمْ طَبيعيًّا .

وَلِسوءِ حَظِّهِمْ ، وُجِدَ أَنَّ الفُنْدُقَ غَيْرُ مُناسِبٍ لِلْحَديثِ الخاصِّ ، إذْ دائمًا ما يَأْتي إلى هُناكَ أَفْواجٌ مِنْ رِجالِ الحَرَسِ ، وَالفُرْسانِ ، والجُنودِ لِطَلَبِ المُرَطِّباتِ . لِذا طَرَحوا فِكْرَةَ المُناقَشَةِ الخاصَّةِ مُؤَقَّتًا ، وَانْهَمَكوا في حَديثٍ عامٍّ .

كانَ أَهَمَّ ما دارَ حَوْلَهُ الحَديثُ ، هُوَ الهُجومُ الَّذي شُنَّ عَلى القَلْعَةِ في اليَوْمِ السّابِقِ ، وَطَرْدُ جُنودِ روشيل ، عَلى حينَ غادَرَ جُنودُ المَلِكِ القَلْعَةَ ؛ خَشْيَةَ أَنْ تَسْقُطَ جُدْرانُها عَلَيْهِمْ .

قالَ آثوس لأَرْبَعَةٍ مِنْ ضُبّاطِ الحَرَسِ : « أَيُّها السّادَةُ ، لَدَيَّ رِهانٌ أُريدُ أَنْ أَعْقِدَهُ مَعَكُمْ : أُراهِنُ عَلى أَنْ أَتَناوَلَ ، أنا وَرِفاقي الثَّلاثَةُ طَعامَ الإِفْطارِ في القَلْعَةِ . وَسَنَمْكُثُ هُناكَ ساعَةً كامِلَةً ، رَغْمَ ما قَدْ نَتَعَرَّضُ لَهُ مِنَ العَدُوِّ لإِجْبارِنا عَلى تَرْكِهِ .»

نَظَرَ پورتوس وَأراميس ، كُلٌّ إِلى الآخَرِ ، نَظْرَةً ذاتَ مَغْزًى .

قالَ السَّيِّدُ دي بوسيني ، وَهُوَ أَحَدُ الضُّبّاطِ : « إذًا ، فَلْنُحَدِّدْ قيمَةَ الرِّهانِ .»

قالَ آثوس : « أَنْتُمْ أَرْبَعَةُ رِجالٍ ، وَنَحْنُ أَرْبَعَةٌ ، وَمِنْ ثَمَّ ، فَلْتَكُنْ قيمَةُ الرِّهانِ العَشاءَ هُنا في السّاعَةِ الثّامِنَةِ؟ أَ هَذا يَكْفي ؟»

وافَقَ الضُّبّاطُ الأَرْبَعَةُ ، عَلى الفَوْرِ .

نادى آثوس خادِمَهُ جريمو ، وَأَشارَ إِلى سَلَّةٍ كَبيرَةٍ في الرُّكْنِ .

فَهِمَ جريمو أَنَّ سَيِّدَهُ يُريدُ مِنْهُ أَنْ يَضَعَ في السَّلَّةِ طَعامَ الإِفْطارِ ، الَّذي أَحْضَرَهُ صاحِبُ الفُنْدُقِ . وَبَعْدَها يَنْطَلِقُ الأَصْدِقاءُ الأَرْبَعَةُ ،

يَتْبَعُهُمْ جريمو بِالسَّلَّةِ إلى القَلْعَةِ .

وَعِنْدَما غادَروا المُعَسْكَرَ ، اسْتَدارَ دارتانيان نَحْوَ آثوس قائِلاً : « أَخْبِرْني ، يا آثوس ، إلى أَيْنَ نَحْنُ ذاهِبونَ ؟ »

« لا داعِيَ لِهَذا السُّؤالِ ؛ يُمْكِنُكَ أَنْ تَرى بِوُضوحٍ أَنَّنا ذاهِبونَ إلى القَلْعَةِ . »

« نَعَمْ ، وَلَكِنْ ماذا سَنَعْمَلُ هُناكَ ؟ »

« نَتَناوَلُ الإفْطارَ . »

قالَ دارتانيان بِضيقٍ : « ولِمَ لا نُفْطِرُ في الفُنْدُقِ ؟ أَنْتَ غامِضٌ في هَذا الصَّباحِ ، يا آثوس ! »

قالَ آثوس : « لَدَيْنا أَشْياءُ هامَّةٌ يَجِبُ مُناقَشَتُها . وَمِنَ المُسْتَحيلِ أَنْ نَتَكَلَّمَ وَلَوْ لِدَقيقَتَيْنِ فَقَطْ في الفُنْدُقِ ، دونَ مُقاطَعَةٍ . أَمَّا في القَلْعَةِ ، فَنَسْتَطيعُ عَلى الأَقَلِّ أَنْ نَتَكَلَّمَ بِحُرِّيَّةٍ . »

قالَ دارتانيان : « يَبْدو لي أَنَّهُ كانَ بِوُسْعِنا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِحُرِّيَّةٍ في الحُقولِ ، أَوْ عَلى شاطِئِ البَحْرِ . »

قالَ آثوس : « هُناكَ سَوْفَ يُلاحِظونَنا ، نَحْنُ الأَرْبَعَةَ ، في الحالِ ، وَبَعْدَ رُبْعِ السَّاعَةِ يَصِلُ الخَبَرُ إلى الكارْدينال عَنْ طَريقِ عُيونِهِ ، بِأَنَّنا

نَعْقِدُ جَلْسَةً سِرِّيَّةً . »

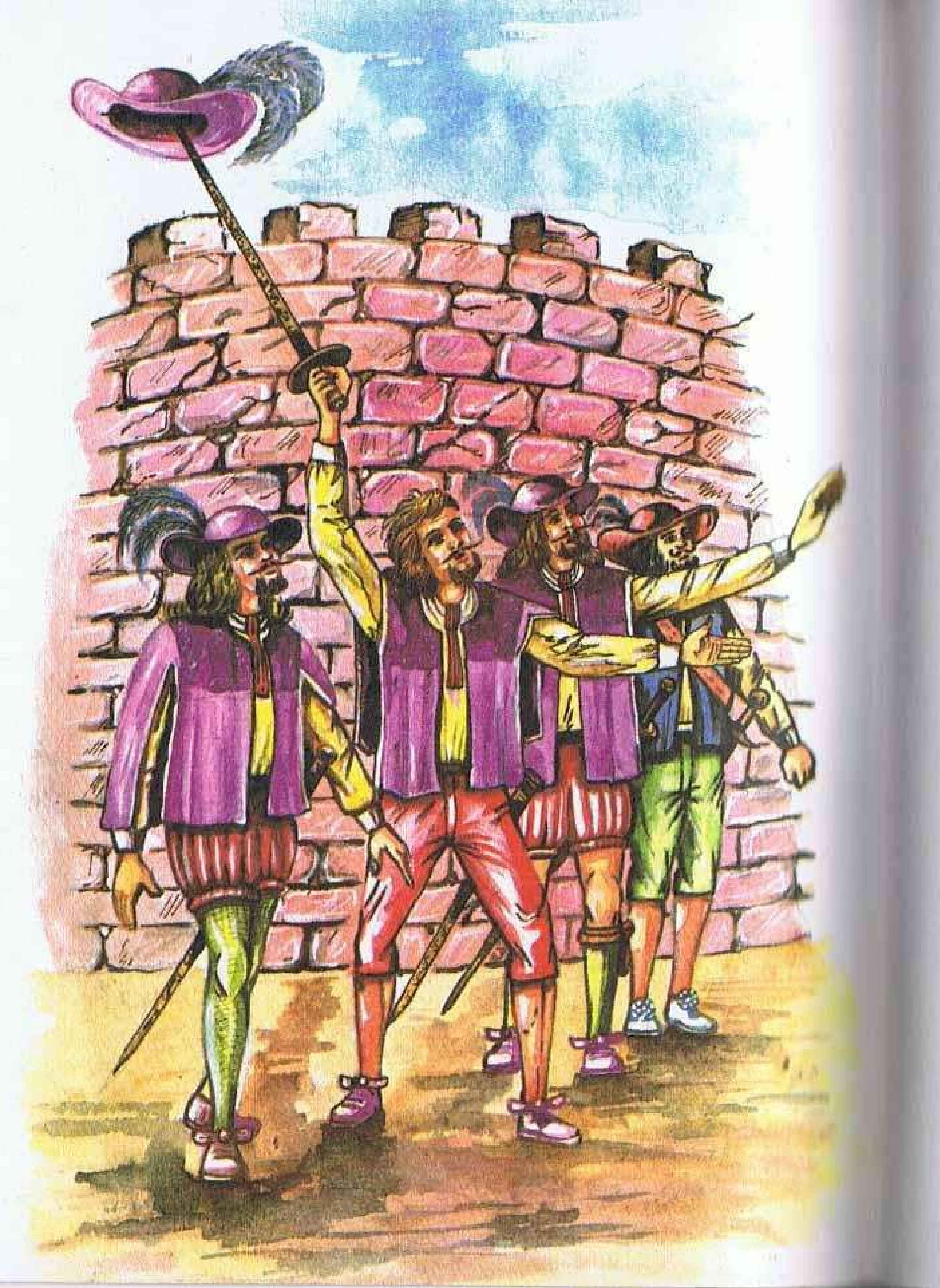
اسْتَطْرَدَ آثوس قائِلاً : « عَقَدْنا رِهانًا ، وَأَتَحَدَّى أَيَّ شَخْصٍ غَيْرِنا ، أَنْ يُخَمِّنَ الغَرَضَ الحَقيقِيَّ مِنْ هَذا الرِّهانِ . وَلِكَيْ نَكْسِبَهُ ، سَنَبْقى داخِلَ القَلْعَةِ ساعَةً كامِلَةً ، سَواءٌ هوجِمْنا أَوْ لَمْ نُهاجَمْ ؛ فَهَذا لا يَهُمُّ . سَيَكونُ لَدَيْنا مُتَّسَعٌ مِنَ الوَقْتِ لِلْحَديثِ ، وَأَنا عَلى يَقينٍ مِنْ أَنَّ تِلْكَ الحَوائِطَ لَيْسَ لَها آذانٌ ! فَإِذا هوجِمْنا ، فَلا يَزالُ بِمَقْدورِنا أَنْ نَتَحَدَّثَ في شُؤونِنا . أَضِفْ إلى ذَلِكَ أَنَّنا في دِفاعِنا عَنْ أَنْفُسِنا ، نُجَلِّلُ أَنْفُسَنا بِالمَجْدِ وَالفَخارِ . وَهَكَذا تَرى أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ في صالِحِنا . »

قالَ دارتانيان : « نَعَمْ ، وَلَكِنْ مِنَ المُؤَكَّدِ أَنَّنا سَنَكونُ هَدَفًا لِقَذائِفِ العَدُوِّ . »

قالَ آثوس : « هَذا مُمْكِنٌ جِدًّا ، وَلَكِنَّكَ تَعْرِفُ ، كَما أَعْرِفُ أَنا ، أَنَّ القَذائِفَ الَّتي تُخْشى أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ، لا تَأْتي مِنَ العَدُوِّ ! »

قالَ بورثوس : « كانَ عَلَيْنا أَنْ نُسَلِّحَ أَنْفُسَنا لِمِثْلِ هَذا العَمَلِ الخَطيرِ . »

رَدَّ آثوس : « سَيَكونُ هَذا عَبَثًا عَديمَ الجَدْوى . أَ نَسيتَ ما



أخْبَرنا بِهِ دارتانيان، عَنِ الهُجومِ الَّذي حَدَثَ بِالأَمْسِ ؟»

سَأَلَهُ پورثوس بِحِدَّةٍ : « ماذا قالَ ؟»

أجابَ آثوس : « في هُجومِ الأَمْسِ ، قُتِلَ ثَمانِيَةُ جُنودٍ أَوْ عَشَرَةٌ في القَلْعَةِ ، ومِثْلُهُمْ مِنْ رِجالِ روشيل .»

« وَبَعْدُ ؟»

رَدَّ آثوس : « لَمْ يُدْفَنوا ، وَلَمْ تُؤْخَذْ أَسْلِحَتُهُمْ ؛ لِذا سَنَجِدُ بَنادِقَهُمْ وَبارودَهُمْ وخَراطيشَهُمْ .»

عِنْدَ ذَلِكَ وصَلَ الأَرْبَعَةُ إِلى القَلْعَةِ ، وَتَطَلَّعوا فيما حَوْلَهُمْ ، فَوَجَدوا ثَلاثَمِئَةِ جُنْدِيٍّ عَلى الأَقَلِّ ، في جَماعاتٍ صَغيرَةٍ ، عَلى طولِ حُدودِ المُعَسْكَرِ . وَفي إِحْدى تِلْكَ الجَماعاتِ ، تَعَرَّفوا عَلى السَّيِّدِ دي بُوسيني ، وَأَصْدِقائِهِ الثَّلاثَةِ .

خَلَعَ آثوس قُبَّعَتَهُ وَ وَضَعَها عَلى طَرَفِ سَيْفِهِ ، وَلَوَّحَ بِها في الهَواءِ .

وَعِنْدَما دَخَلَ الأَرْبَعَةُ القَلْعَةَ ، أَمْكَنَهُمْ سَماعُ هُتافاتِ الجُنودِ مِنْ بَعيدٍ .

الفصل الثالث والعشرون

انعِقادُ مَجْلِسِ الأرْبَعَةِ في ظِلٍّ ظُروفٍ صَعْبَة

كَما كانَ مُتَوقَّعًا ، وَجَدَ المُغامِرونَ الأرْبَعَةُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ جُثَّةً داخِلَ القَلْعَةِ ، فَجَمَعوا بَنادِقَهُم الاثْنَتَيْ عَشْرَةَ في الحالِ ، وَشَحَنوها تَحَسُّبًا لأيِّ هُجومٍ يَحْدُثُ .

اِفْتَرَشَ الأرْبَعَةُ الأرْضَ ، حَوْلَ طَعامِ الإفْطارِ الَّذي وُضِعَ عَلى مِفْرَشٍ أبْيَضَ . وَأعْطى آثوس خادِمَهُ نَصيبًا مِنَ الطَّعامِ ، وَأمَرَهُ بِالحِراسَةِ .

قالَ دارتانيان : « لا خَوْفَ الآنَ مِنْ أنْ يَسْمَعَنا أحَدٌ ، وَعَلى هَذا، فَأرْجو أنْ تُطْلِعَني سَريعًا عَلى سِرِّكَ .»

قالَ آثوس : « السِّرُّ هُوَ أنَّني زُرْتُ ميلادي في اللَّيْلَةِ الماضِيَةِ .»

« زُرْتَ زَوْجَـ !»

قاطَعَهُ آثوس قائِلاً : « صَهْ ! أ نَسيتَ أنَّ هَذَيْنِ السَّيِّدَيْنِ لا يَعْلَمانِ شَيْئًا عَنْ شُئُوني العائِلِيَّةِ ؟ لَقَدْ رَأيتُ ميلادي .»

قالَ دارتانيان : « أيْنَ ؟»

« في فُنْدُقِ بُرْجِ الحَمامِ الأحْمَرِ .»

قالَ دارتانيان : « إذًا ، فَقَدْ ضِعْتُ !»

قالَ آثوس : « لا ! لَيْسَ الأمْرُ سَيِّئًا إلى هَذِهِ الدَّرَجَةِ ، يا صَديقي . رُبَّما تَكونُ ميلادي قَدْ غادَرَتِ الشَّواطِئَ الفَرَنْسِيَّةَ ، الآنَ .»

تَنَفَّسَ دارتانيان الصُّعَداءَ .

سَألَ بورْثوس بِصَوْتِهِ العَميقِ : « وَمَنْ هِيَ ميلادي هَذِهِ ؟»

قالَ آثوس : « اِمْرَأةٌ فاتِنَةٌ . اِمْرَأةٌ بالِغَةُ الفِتْنَةِ . يَبْدو أنَّها مُغْرَمَةٌ بِدارتانيان كَثيرًا ، لِدَرَجَةِ أنَّها اسْتَأجَرَتْ رَجُلَيْنِ لِيَغْتالاهُ ، فَحاوَلا ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ ، ولَكِنَّهُما أخْفَقا . ثُمَّ أرْسَلَتْ لَهُ هَدِيَّةً قَيِّمَةً مِنَ العَصيرِ المَسْمومِ ، وَالَّذي كُنّا نوشِكُ عَلى أنْ نُشارِكَهُ إيّاهُ . وَفي اللَّيْلَةِ الماضِيَةِ ، طالَبَتِ الكارْدينالَ بِرَأسِهِ .»

صاحَ دارتانيان ، وَقَدْ شَحَبَ لَوْنُهُ : « مُسْتَحيلٌ !»

قالَ بُورثُوس : « نَعَمْ ، هَذا جِدٌّ صَحيحٍ ، لَقَدْ سَمِعْتُها بِأُذُنَيَّ .»

قالَ أراميس : « وَأنا أيْضاً .»

رَدَّ دارتانيان ، وقَدْ ثَبَطَتْ عَزيمَتُهُ تَماماً : « إذاً ، فَلا جَدْوى لي مِنَ النِّضالِ بَعْدَ ذَلِكَ . يُمْكِنُني أنْ أنْسِفَ رَأسي ، فَيَنْتَهي كُلُّ شَيْءٍ .»

قالَ آثوس : « هَذا غَباءٌ مَحْضٌ طالَما لا عِلاجَ لِذَلِكَ يا لَرَحْمَةِ السَّماءِ ! يُشيرُ جريمو بِالاسْتِعْدادِ لاسْتِقْبالِ زائِرينَ .»

لَقَدْ أنْبَأَهُمْ جريمو ، بِأنَّ العَدُوَّ يَتَقَدَّمُ نَحْوَ القَلْعَةِ .

قالَ آثوس : « كَمْ رَجُلاً ؟»

« عِشْرونَ .»

« وَما نَوْعُهُمْ ؟»

« سِتَّةَ عَشَرَ عامِلاً ، وَأرْبَعَةُ جُنودٍ .»

نَهَضَ آثوس ، وَالْتَقَطَ بُنْدُقِيَّةً مَحْشُوَّةً ، وَتَقَدَّمَ مِنْ فُتْحَةٍ في الحائِطِ ، وَحَذا بُورثُوس وَأراميس وَدارتانيان حَذْوَهُ . وَ وَقَفَ جريمو خَلْفَهُمْ تَماماً ، على اسْتِعْدادٍ لإعادَةِ شَحْنِ بَنادِقِهِمْ بِمُجَرَّدِ إطْلاقِها.

تَقَدَّمَ العَدُوُّ داخِلَ خَنْدَقٍ يَرْبِطُ بَيْنَ المَدينَةِ والقَلْعَةِ ، وَ وَقَفَ آثوس

مَكْشوفاً تَماماً لِيُراقِبَهُمْ .

صاحَ دارتانيان : « خُذْ حِذْرَكَ ، يا آثوس ! أ لا تَراهُمْ يُصَوِّبونَ بَنادِقَهُمْ نَحْوَكَ ؟»

في تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، أطْلَقَ الجُنودُ الأرْبَعَةُ بَنادِقَهُمْ فَأصابَتْ طَلَقاتُهُمُ الحائِطَ قَريباً مِنْ آثوس .

وَرَدَّتْ عَلَيْهِمْ أرْبَعُ طَلَقاتٍ مُسَدَّدَةٍ بِإحْكامٍ ، فَسَقَطَ ثَلاثَةُ جُنودٍ قَتْلى ، وَجُرِحَ جُنْدِيٌّ .

وَبِسُرْعَةٍ تَمَّ تَغْييرُ البَنادِقِ ، وَانْطَلَقَتْ مَرَّةً أخْرى ، فَسَقَطَ الجُنْدِيُّ الجَريحُ ، واثْنانِ مِنَ العُمّالِ قَتْلى . وَعِنْدَئِذٍ فَرَّ بَقِيَّةُ الرِّجالِ هارِبينَ .

صاحَ آثوس : « وَالآنَ ، هَيّا بِنا نُطارِدْهُمْ ، يا سادَةُ .»

انْدَفَعَ الأرْبَعَةُ خارِجينَ مِنَ القَلْعَةِ إلى ساحَةِ المَعْرَكَةِ ، غَيْرَ أنَّهُمْ سُرْعانَ ما اقْتَنَعوا بِأنَّ العَدُوَّ لَنْ يَتَوَقَّفَ حَتّى يَصِلَ إلى مَوْضِعِ الأمانِ في المَدينَةِ . ولِذا جَمَعوا بَنادِقَ الجُنودِ الأرْبَعَةِ القَتْلى ، وَعادوا إلى القَلْعَةِ ظافِرينَ .

قالَ دارتانيان : « أ تَذَكَّرُ أنَّكَ قُلْتَ إنَّ ميلادي سَتَكونُ الآنَ قَدْ غادَرَتْ شَواطِئَ فَرَنْسا ؛ فَإلى أيْنَ سَتَذْهَبُ ؟»

« إلى إنْجِلْترا .»

« وَما هَدَفُها ؟»

أجابَ آثوس : « هَدَفُها أنْ تَغْتالَ دُوق بَكِنْجهام ، أوْ تَعْمَلَ على اغْتيالِه . وَلكِنَّ هَذا لا يَهُمُّني في قَليلٍ أوْ كَثيرٍ .»

اسْتَدارَ آثوس نَحْوَ خادِمِه ، وَقالَ : « أيْ جريمو ، اِرْبِطْ فُوطَةَ مائِدَةٍ في ساقٍ خَشَبِيَّةٍ ، وَضَعْها بِحَيْثُ تُرَفْرِفُ فَوْقَ القَلْعَةِ؛ فَيُبَيِّنُ هَذا لِلْعَدُوِّ ، أنَّهُم يَتَعامَلونَ مَعَ جُنودٍ صَناديدَ مُخْلِصينَ مِنْ جُنودِ المَلِكِ .»

أطاعَ جريمو الأمْرَ ، وَسَرْعانَ ما كانَ العَلَمُ الأبْيَضُ يُرَفْرِفُ عالِيًا فَوْقَ الأبْطالِ الأرْبَعَةِ ، فاسْتُقْبِلَ ظُهورُ العَلَمِ بِهُتافاتٍ عالِيَةٍ مِنَ المُعَسْكَرِ .

اِسْتَمَرَّ الأصْدِقاءُ الأرْبَعَةُ في تَناوُلِ طَعامِ الإفْطارِ ، وَالتَّحَدُّثِ عَنْ ميلادي . وارْتَجَفَتْ يَدا دارتانيان حينَ فَتَحَ آثوس الوَرَقَةَ الَّتي أجْبَرَ ميلادي عَلى أنْ تُسَلِّمَهُ إيّاها .

قالَ دارتانيان ، وَكَأنَّما في هَذِهِ الوَرَقَةِ الحُكْمُ بِإعْدامِهِ : « يَجِبُ تَمْزيقُ هَذِهِ الوَرَقَةِ !»

قالَ آثوس : « لا ، فَلِهَذِهِ الوَرَقَةِ أهَمِّيَّةٌ أكْثَرُ مِمّا تَظُنُّ .»

سَأَلَهُ دارتانيان : « وَلَكِنْ ، ماذا هِيَ فاعِلَةٌ الآنَ ؟»

رَدَّ آثوس : « لا شَكَّ في أنَّها سَتَكْتُبُ لِلْكارْدينالِ ، تُبْلِغُهُ أنَّ فارِسًا مَلْعونًا اسْمُهُ آثوس أجْبَرَها عَلى أنْ تُسَلِّمَهُ الوَرَقَةَ الَّتي تَحْميها . وَمِنَ المُحْتَمَلِ أنْ تُشيرَ عَلَيْهِ ، في الوَقْتِ نَفْسِهِ ، بِالتَّخَلُّصِ مِنْ صَديقَيْهِ أراميس وَبورْثوس . وَعِنْدَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الكارْدينالُ أنَّنا اعْتَرَضْنا طَريقَهُ أكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ . وَفي صَباحٍ جَميلٍ مُشْرِقٍ ، عِنْدَما يُقْبَضُ عَلى دارتانيان ، وَيُلْقَى في غَياهِبِ السِّجْنِ ، سَيُرْسِلوننا إلَيْهِ لِنُؤْنِسَ وَحْدَتَهُ !»

صاحَ دارتانيان : « عِنْدي فِكْرَةٌ .»

بادَرَهُ الثَّلاثَةُ الآخَرونَ ، في صَوْتٍ واحِدٍ ، قائِلينَ : « ما هِيَ؟»

قاطَعَهُمْ صِياحُ جريمو بِقَوْلِهِ : « إلى السِّلاحِ !»

هَبَّ الشُّبّانُ الأرْبَعَةُ المُغامِرونَ ، وأمْسَكوا بَنادِقَهُمْ .

كانَ العَدُوُّ القادِمُ ، في هَذِهِ المَرَّةِ ، أكْثَرَ عَدَدًا ، كانوا ما بَيْنَ عِشْرينَ وَخَمْسَةٍ وَعِشْرينَ رَجُلاً . وَكانوا كُلُّهُمْ جُنودًا مُسَلَّحينَ .

قالَ بورْثوس : « فَلْنَعُدْ إلى المُعَسْكَرِ ، إذْ لا أظُنُّ أنَّ الجانِبَيْنِ مُتَعادِلَيْنِ تَمامًا .»

رَدَّ آثوس : « لَنْ يَحْدُثَ هذا ؛ لِثلاثَةِ أسْبابٍ : أوَّلاً ، لَمْ نُنْهِ إفْطارَنا ، وَثانِياً ، لَدَيْنا أمورٌ هامَّةٌ جِدًّا تَجِبُ مُناقَشَتُها ، وَثالِثاً ، لا يَزالُ أمامَنا عَشْرُ دَقائِقَ لِنُكْمِلَ مُدَّةَ السَّاعَةِ ! »

قالَ أراميس : « في هَذِهِ الحالَةِ ، فَلْنُعِدَّ خُطَّةً لِلْقِتالِ . »

قالَ آثوس : « لا شَيْءَ أسْهَلَ مِنْها ؛ فَبِمُجَرَّدِ اقْتِرابِ العَدُوِّ ، حَتَّى يَصيرَ عَلى مَرْمى أسْلِحَتِنا ، نُطْلِقُ النَّارَ . فَإنِ اسْتَمَرَّ في الزَّحْفِ ، أعَدْنا الكَرَّةَ ، مَرَّةً وَمَرَّاتٍ ، ما دامَتْ لَدَيْنا بَنادِقُ مَحْشُوَّةٌ . فَإنِ اسْتَمَرَّ الباقونَ في هُجومِهِمْ ، فَلْنَسْتَدْرِجْهُمْ إلى الخَنْدَقِ أسْفَلَنا ، ثُمَّ نَدْفَعْ فَوْقَهُمُ الجِدارَ الَّذي لا يَزالُ قائِماً بِمُعْجِزَةٍ . »

أثْنى الجَميعُ عَلى هَذِهِ الخُطَّةِ ، قائِلينَ بِأنَّها رائِعَةٌ ، وَصَوَّبَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُمْ بُنْدُقِيَّتَهُ نَحْوَ جُنْدِيٍّ .

صاحَ آثوس : « أطْلِقوا النَّارَ ! »

وَأطْلِقَتْ أرْبَعُ بَنادِقَ ، فَسَقَطَ أرْبَعَةُ جُنودٍ صَرْعى .

وَدَقَّ العَدُوُّ طُبولَهُ بِسُرْعَةٍ أكْثَرَ ، فَتَقَدَّمَتِ الفِرْقَةُ الصَّغيرَةُ عَدْواً . واسْتَمَرَّ الأرْبَعَةُ في إطْلاقِ النَّارِ ، وَأخَذَ الجُنودُ في السُّقوطِ ، عَلى حينَ اسْتَمَرَّ الباقونَ يَتَقَدَّمونَ .

وَأخيراً ، وَصَلَ اثْنا عَشَرَ جُنْدِيًّا إلى الخَنْدَقِ أسْفَلَ جُدْرانِ الحِصْنِ . وَبِدونِ تَوَقُّفٍ ، أخَذوا يَسْتَعِدُّونَ لِلتَّسَلُّقِ . .

صاحَ آثوس : « وَالآنَ ، الجِدارَ ، الجِدارَ ! »

انْقَضَّ الأرْبَعَةُ ، يُساعِدُهُمْ جريمو ، عَلى الجِدارِ الضَّخْمِ الَّذي يَميلُ إلى الخارِجِ ، فَدَفَعوهُ بِبَنادِقِهِمْ ؛ فَهَوى إلى الخَنْدَقِ مُحْدِثاً دَوِيًّا هائِلاً ، وَإذا بِصَرَخاتِ الجُنودِ المَحْبوسينَ في الخَنْدَقِ تَتَعالى ، وَارْتَفَعَتْ سَحابَةٌ ضَخْمَةٌ مِنَ الغُبارِ ، وَبَدا السُّكوتُ الَّذي أعْقَبَ هَذا ، غَيْرَ عادِيٍّ .

قالَ آثوس : « لَسْتُ أدْري ، ما إذا كُنَّا قَدْ أبَدْناهُمْ جَميعاً أوْ لا . »

قالَ دارتانيان : « يَبْدو أنَّنا أبَدْناهُمْ جَميعاً . »

صاحَ آثوس : « لا ، فَهُناكَ ثَلاثَةٌ أوْ أرْبَعَةٌ يَزْحَفونَ إلى الخارِجِ . »

وَالواقِعُ أنَّ أرْبَعَةَ جُنودٍ ، سَيِّئي الحَظِّ ، مُسَرْبَلينَ بِالتُّرابِ وَالدَّمِ ، كانوا في طَريقِهِمْ داخِلَ الخَنْدَقِ عائِدينَ إلى المَدينَةِ . كانوا هُمْ وَحْدَهُمُ الأحْياءَ مِنَ القُوَّةِ المُهاجِمَةِ .

الفصل الرابع والعشرون

خاتَمٌ يَحُلُّ مُشْكِلَةً خَطيرَة

قالَ آثوس : « سادَتي ، لَنا الآنَ ساعَةٌ كامِلَةٌ داخِلَ القَلْعَةِ ، لِذا فَقَدْ كَسَبْنا الرِّهانَ ، وَلكِنَّنا لا نَسْتَطيعُ المُغادَرَةَ حَتَّى يُخْبِرَنا دارتانيان بِفِكْرَتِهِ . »

قالَ دارتانيان : « فِكْرَتي ، أَنْ نَذْهَبَ إِلى إِنْجِلْترا وَنُحَذِّرَ بِكِنْجهام . كُنْتُ هُناكَ ذاتَ مَرَّةٍ ، فَأَثْنى عَلَيَّ هَذا الدّوقُ كَثيراً عَنْ دَوْري في ماساتِ المَلِكَةِ . »

قالَ آثوس : « لا ، لا يُمْكِنُكَ أَنْ تَفْعَلَ هَذا ، يا دارتانيان ! فَعِنْدَما ذَهَبْتَ إِلى إِنْجِلْترا ، قَبْلَ اليَوْمِ ، لَمْ نَكُنْ في حَرْبٍ مَعَها . أَمَّا الآنَ ، فَنَحْنُ في حَرْبٍ مَعَها ، وَبِكِنْجهام عَدُوُّنا ، وَزِيارَتُكَ إِيّاهُ تُعَدُّ خِيانَةً عُظْمى ! »

لَمْ يَمْضِ وَقْتٌ طَويلٌ حَتَّى قَطَعَ حَديثَهُمْ صَفّارَةُ الإِنْذارِ العامِّ

بِالخَطَرِ ، في المَدينَةِ .

قالَ آثوس : « يَبْدو أَنَّهُمْ في طَريقِهِمْ لإِرْسالِ فِرْقَةٍ كامِلَةٍ لِقِتالِنا . فَلْيَأْتوا إِذاً ، فَسَوْفَ تَسْتَغْرِقُ مَسيرَتُهُمْ رُبْعَ السَّاعَةِ مِنَ المَدينَةِ إِلى هُنا ، وَفي هَذا الوَقْتِ ، نَكونُ بِالتَّأْكيدِ قَدْ فَكَّرْنا في خُطَّةٍ ما . فَإِنْ غادَرْنا هَذا المَكانَ ، فَلَنْ نَجِدَ مَكاناً آخَرَ مُناسِباً . آه ! اِنْتَظِروا لَحْظَةً ؛ فَلَدَيَّ فِكْرَةٌ . »

نادى آثوس خادِمَهُ جريمو ، وَأَشارَ أَوَّلاً ، إِلى جُثَثِ الجُنودِ القَتْلى في القَلْعَةِ ، ثُمَّ إِلى الحَوائِطِ ، وَأَخيراً إِلى قُبَّعاتِهِمْ وَبَنادِقِهِمْ ، فَصاحَ دارتانيان : « يا لَكَ مِنْ رَجُلٍ عَظيمٍ ! لَقَدْ فَهِمْتُ الآنَ . »

قالَ بورثوس : « أَحَقّاً ؟ »

قالَ أراميس : « هَلْ فَهِمْتَ ، يا جريمو ؟ »

وَكانَ جريمو مُنْهَمِكاً في العَمَلِ .

قالَ آثوس : « وَالآنَ ، هَيّا لِنُنَفِّذَ الفِكْرَةَ . هَذِهِ المَخْلوقَةُ ، هَذِهِ المَرْأَةُ الشِّريرَةُ الَّتي تُدْعى ميلادي ، أَ لَيْسَ لَها أَخو زَوْجٍ ، يا دارتانيان ؟ »

« بَلى ، وَأَعْرِفُهُ جيداً ، كَما أَعْرِفُ أَيْضاً أَنَّ عَلاقَتَهُ بِأَرْمَلَةِ أَخيهِ

لَيْسَتْ كَما يَجِبُ .»

عَقَّبَ آثوس بِقَوْلِهِ : « إِنْ كانَ يَمْقُتُها ، فَهَذا أَفْضَلُ .»

قالَ پُورْثُوس : « رَغْمَ ذَلِكَ ، أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ ما يَفْعَلُهُ جريمو .»

قالَ أراميس : « اسْمَعْ ، يا پُورْثُوس !»

قالَ آثوس : « ما اسْمُ شَقيقِ زَوْجِها هَذا ؟»

« لُورد وِينْتر .»

« وَأَيْنَ هُوَ الآنَ ؟»

« لَقَدْ عادَ إِلى إِنْجِلْترا عِنْدَ أَوَّلِ إِشارَةٍ لِلْحَرْبِ .»

« حَسَنٌ ، فَلْنُحَذِّرْهُ ، وَنُخْبِرْهُ بِزِيارَتِها وَهَدَفِها . وَيَقيناً ، سَيَجِدُ لَها مَكاناً يُمْكِنُ أَنْ يَسْجُنَها فيهِ ، وَعِنْدَئِذٍ نَحْظى بِالأَمانِ .»

قالَ پُورْثُوس : « رَغْمَ عَدَمِ قُدْرَتِنا عَلى تَرْكِ المُعَسْكَرِ لِلذَّهابِ إِلى إِنْجِلْترا ، فَبِوُسْعِ رِجالِنا أَنْ يَفْعَلوا .»

قالَ أراميس : « بِالطَّبْعِ يَسْتَطيعونَ . فَلْنَكْتُبْ خِطاباً ، وَنُزَوِّدْ رَسولَنا بِالمالِ الكافي ، وَبِوُسْعِهِ أَنْ يَرْحَلَ اليَوْمَ .»

قالَ آثوس : « مالٌ ! هَلْ مَعَكُمْ أَيُّ مالٍ ؟»

نَظَرَ كُلُّ واحِدٍ مِنَ الأَرْبَعَةِ إِلى الآخَرِ بِوَجْهٍ مُكْفَهِرٍّ ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ هُمُ الأَرْبَعَةَ جَميعاً ، لا يُمْكِنُهُمْ تَدْبيرُ المالِ الكافي لِتِلْكَ الرِّحْلَةِ .

قالَ دارتانيان وَهُوَ يَقْفِزُ مُنْتَصِباً عَلى قَدَمَيْهِ : « احْتَرِسوا ! لَقَدْ تَكَلَّمْتَ عَنْ فِرْقَةٍ مِنَ الجُنودِ ، يا آثوس ، وَلَكِنْ ها هُوَ ذا جَيْشٌ قادِمٌ .»

قالَ آثوس : « أُقْسِمُ بِشَرَفي إِنَّكَ لَعَلى حَقٍّ . هَلِ انْتَهَيْتَ مِنْ عَمَلِكَ ، يا جريمو ؟»

أَشارَ جريمو إِلى الاثْنَتَيْ عَشْرَةَ جُثَّةً الَّتي صَفَّها عَلى الحائِطِ : بَعْضُها يَحْمِلُ بَنادِقَ ، وَبَعْضٌ آخَرُ يَبْدو وَكَأَنَّهُ يُصَوِّبُها ، وَيُمْسِكُ الباقونَ السُّيوفَ في أَيْديهِمْ .

صاحَ آثوس : « مَرْحى ! مَرْحى ! هَذا عَمَلٌ عَظيمٌ يُشَرِّفُكَ ، يا جريمو !»

قال پُورْثُوس : « هَذا رائِعٌ ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَفْهَمَ !»

« فَلْنَنْصَرِفْ مِنْ هُنا الآنَ ، وَسَتَفْهَمُ فيما بَعْدُ .»

كانَ جريمو قَدِ انْصَرَفَ بِسَلَّةِ الإِفْطارِ ، ثُمَّ خَرَجَ في إِثْرِهِ



الأصْدِقاءُ الأرْبَعَةُ ، إلّا أنَّهُمْ بِمُجَرَّدِ أنْ غادَروا القَلْعَةَ حَتّى تَوَقَّفَ آثوس .

سَأَلَهُ أراميس : « هَلْ نَسيتَ شَيْئًا ؟ »

« العَلَمُ ! يَجِبُ ألا نَتْرُكَ العَلَمَ في أيْدي العَدُوِّ ، حَتّى وَلَوْ كانَ مُجَرَّدَ فوطَةِ مائِدَةٍ ! »

قالَ هَذا ، وَجَرى عائِدًا إلى القَلْعَةِ ، فَتَسَلَّقَ إلى القِمَّةِ ، وَأنْزَلَ فوطَةَ المائِدَةِ . وَفي تِلْكَ الآوِنَةِ ، كانَ العَدُوُّ عَلى مَرْمى البَنادِقِ ، فَلَمّا أبْصَرَ رَجُلاً يُعَرِّضُ نَفْسَهُ لَهُمْ بِغَباءٍ ، أطْلَقَ النّارَ عَلَيْهِ .

لَمْ يُصَبْ آثوس ، وَكَأنَّهُ يَحْمِلُ تَعْويذَةً سِحْرِيَّةً . وَمَعَ ذَلِكَ ، فَقَدِ اخْتَرَقَتْ ثَلاثُ طَلَقاتٍ الفوطَةَ ، وَجَعَلَتْ مِنْها عَلَمًا حَقيقِيًّا !

نَزَلَ آثوس ، وَانْضَمَّ إلى أصْدِقائِهِ الَّذينَ كانوا يَنْتَظِرونَهُ بِهُدوءٍ ، وَأداروا ظُهورَهُمْ إلى القَلْعَةِ ، مُتَّجِهينَ نَحْوَ المُعَسْكَرِ بِخُطًى وَئيدَةٍ .

بَعْدَ ذَلِكَ بِلَحْظَةٍ ، سَمِعوا أصْواتَ طَلَقاتٍ سَريعَةٍ مُتَلاحِقَةٍ .

صاحَ پُورْتُوس : « ما هَذا ؟ عَلى أيِّ شَيْءٍ يُطْلِقونَ قَذائِفَهُمُ الآنَ ؟ ما مِنْ قَذائِفَ تَنْفُذُ إلى هَذِهِ النّاحِيَةِ ، وَلا يُمْكِنُني أنْ أرى أحَدًا . »

« إنَّهُمْ يُطْلِقونَ القَذائِفَ عَلى الجُثَثِ الَّتي في القَلْعَةِ . »

« وَلكِنَّ المَوْتى لا يُمْكِنُهُمُ الرَّدُّ على نيرانِهِمْ !»

« بِالطَّبْعِ لا . وَلكِنْ في الوَقْتِ الَّذي يَكْتَشِفُ فيه الجَيْشُ الحيلَةَ ، نَكونُ نَحْنُ في أمانٍ بَعيداً عَنْ مَدى نيرانِهِمْ . وَلِهَذا السَّبَبِ ، لَسْنا بِحاجَةٍ إلى الجَرْيِ لِكَيْلا نُصابَ بِالبَرْدِ .»

صاحَ بُورثُوس بِدَهْشَةٍ : « رَبّاهُ ! الآنَ فَهِمْتُ !»

قالَ آثوس وَهُوَ يَهُزُّ رَأْسَهُ بِبُطْءٍ : « أخيراً !»

إلا أنَّ القذائِفَ سَرْعانَ ما أُطْلِقَتْ على المُغامِرينَ الأرْبَعَةِ ؛ فَقَدِ اسْتَوْلى العَدُوُّ على القَلْعَةِ .

قالَ آثوس : « أُقْسِمُ بِشَرَفي ، إنَّهُمْ جُنودٌ مَساكينُ ! لَسْتُ أدْري كَمْ قَتَلْنا مِنْهُمْ ، رُبَّما اثْنَيْ عَشَرَ .»

« أوْ خَمْسَةَ عَشَرَ .»

« وَكَمْ سَحَقْنا تَحْتَ الجِدارِ ؟»

« ثَمانِيَةً أوْ عَشَرَةً .»

« وَفي مُقابِلِ ذَلِكَ ، لَمْ نُصَبْ بِخَدْشٍ . وَلكِنْ ماذا أصابَ يَدَكَ ، يا دارتانيان ؟ يَبْدو أنَّها تَنْزِفُ .»

قالَ دارتانيان : « إنَّهُ لا شَيْءَ ، اِنْحَشَرَتْ أصابِعي بَيْنَ حَجَرَيْنِ

فَقَطَعَ الجِلْدُ . هَذا هُوَ كُلُّ ما حَدَثَ .»

عَقَّبَ آثوس قائِلاً : « هَذا نَتيجَةُ لُبْسِ الماسِ ، يا صَديقِي الصَّغيرَ .»

صاحَ بُورثُوس : « أ يوجَدُ هَذا الماسُ وَنَشْغَلُ أنْفُسَنا بِمَوْضوعِ المالِ ؟»

قالَ آثوس : « هَذا تَفْكيرٌ صائِبٌ ، يا بُورثُوس ! في هَذِهِ المَرَّةِ لَكَ فِكْرٌ يُعْتَدُّ بِهِ !»

قالَ بُورثُوس مُبْتَهِجاً لِسَماعِ إطْراءِ آثوس عَلَيْهِ : « طَبْعاً ، طالَما تُوجَدُ ماسَةٌ ، فَلْنَبِعْها .»

قالَ دارتانيان : « وَلكِنَّها الماسَةُ الَّتي أعْطَتْنيها المَلِكَةُ !»

قالَ آثوس : « هَذا سَبَبٌ أقْوى لِبَيْعِها . أ لَنْ نُنْقِذَ بِها صَديقَ المَلِكَةِ ، دُوقَ بَكِنْجهام ؟ ما رَأْيُكَ يا أراميس ، وَقَدْ أعْطى بُورثُوس رَأْيَهُ ؟»

قالَ أراميس ، في صَوْتٍ خَفيضٍ رَقيقٍ : « حَيْثُ إنَّ هَذا الخاتَمَ لَمْ يُعْطَ كَدَليلٍ لِلصَّداقَةِ ، بَلْ مُكافَأَةً عَلى خِدْماتٍ جَليلَةٍ ، فَلا أرى مانِعاً مِنْ بَيْعِهِ .»

قالَ آثوس : « أنْتَ تَتَكَلَّمُ كَواعِظِ المُسْتَقْبَلِ ، يا عَزيزي أراميس . نَصيحَتُكَ ... ؟»

قاطَعَهُ أراميس قائِلاً : « بيعوا الماسَةَ .»

قالَ دارتانيان : « إذاً ، فَلْنَبعِ الماسَةَ .»

قالَ آثوس : « نَحْنُ الآنَ على مَشارِفِ المُعَسْكَرِ ، يا سادةُ ، فَلا تَتَفَوَّهوا بِكَلِمَةٍ واحِدَةٍ في هَذا المَوْضوعِ . »

الفصل الخامس والعشرون

دارتانيان يُحَقِّقُ أعْظَمَ رَغَباتِهِ وَأراميس يَخُطُّ خِطاباً صَعْباً

تَجَمَّعَ آلافُ الجُنودِ عِنْدَ حُدودِ المُعَسْكَرِ ، وَهُمْ يَمْلَؤونَ الجَوَّ صِياحاً حينَ هَلَّ الأرْبَعَةُ مِنْ مُغامَرَتِهِمُ المَجيدَةِ ، وَإنْ كانَتْ بِدونِ تَعَقُّلٍ . وَلَمْ يَفْطَنْ أيُّ فَرْدٍ لِغَرَضِها الحَقيقِيِّ . وَلِبَعْضِ الوَقْتِ ما كانَ يُسْمَعُ سِوى : « يَحْيا الفُرْسانُ » وَ « يَحْيا الحَرَسُ » . وَالواقِعُ أنَّ الأصْواتَ غَدَتْ صاخِبَةً ، حَتّى إنَّ الكارْدينال أرْسَلَ قائِدَ الحَرَسِ لِيَسْتَطْلِعَ ما يَجْري هُناكَ .

لَمْ يَمْضِ وَقْتٌ طَويلٌ ، حَتّى رَجَعَ قائِدُ الحَرَسِ إلى الكارْدينال بِالخَبَرِ اليَقينِ .

قالَ القائِدُ : « تَراهَنَ ثَلاثَةُ فُرْسانٍ وَرَجُلٌ مِنَ الحَرَسِ التّابِعِ لِلسَّيِّدِ ديسّار ، مَعَ السَّيِّدِ دي بوسيني ، يا سَيِّدي ، عَلى أنَّ بِوُسْعِهِمْ أنْ يَتَناوَلوا إفْطارَهُمْ في القَلْعَةِ ، وَيَظَلّوا بِهِ مُدَّةَ ساعَةٍ كامِلَةٍ . وَيَبْدو

أنّهُمْ مكثوا في القَلْعَةِ قُرابَةَ ساعَتَيْنِ ، لا ساعَةٍ واحِدَةٍ . وَاسْتَوْلَوْا على القَلْعَةِ رغْمَ عِدَّةِ هَجَماتٍ قامَ بِها العَدُوُّ . وَقَتَلوا عَدَداً لا أَسْتَطيعُ حَصْرَهُ .»

« هَلْ عَرَفْتَ أسماءَ أولَئِكَ الفُرْسانِ الثَّلاثَةِ ؟»

« أجَلْ ، يا سَيِّدي . إنَّهُمُ السَّادَةُ آثوس وَبورثوس وَأراميس .»

تَمْتَمَ الكارْدينالُ : « أولئِكَ الثَّلاثَةُ ، مَرَّةً أخْرى ؟ وَمَن الحارِسُ ؟»

« السَّيِّدُ دارتانيان ، يا سَيِّدي .»

قالَ الكارْدينالُ لِنَفْسِهِ : « آه ! الحقيقَةُ أنَّهُ يَجِبُ أنْ أُلْحِقَ هؤلاءِ الرِّجالَ بِخِدْمَتي .»

وَعِنْدَ الظَّهيرَةِ ، تَحَدَّثَ الكارْدينالُ إلى السَّيِّدِ دي تريفي عَنْ مُغامَرَةِ الصَّباحِ ، وَحاوَلَ قَدْرَ اسْتِطاعَتِهِ ألا يُكْثِرَ مِنَ الكَلامِ عَنْها ؛ إذْ كانَتْ حَديثَ المُعَسْكَرِ كُلِّهِ . وَعَلِمَ السَّيِّدُ دي تريفي ، بِجَميعِ تَفاصيلِ هَذا الأمْرِ ، مِنَ الأصْدِقاءِ الأرْبَعَةِ أنْفُسِهِمْ ، فَأعادَ القِصَّةَ لِلكارْدينالِ ، بِكُلِّ تَفاصيلِها ، وَلَمْ يَنْسَ دَوْرَ فوطَةِ المائِدَةِ الَّتي اتَّخَذوها عَلَماً .»

قالَ الكارْدينالُ : « هَذا رائِعٌ ! أرْجوكَ أنْ تُرْسِلَ لي فوطَةَ المائِدَةِ

تِلْكَ ، وَسآمُرُ بِأنْ يُطَرِّزَ عَلَيْها بِخُيوطِ الذَّهَبِ ، ثَلاثُ زَهَراتِ نَرْجِسٍ ، ثُمَّ أهْدِيها لِفُرْسانِكَ كَعَلَمٍ فَخارٍ لَهُمْ .»

قالَ السَّيِّدُ دي تريفي ، بِغَيْرِ تَرَدُّدٍ : « لَنْ يَكونَ هَذا عَدْلاً لِرِجالِ الحَرَسِ ، يا سَيِّدي ! فَلَيْسَ السَّيِّدُ دارتانيان تابِعاً لي ، بَلْ هُوَ مِنْ رِجالِ الحَرَسِ ، تَحْتَ إمْرَةِ السَّيِّدِ ديسّار .»

قالَ الكارْدينالُ : « إذاً ، فَسَأجْعَلُهُ فارِساً ! فَعِنْدَما يَلْتَحِمُ أرْبَعَةُ رِجالٍ مَعاً في صَداقَةٍ وَطيدَةٍ ، فَمِنَ العَدْلِ أنْ يَعْمَلوا مَعاً .»

حينَ سَمِعَ دارتانيان هَذا النَّبأَ أحَسَّ بِفَرْحَةٍ عارِمَةٍ تَجْتاحُ كِيانَهُ ؛ إذْ كانَ حُلْمُ حياتِهِ أنْ يَصيرَ فارِساً . وَلَمْ يَكُنْ أصْدِقاؤُهُ الثَّلاثَةُ بِأقَلَّ مِنْهُ فَرَحاً .

قالَ دارتانيان : « يا لَلسَّماءِ ! لَقَدْ أتَتْ فِكْرَتُكَ يا آثوس ، بِأعْظَمَ مِمَّا ظَنَنْتَ ؛ فَقَدِ اكْتَسَيْنا بِالمَجْدِ ، وَصِرْتُ فارِساً ، رَغْمَ سِرِّيَّةِ هَدَفِنا .»

قالَ آثوس : « نَعَمْ ، وَزِيادَةً على ذَلِكَ ، فَسَيَظَلُّ حَديثُنا سِرِّيًّا ، دونَ أنْ يَشْتَبِهَ فينا أحَدٌ ، في كُلِّ مَرَّةٍ نُرى فيها مَعاً .»

في ذَلِكَ المَساءِ ، قَدَّمَ دارتانيان نَفْسَهُ لِلسَّيِّدِ ديسّار ، قَبْلَ انْتِقالِهِ إلى فِرْقَةِ الفُرْسانِ . وَكانَ السَّيِّدُ ديسّار يُجِلُّ دارتانيان كَثيراً ، فَعَرَضَ



عَلَيْهِ نُقوداً لِتغْطِيَةِ نفقاتِ حُلَّتِهِ الجَديدَةِ ، وَالمَطالِبِ الأخْرى اللازِمَةِ لَهُ ، فَشَكَرَهُ دارتانيان في أدَبٍ جَمٍّ ، رافِضاً قَبولَ أيَّةِ مُساعَدَةٍ مِنْ أيِّ إنْسانٍ . إلاّ أنَّهُ انْتهزَ هذِهِ الفُرْصَةَ ، وَطَلَبَ مِنَ السَّيِّدِ دِيسَّار أنْ يُثَمِّنَ لَهُ الماسَةَ ، لأنَّهُ يُريدُ بَيْعَها . وَبَعْدَ ظُهْرِ اليَوْمِ التَّالي ، ذَهَبَ خادِمُ السَّيِّدِ دِيسَّارِ إلى دارتانيان ، فَسَلَّمَهُ كيساً يَحْوي سَبْعَةَ آلافِ جُنَيْهٍ ، ثَمناً لِخاتَمِ المَلِكَةِ الماسيِّ .

بَعْدَ ذَلِكَ بِعِدَّةِ أمْسِيَّاتٍ ، تَقابَلَ الأصْدِقاءُ الأرْبَعَةُ ، لِيُكْمِلوا حَديثَهُمُ الخاصَّ . وَلَمْ يَبْقَ إلاّ أنْ يَكْتُبوا الرِّسالَةَ ، وَيُقَرِّروا مَنْ مِنْ رِجالِهِمْ سَيَحْمِلُها . وَبَعْدَ مُناقَشَةٍ طَويلَةٍ ، عَهِدوا بِكِتابَةِ الرِّسالَةِ إلى أراميس ، العالِمِ ، وَ واعِظِ المُسْتَقْبَلِ ، فَكَتَبَ الرِّسالَةَ التَّالِيَةَ :

سيدي اللورد :

تشرف كاتب هذه السطور القليلة بأن تبارز معك في ساحة سيجة خلف اللوفر. وإذ أقررت عدة مرات ، أنك صديق هذا الشخص ، فإنه يرى من واجبه على طريق هذه الصداقة ، أن يرسل إليك هذه المعلومات. لقد كدت ، ذات مرة ، أن تكون ضحية إحدى قريباتك ، التي تعتقد أنها وارثتك الوحيدة ؛ لأنك تجهل أنها قبل

زواجها في إنجلترا ، كانت متزوجة في فرنسا ولكنك قد تموت هذه المرة !

لقد غادرت قريبتك روشيل إلى إنجلترا ، أثناء الليل ؛ فترقب وصولها ، لأن لديها خططا عظمى رهيبة وإذا أردت أن تعرف ما هي قادرة على فعله فاقرأ تاريخ ماضيها على كتفها اليسرى !

وَبَعْدَ الفراغِ مِنَ الرِّسالَةِ ، قَرَّروا إرْسالَ پلانْشيه ، خادِمِ دارتانيان، بِها إلى لَنْدَن ، وَنُودِيَ عليهِ ، وَزُوِّدَ بِالتَّعْليماتِ ، مَعَ سَبْعِمِئَةِ جُنَيْهٍ مَصْروفًا لِلرِّحْلَةِ ، وَ وُعِدَ بِسَبْعِمِئَةِ جُنَيْهٍ أخرى عِنْدَ عَوْدَتِهِ ظافِرًا .

وَقالَ لَهُ دارتانيان : « وَالآنَ ، أمامَكَ ثَمانِيَةُ أيّامٍ لِكَيْ تَصِلَ إلى لُورد وِينْتر ، وَثَمانِيَةُ أيّامٍ لِلْعَوْدَةِ . فَإذا لَمْ تَرْجِعْ في السّاعَةِ الثّامِنَةِ مَساءً ، بَعْدَ سِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا مِنَ الغَدِ ، حَتّى وَلَوْ تَأَخَّرْتَ خَمْسَ دَقائِقَ ، فَلَنْ يَكونَ لَكَ نُقودٌ أخرى !»

قالَ پلانْشيه : « إذًا ، فَلْتَشْتَرِ لي ساعَةً .»

قالَ آثوس ، وَقَدْ تَفَضَّلَ بِإعْطائِهِ ساعَتَهُ : « إِلَيْكَ هَذِهِ . وَلَكِنْ تَذَكَّرْ أنَّكَ إنْ تَفَوَّهْتَ بِشَيْءٍ ، أوِ احْتَسَيْتَ خَمْرًا ، فَسَتُعَرِّضُ حَياةَ سَيِّدِكَ لِلْخَطَرِ . وَتَذَكَّرْ أيْضًا ، أنَّهُ إذا أصابَ دارتانيان أيُّ سوءٍ ، مِنْ

جَرّاءِ خَطَأٍ مِنْكَ ، فَسَأَجِدُكَ أيْنَما كُنْتَ ، وَأُقَطِّعُكَ إرْبًا إرْبًا !»

وَأضافَ پُورتُوس ، وَهُوَ يُديرُ عَيْنَيْهِ النَّجْلاوَيْنِ : « وَسَأَسْلَخُكَ حَيًّا !»

وَعَقَّبَ أراميس بِبُطْءٍ ، بِصَوْتِهِ الرَّقيقِ المَألوفِ : « سَأَشْويكَ فَوْقَ نارٍ هادِئَةٍ !»

اِقْتادَ دارتانيان خادِمَهُ خارِجًا ، وَتَحَدَّثَ إلَيْهِ بِهُدوءٍ وَجِدِّيَّةٍ ، قائِلاً : « إنَّكَ تَعْرِفُ أصْدِقائي الثَّلاثَةَ حَقَّ المَعْرِفَةِ . لَقَدْ تَكَلَّموا مَعَكَ بِهَذِهِ الطَّريقَةِ ، بِدافِعِ مَحَبَّتِهِمْ لي .»

قالَ پلانْشيه وَقَدِ اغْرَوْرَقَتْ عَيْناهُ بِالدُّموعِ : « سَوْفَ أنْجَحُ ، يا سَيِّدي ، أوْ أُقْتَلُ في هَذِهِ المُحاوَلَةِ .»

قالَ دارتانيان : « اِذْهَبِ الآنَ وَاسْتَرِحْ ، وَاحْفَظِ الرِّسالَةَ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ ، ثُمَّ أخْفِها في بِطانَةِ سُتْرَتِكَ .»

في الصَّباحِ التّالي ، عِنْدَما كانَ پلانْشيه موشِكًا عَلى الخُروجِ في رِحْلَتِهِ ، انْتَحى بِهِ دارتانيان جانِبًا ، وَقالَ لَهُ : « أصْغِ إلَيَّ جَيِّدًا ، يا پلانْشيه . بَعْدَ أنْ تُسَلِّمَ الرِّسالَةَ إلى لُورد وِينْتر ، وَبَعْدَ أنْ يَقْرَأَها ، قُلْ لَهُ أنْ يَحْرُسَ صاحِبَ السُّمُوِّ دُوق بَكِنْجهام ، لأنَّهُمْ يُخَطِّطونَ لاغْتِيالِهِ . هَذِهِ مَسْأَلَةٌ خَطيرَةٌ ، يا پلانْشيه ، سِرِّيَّةٌ لِدَرَجَةِ أنَّها أثْمَنُ

مِنْ حَياتي أنا ! فَلَمْ أكْتُبْ عَنْها ، وَلكِنّي أعْهَدُ بِها إلَيْكَ .»

رَدَّ بِلانْشيه : « تَأكَّدْ ، يا سَيِّدي ، مِنْ أنَّكَ وَضَعْتَ ثِقَتَكَ فيمَنْ تَجْدُرُ الثِّقَةُ بِهِ .»

في السّاعَةِ الثّامِنَةِ تَماماً ، بَعْدَ اليَوْمِ السّادِسَ عَشَرَ مِنْ رَحيلِ بِلانْشيه ، عادَ الرَّجُلُ وَقَدَّمَ نَفْسَهُ لِسَيِّدِهِ ، وَدَسَّ مُذَكَّرَةً في يَدِهِ .

هَمَسَ دارتانيان لأصْدِقائِهِ قائِلاً : « مَعي المُذَكَّرَةُ .»

قالَ آثوس : « هَذا رائِعٌ ! فَلْنَذْهَبْ إلى البَيْتِ وَنَقْرَأْها .»

كانَ بِتِلْكَ المُذَكَّرَةِ نِصْفُ سَطْرٍ مُدَوَّنٌ بِخَطٍّ إنْجليزِيٍّ واضِحٍ :

« شُكْراً ؛ لا تَقْلَقْ !»

أخَذَ آثوس المُذَكَّرَةَ وَأحْرَقَها ، وَانْتَظَرَ حَتّى تَمَّ احْتِراقُها تَماماً وَصارَتْ رَماداً .

قالَ دارتانيان لِبلانْشيه : « وَالآنَ ، يا رَجُلي ، اذْهَبْ إلى الفِراشِ وَنَمْ نَوْماً عَميقاً .»

« نَعَمْ ، يا سَيِّدي ، وَسَتَكونُ هَذِهِ أوَّلَ مَرَّةٍ أنامُ فيها ، طَوالَ سِتَّةَ عَشَرَ يَوْماً .» فَقالَ الأرْبَعَةُ مَعاً : « وَنَحْنُ أيْضاً .»

الفصل السادس والعشرون

العدالة

تَسَلَّمَ اللّورد وِينتر الرِّسالَةَ الَّتي حَمَلَها بِلانْشيه ، وَكانَ لَدَيْهِ مُتَّسَعٌ مِنَ الوَقْتِ لِمُراقَبَةِ ميلادي في جَميعِ المَوانِئِ الجَنوبِيَّةِ بِإنْجِلْترا .

وَعِنْدَما وَصَلَتْ ميلادي إلى شاطِئِ إنْجِلْترا ، قُبِضَ عَلَيْها في الحالِ ، وسُجِنَتْ بِمُوافَقَةِ دُوق بَكِنْجهام ، في أحَدِ قُصورِ اللّورد وِينتر ، الَّذي لَمْ يَكُنْ يُدْرِكُ أيَّ نَوْعٍ مِنَ النِّساءِ هذِهِ المَرْأةُ . فَلَوْ عَرَفَ ذَلِكَ ، لَما تَرَكَها بَعيداً عَنْ ناظِرَيْهِ لِلَحَظاتٍ ، وَلَقَيَّدَ يَدَيْها وَقَدَمَيْها بِالسَّلاسِلِ ، وَلَرَبَطَها في جِدارٍ ، وَاحْتَفَظَ بِمَفاتيحِ زِنْزانَتِها مَعَهُ هُوَ شَخْصِيّاً .

تَمَكَّنَتْ ميلادي مِنَ الهُروبِ ، بَعْدَ أقَلَّ مِنْ أسْبوعٍ ، وَاخْتَفى مَعَها سَجّانُها السَّيِّدُ فِيلْتون ، وَهُوَ ضابِطٌ بَحْرِيٌّ سابِقٌ ، صَغيرُ السِّنِّ . وَفي فَجْرِ اليَوْمِ التّالي لِهُروبِها ، كانَتْ عَلى ظَهْرِ سَفينَةٍ مُغادِرَةٍ إلى فَرَنْسا .

وَكانَ اللُّورْد وِينتر قَدْ عَهِدَ إلى فِيلْتون بِأسيرَتِه الجَميلَةِ . وَكانَتْ وَظيفَةُ هَذا السَّجّانِ ، الإشْرافَ عَلى وَجَباتِ طَعامِ السَّجينَةِ ، وَمُلاحَظَةَ تَغْييرِ الحُرّاسِ كُلَّ ساعَتَيْنِ ، وَأنْ يَحْتَفِظَ مَعَهُ دائِماً بِمَفاتيحِ زِنْزانَتِها . وَلَكِنْ سُرْعانَ ما اكْتَشَفَتْ ميلادي أنَّ فِيلْتون يَمْقُتُ دُوق بَكِنْجهام ، مَقْتَهُ السُّمَّ ؛ لأنَّهُ عارَضَ في تَرْقِيَتِهِ أثْناءَ خِدْمَتِهِ في البَحْرِيَّةِ ، وَبِذا أجْبَرَهُ عَلى الخِدْمَةِ عَلى الشّاطِئِ . وَسَريعاً ما أشْعَلَتْ ميلادي نارَ حِقْدِهِ ، فَاخْتَلَقَتْ بَعْضَ الأكاذيبِ ، وَأخْبَرَتْهُ بِأنَّها هِيَ أيْضاً مِنْ ضَحايا ذَلِكَ الدُّوق . وَقالَتْ إنَّها اسْتُدْرِجَتْ إلى إنْجِلْترا بِخُدْعَةٍ ، ثُمَّ قُبِضَ عَلَيْها ، وَسُجِنَتْ زُوراً بِأوامِرِ الدُّوق ، لأنَّها رَفَضَتْ أنْ تَتَزَوَّجَهُ ؛ وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ سَجَنَها الدُّوقُ لِيُعَذِّبَها حَتَّى تَرْضَخَ لَهُ وَتَتَزَوَّجَهُ .

وَسُرْعانَ ما أثارَتْ ميلادي عَطْفَ هَذا السَّجّانِ الصَّغيرِ ، بِجَمالِها وَدُموعِها وَأكاذيبِها . بَعْدَ ذَلِكَ ، بِوَقْتٍ قَصيرٍ ، أقْنَعَتْهُ بِأنْ يَقْتُلَ الدُّوقَ الشِّرّيرَ ، وَبِذا يَكونُ قَدْ أدّى عَمَلاً نَبيلاً ، إذْ سَيُنْقِذُ شَرَفَ فَتاةٍ بَريئَةٍ مَهيضَةِ الجَناحِ ، وَفي الوَقْتِ ذاتِهِ ، يُخَلِّصُ إنْجِلْترا مِنْ رَجُلٍ قاسٍ ظالِمٍ .

تَأخَّرَ إخْطارُ اللُّورْد وِينتر ، لِبِضْعِ ساعاتٍ ، بِهُروبِ ميلادي ، وَاخْتِفاءِ فِيلْتون المُفاجِئِ . وَعَلى الفَوْرِ أرْسَلَ الخَبَرَ إلى بَكِنْجهام ،

لِتَحْذيرِهِ مِنَ الخَطَرِ المُحْدِقِ بِهِ ، وَلَكِنْ بَعْدَ فَواتِ الأوانِ ، إذْ نَفَّذَ القاتِلُ فِيلْتون جِنايَتَهُ الشَّنيعَةَ . وَهَكَذا ، أنْجَزَتْ ميلادي المُهِمَّةَ المَوْكولَةَ إلَيْها ، رَغْمَ سَجْنِها . وَمِنْ ثَمَّ يَقَعُ إثْمُ هَذِهِ الجِنايَةِ عَلَيْها ، وَإنْ لَمْ تَكُنْ هِيَ المُنَفِّذَةَ الفِعْلِيَّةَ لِلْجَريمَةِ .

في ذَلِكَ اليَوْمِ نَفْسِهِ ، سافَرَ لُورْد وِينتر إلى فَرَنْسا لِيُطارِدَ ميلادي. وَلَمْ يَكُنْ مِنَ العَسيرِ عَلَيْهِ أنْ يَتَتَبَّعَ حَرَكاتِ مِثْلِ هَذِهِ المُسافِرَةِ الحَسْناءِ ، الَّتي كانَتْ تَدْفَعُ أجْرَ الخِدْماتِ بِالذَّهَبِ ، في مُخْتَلِفِ الفَنادِقِ الَّتي تَنْزِلُ بِها . فَلَمّا وَصَلَ إلى بِيتُون ، لَمْ يَعْثُرْ عَلَيْها هُناكَ ، إذْ كانَتْ قَدْ رَحَلَتْ قَبْلَ وُصولِهِ بِوَقْتٍ قَصيرٍ إلى أَرْمانْتِيير . وَلَكِنْ ، وَكَأنَّ يَدَ القَدَرِ قَدْ تَدَخَّلَتْ ، الْتَقى هُناكَ آثوس وَبُورْثُوس وَأراميس وَدارتانيان ، الَّذينَ تَصادَفَ وُجودُهُمْ في بِيتُون لأمْرٍ خاصٍّ ، فَأخْبَرَهُمْ لُورْد وِينتر بِكُلِّ ما حَدَثَ .

قالَ اللُّورد وِينتر : « وَهَكَذا تَرَوْنَ أنَّهُ يَجِبُ اتِّخاذُ الخُطُواتِ اللازِمَةِ لِلْقَبْضِ عَلى هَذِهِ المَرْأةِ الشِّرّيرَةِ ، وَمُعاقَبَتِها بِأسْرَعِ ما يُمْكِنُ . هَذا واجِبٌ يَنْبَغي إنْجازُهُ ؛ إذِ اكْتَشَفْتُ حَديثاً ، أنَّها هِيَ الَّتي تَسَبَّبَتْ في مَوْتِ أخي ؛ بِأنْ دَسَّتْ لَهُ السُّمَّ . »

هَبَّتْ في تِلْكَ اللَّيْلَةِ عاصِفَةٌ هَوْجاءُ ، غَيْرَ أنَّهُ رَغْمَ الوابِلِ

المُنْهمِرِ ، خَرَجَ آثوس وَحْدَهُ في الظَّلامِ ، وَقامَ بِجَوْلَةٍ خاطِفَةٍ في تِلْكَ القَرْيَةِ .

تَأخَّرَ الذَّهابُ إلى أَرْمانْتِيير ، في الصَّباحِ التَّالي لِبَعْضِ الوَقْتِ ، إلى حين مَجيءِ رَجُل طَويلِ القامَةِ ، مُقنَّع ، يَرْتَدي مِعْطَفاً طَويلاً أَحْمَرَ اللَّوْنِ . لَمْ يَتَبَيَّنْ أَيُّ فَرْدٍ مَنْ يَكونُ ذَلِكَ الرَّجُلُ ، سِوى آثوس الَّذي كانَ رَئيسَ الفِرْقَة .

وَلَمْ يَقُمْ آثوس بِتعارُفِهِمْ ، لِذا لَمْ تَكُنْ ثَمَّةَ أَسْئِلَةٌ . وَامْتَطَوْا جَميعاً خُيولَهُمْ ، وَجاسُوا في سُكونٍ خِلالَ الوَحْلِ الكَثيفِ وَالمَطرِ الغَزيرِ .

انْتَهَتْ مُطارَدَةُ ميلادي في أَرْمانْتِيير ، في وَقْتٍ مُتَأخِّرٍ مِنْ ذَلِكَ المَساءِ . وَبَدَأَتْ مُحاكَمَتُها عَلى الفَوْرِ ، بِدونِ إِجْراءاتٍ رَسميَّةٍ . وَكانَ الشُّهودُ هُمْ آثوس وَبورْثوس وَأراميس وَدارتانيان وَلُورد وِينْتر وَالرَّجُلَ الطَّويلَ المُقنَّعَ . وَصَدَرَ الحُكْمُ بِالإعْدامِ بِيَدَيِ الجَلّادِ العامِّ .

كانَتِ السّاعَةُ تَقْتَرِبُ مِنْ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ ، عِنْدَما خَرَجَ الفَريقُ وَمَعَهُمْ ميلادي في آخِرِ رِحْلَةٍ لَها في هَذِهِ الدُّنْيا . وَكانَتِ العاصِفَةُ قَدْ هَدَأَتْ ، وَكَأَنَّ الطَّبيعَةَ نَفْسَها قَدِ اقْتَنَعَتْ أَخيراً بِوُجوبِ القِصاصِ وَتَنْفيذِ حُكْمِ العَدالَةِ . وَكانَ القَمَرُ الشّاحِبُ في أَعْقابِ

آثارِ العاصِفَةِ قَدْ بَدا أَحْمَرَ بِلَوْنِ الدَّمِ ، وَيَظْهَرُ مُنْخَفِضاً في السَّماءِ . وَأَمامَ خَلْفِيَّةٍ مِنَ الضَّوْءِ الباهِتِ ، بَدَتْ حُدودُ البُيوتِ في أَرْمانْتِيير بِحَيْثُ لا تَكادُ تُرى ، وَلا يُمْكِنُ تَمْييزُها .

عَلى مَسافَةٍ قَصيرَةٍ أَمامَ هَذا الفَريقِ الصّامِتِ ، كانَتِ المِياهُ الصّامِتَةُ لِنَهْرِ لِيس ، تَتَدَفَّقُ في بُطْءٍ ، كَأَنَّهُ نَهْرٌ مِنَ الرَّصاصِ . وَعَلى الشّاطِئِ البَعيدِ ، كانَتْ تَلوحُ حُدودُ كُتْلَةٍ مِنَ الأَشْجارِ تَحْتَ السَّماءِ الَّتي لا تَزالُ مُزْدَحِمَةً بِالسُّحُبِ المُتَقَطِّعَةِ ، فَتَنْعَكِسُ عَلَيْها أَشِعَّةُ القَمَرِ ، وَتَخْلُقُ نَوْعاً مِنَ الشَّفَقِ المُخيفِ .

وَفي حَقْلٍ عَلى يَسارِ الطَّريقِ ، تَقومُ طاحونَةُ هَواءٍ مَهْجورَةٌ ، ذاتُ شِراعٍ واحِدٍ شاحِبِ اللَّوْنِ ، مُعَطَّلٍ ، وَيُشيرُ إلى أَعْلى ، يُشْبِهُ مِنْ كافَّةِ الوُجوهِ إِصْبَعَ اتِّهامٍ ضَخْمَةً . وَمِنْ بَيْنِ تِلْكَ الأَنْقاضِ ، تُصْدِرُ بُومَةٌ وَحيدَةٌ نَعيبَها المُحْزِنَ عَلى وَتيرَةٍ واحِدَةٍ .

وَعَنْ يَمينِ الطَّريقِ وَيَسارِهِ ، الَّذي سارَتْ فيهِ الجَماعَةُ المُكْتَئِبَةُ ، بَدَتِ الشُّجَيْراتُ وَالأَشْجارُ المَبْتورَةُ كَأَقْزامٍ مَمْسوخَةٍ ، تُراقِبُ بِعُيونٍ مُتَسائِلَةٍ ، أُولئِكَ الَّذينَ تَجاسَروا عَلى الخُروجِ لَيْلاً في مِثْلِ هَذِهِ السّاعَةِ المَشْئومَةِ المُتَأَخِّرَةِ .

وَفي فَتَراتٍ ، كانَ البَرْقُ يُضيءُ الأُفُقَ بِكامِلِهِ . وَكانَ يَتَحَرَّكُ



ذَهاباً وَإياباً فَوْقَ كُتْلَةٍ سَوْداءَ مِنَ الأشْجارِ ، كَسَيْفٍ مُشْرَعٍ يَفْصِلُ السَّماءَ عَنْ كُلِّ اتِّصالٍ بِالأرْضِ . وَلَمْ تَهُبَّ نَسْمَةٌ واحِدَةٌ مِنَ الهَواءِ ، فَتُعَكِّرَ صَفْوَ الجَوِّ البارِدِ المَطيرِ . وَكانَتِ الأرْضُ مُشْبَعَةً بِالمِياهِ ، وَتَتَأَلَّقُ بِها قَطَراتُ المَطَرِ الَّتي سَقَطَتْ حَديثاً . وَأطْلَقَتِ الشُّجَيْراتُ المُنْتَعِشَةُ وَالحَشائِشُ عَبيرَها بِقُوَّةٍ .

تَوَقَّفَ الجَمْعُ عِنْدَ وُصولِهِ إلى النَّهْرِ . وَكَبَّلَ الرَّجُلُ الفارِعُ المُقَنَّعُ يَدَيْ ميلادي في صَمْتٍ ، وَوَضَعَها في المُعَدِّيَةِ وَعَبَرَ بِها إلى الضِّفَّةِ المُقابِلَةِ مِنَ النَّهْرِ .

وَبَدا هَذا الرَّجُلُ هُناكَ مُتَّشِحاً بِالسَّوادِ ، أمامَ هالَةٍ مِنْ نورِ القَمَرِ ، حَيْثُ أبْصَرَ الجَمْعُ سَيْفَ الرَّجُلِ المُقَنَّعِ ذا المِقْبَضَيْنِ ، يَرْتَفِعُ ثُمَّ يَهْوي مَرَّةً واحِدَةً . كانَ هَذا هُوَ الجَلّادَ العامَّ ، وَكانَ هُوَ الَّذي - قَبْلَ ذَلِكَ بِإحْدى عَشْرَةَ سَنَةً - وَسَمَ كَتِفَ ميلادي بِسِمَةِ زَهْرَةِ الزَّنْبَقِ - رَمْزِ العارِ - ، في المَيْدانِ العامِّ لِمَدينَةِ لَيْل .

الفصل السابع والعشرون

فخامتُهُ يتعرَّفُ على خطِّ يدِهِ ويُصْدِرُ قراراً حكيماً

كانَ مِنَ المُعْتادِ ، في ذَلِكَ الوَقْتِ ، عِنْدَما لا يكونُ أصْدقاؤنا الأرْبَعَةُ في صُحْبَةِ المَلِكَ ، أنْ يَقْضوا وَقْتَهُمْ في فُنْدُقِهِمِ المُفضَّلِ . وَهُناكَ ، لا يَلْعَبونَ الورَقَ ، وَلا يَحْتَسونَ الخُمورَ ، وَإنَّما يَتَحَدَّثونَ في هُدوءٍ ، مُحاذِرينَ ألا يَسْمَعَهُمْ أحَدٌ .

وَذاتَ يَوْمٍ ، وَهُمْ يَتَجاذَبونَ أطْرافَ الحَديثِ في هُدوءٍ بِذَلِكَ الفُنْدُقِ ، سَمِعَ دارتانيان شَخْصاً يَنْطِقُ اسْمَهُ .

تَطَلَّعَ دارتانيان حَوْلَهُ فَأبْصَرَ رَجُلَ مِيونْغ المَجْهولَ ؛ فَصاحَ صَيْحَةَ الرِّضا ، وَاسْتَلَّ سَيْفَهُ ، وَانْدَفَعَ نَحْوَ البابِ .

في هَذِهِ المَرَّةِ ، بَدَلاً مِنْ أنْ يَتَحاشاهُ الرَّجُلُ ، تَرَجَّلَ عَنْ حِصانِهِ ، وَتَقَدَّمَ نَحْوَهُ لِمُلاقاتِهِ .

قالَ دارتانيان : « هَيَّا ، يا سَيِّدي ! ها نَحْنُ نَلْتَقي أخيراً ، وَلَكِنَّكَ

لَنْ تُفْلِتَ في هَذِهِ المَرَّةِ ! »

قالَ الرَّجُلُ : « لَيْسَتْ هَذِهِ نِيَّتي ، يا سَيِّدي . بَلْ أنا الَّذي أبْحَثُ عَنْكَ ، في هَذِهِ المَرَّةِ ، لأقْبِضَ عَلَيْكَ بِاسْمِ المَلِكِ . »

صاحَ دارتانيان : « ماذا تَقولُ ؟ »

« يَجِبُ أنْ تُسَلِّمَني سَيْفَكَ دونَ مُقاوَمَةٍ ، يا سَيِّدي . وَأحَذِّرُكَ مِنَ الانْدِفاعِ ، فَهَذِهِ مَسْألَةٌ بالِغَةُ الخُطورَةِ . »

قالَ دارتانيان وَهُوَ يَخْفِضُ سَيْفَهُ ، دونَ أنْ يُسَلِّمَهُ إيَّاهُ : « إذاً ، فَمَنْ أنْتَ ؟ »

« أنا فارِسُ رُوشْفُور ، التَّابِعُ الشَّخْصِيُّ لِسُمُوِّ الكارْدينال رِيشِلْيِيه . وَلَدَيَّ أمْرٌ بِاقْتِيادِكَ إلى سُمُوِّهِ . »

قاطَعَهُ آثوس بِقَوْلِهِ : « مِنَ المُصادَفَةِ أنَّنا في طَريقِنا إلى سُمُوِّهِ ، يا سَيِّدي . وَلِذَلِكَ آمَلُ في أنْ تَقْبَلَ كَلِمَةَ شَرَفٍ مِنْ دارتانيان ، بِأنَّهُ سَيَذْهَبُ مُباشَرَةً إلى هُناكَ وَيُقَدِّمُ نَفْسَهُ . »

« لَكِنْ يَجِبُ أنْ أُسَلِّمَهُ لِحارِسٍ . »

قالَ آثوس : « سَنَكونُ نَحْنُ حَرَسَهُ ، يا سَيِّدي . نُقْسِمُ بِشَرَفِنا كَرِجالٍ ! » ثُمَّ نَظَرَ إلَيْهِ نَظْرَةً لَها مَغْزًى ، وَقالَ : « وَبِشَرَفِنا كَرِجالٍ ،

أيضاً ، لَنْ يَتْرُكَنا دارتانيان .»

نَظَرَ فارِسُ رُوشْفور خَلْفَهُ ، فَأَبْصَرَ پُورْثُوس وَأراميس ، فَفَهِمَ أَنَّهُ تَحْتَ رَحْمَةِ هَؤُلاءِ الرِّجالِ الأَرْبَعَةِ ، فَقالَ : « أَيُّها السَّادَةُ ، إذا سَلَّمَني السَّيِّدُ دارتانيان سَيْفَهُ ، وَضَمَّ كَلِمَةَ شَرَفِهِ إلى كَلِمَةِ شَرَفِكُمْ ، فَسَأَرْضى بِوَعْدِكُمْ في اصْطِحابِهِ إلى صاحِبِ السُّمُوِّ .»

قالَ دارتانيان : « إِلَيْكَ كَلِمَةَ شَرَفي ، وَهاكَ سَيْفي .»

قالَ الفارِسُ : « هَذا يُرْضيني كَثيراً ، لأَنَّني أُريدُ مُواصَلَةَ رِحْلَتي.»

قالَ آثوس ، في هُدوءٍ : « إذا كُنْتَ تُؤَمِّلُ في أَنْ تُقابِلَ ميلادي، فأَنْتَ تُضَيِّعُ وَقْتَكَ سُدًى ، فَلَنْ تَجِدَها .»

سَأَلَهُمُ الفارِسُ بِلَهْفَةٍ قائِلاً : « إذاً ، ماذا صارَ إِلَيْهِ أَمْرُها ؟»

« عُدْ مَعَنا ، وَسَتَعْرِفُ .»

بَيْنَما كانَ الكارْدينالُ في طَريقِ عَوْدَتِهِ إلى مَكْتَبِهِ في المَساءِ التَّالي ، وَجَدَ دارتانيان يَنْتَظِرُ اسْتِدْعاءَهُ . وَلاحَظَ أَنَّهُ بِدونِ سَيْفِهِ ، وَلاحَظَ أَيْضاً أَنَّ الفُرْسانَ الثَّلاثَةَ الَّذينَ يَحْرُسونَهُ ، لَيْسوا سِوى الثَّلاثَةِ الَّذين لا يَنْفَصِلونَ ؛ آثوس وَپُورْثُوس وَأراميس .

وَلَمَّا كانَ مَعَ الكارْدينال عَدَدٌ مِنَ الأَتْباعِ ، رَمَقَ دارتانيان بِحِدَّةٍ ، وَأَشارَ إِلَيْهِ بِيَدِهِ ، أَنْ يَتْبَعَهُ ، فَأَطاعَ دارتانيان .

قالَ آثوس بِصَوْتٍ جَهوريٍّ يَسْتَطيعُ الكارْدينال أَنْ يَسْمَعَهُ : « إِنَّنا في انْتِظارِكَ ، يا دارتانيان .»

قَطَّبَ الكارْدينالُ أَساريرَهُ ، وَتَرَدَّدَ قَليلاً ، ثُمَّ مَضى إلى مَكْتَبِهِ وَهُوَ في حالَةِ تَفْكيرٍ عَميقٍ.

دَخَلَ الكارْدينالُ مَكْتَبَهُ ، وَأَمَرَ رُوشْفور بِأَنْ يُحْضِرَ إِلَيْهِ الفارِسَ الشَّابَّ .

سَرْعانَ ما وَجَدَ دارتانيان نَفْسَهُ وَحيداً مَعَ الكارْدينالِ ، الَّذي وَقَفَ بِقُرْبِ المِدْفَأَةِ ، تَفْصِلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ دارتانيان مائِدَةٌ .

قالَ الكارْدينال : « قُبِضَ عَلَيْكَ بِأَمْري . أ تَعْرِفُ لِماذا ؟»

« لا ، يا صاحِبَ السُّمُوِّ ؛ إذِ السَّبَبُ الَّذي مِنْ أَجْلِهِ يُمْكِنُ القَبْضُ عَلَيَّ ، غَيْرُ مَعْروفٍ لِسُمُوِّكُمْ حَتَّى الآنَ .»

نَظَرَ الكارْدينالُ مَلِيًّا إلى هَذا الشَّابِّ ، وَقالَ دَهِشاً : « ما مَعْنى هَذا ؟»

قالَ دارتانيان : « هَلْ تَتَفَضَّلُ ، سُمُوُّكُمْ ، فَتُشَرِّفَني أَوَّلاً ،

بِإِخْبارِي بِالجَرائِمِ الَّتي أنا مُتَّهَمٌ بِها ؟»

رَدَّ رِيشِلْيِيه : « أَنْتَ مُتَّهَمٌ بِجَرائِمَ كانَتِ السَّبَبَ في هَلاكِ أُناسٍ أَكْثَرَ مِنْكَ أَهَمِّيَّةً ، يا سَيِّدي .»

قالَ دارتانيان بِهُدوءٍ أَذْهَلَ الكارْدينالَ نَفْسَهُ : « ما هِيَ ، يا صاحِبَ السُّمُوِّ ؟»

« أَنْتَ مُتَّهَمٌ بِالتَّراسُلِ مَعَ أَعْداءِ فَرَنْسا ، وَمُتَّهَمٌ بِإِفْشاءِ أَسْرارِ الدَّوْلَةِ ، وَمُتَّهَمٌ أَيْضًا بِمُحاوَلَةِ إِفْسادِ خُطَطِ قائِدِكَ .»

وما كانَ مِنْ دارتانيان إِلّا أَنْ سَأَلَ بِحِدَّةٍ ، وَهُوَ مُقْتَنِعٌ تَمامًا بِأَنَّ هَذا الاتِّهامَ جاءَ مِنْ لَدُنْ ميلادي : « مَنِ الَّذي يَتَّهِمُني بِهَذِهِ التُّهَمِ ، يا صاحِبَ السُّمُوِّ ؟ أَهِيَ امْرَأَةٌ مَوْسومٌ عَلى كَتِفِها عَنْ طَريقِ العَدالَةِ ؟ امْرَأَةٌ تَزَوَّجَتْ رَجُلاً في فَرَنْسا ، وَرَجُلاً آخَرَ في إِنْجِلْترا ؟ امْرَأَةٌ قَتَلَتْ زَوْجَها الثّاني بِالسُّمِّ ؟ امْرَأَةٌ حاوَلَتِ اغْتِيالي مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ حاوَلَتْ أَخيرًا قَتْلي بِالسُّمِّ ؟»

صاحَ الكارْدينالُ دَهِشًا : « ما هَذا الَّذي تَقولُهُ ، يا سَيِّدي ؟ وَعَنْ أَيَّةِ امْرَأَةٍ تَتَكَلَّمُ ؟»

أَجابَ دارتانيان : « عَنْ ميلادي وِينْتر . لا شَكَّ في أَنَّ سُمُوَّكَ تَجْهَلُ جَرائِمَها ، بِدَليلِ أَنَّكَ شَرَّفْتَها بِوَضْعِ ثِقَتِكَ فيها .»

قالَ الكارْدينال : « إِذا كانَتْ ميلادي وِينْتر ، قَدِ اقْتَرَفَتْ كُلَّ هَذِهِ الجَرائِمِ الَّتي تَتَّهِمُها بِها ، فَسَوْفَ تُعاقَبُ .»

قالَ دارتانيان : « لَقَدْ عُوقِبَتْ بِالفِعْلِ ، يا صاحِبَ السُّمُوِّ .» ثُمَّ أَخْبَرَ الكارْدينالَ ، بَعْدَ ذَلِكَ ، بِمُحاكَمَةِ ميلادي السِّرِّيَّةِ ، وَإِعْدامِها بَعْدَ المُحاكَمَةِ مُباشَرَةً .

اسْتَطْرَدَ دارتانيان قائِلاً : « هُناكَ شَخْصٌ آخَرُ يَسْتَطيعُ أَنْ يُخْبِرَكَ بِأَنَّهُ يَحْمِلُ أَمْرَ العَفْوِ عَنْهُ في جَيْبِهِ .»

صاحَ رِيشِلْيِيه وَقَدْ عَلَتْ وَجْهَهُ الدَّهْشَةُ : « العَفْوُ عَنْهُ ! وَمَنِ الَّذي وَقَّعَ عَلَيْهِ ؟»

« مُوَقَّعٌ عَلَيْهِ مِنْ سُمُوِّكَ .»

« أَنا الَّذي وَقَّعْتُ عَلَيْهِ ؟ إِنَّكَ لَمَجْنونٌ ، يا سَيِّدي !»

قَدَّمَ دارتانيان إِلى الكارْدينال قُصاصَةَ الوَرَقِ الثَّمينَةَ ، الَّتي حَصَلَ عَلَيْها آثوس مِنْ ميلادي ، وَسَلَّمَها بِدَوْرِهِ إِلَيْهِ لِتَكونَ دِرْعًا لَهُ ، وَقالَ: « لا شَكَّ في أَنَّ سُمُوَّكَ سَتَتَعَرَّفُ عَلى خَطِّ يَدِكَ !»

تَناوَلَ الكارْدينالُ قُصاصَةَ الوَرَقِ ، وَقَرَأَ بِصَوْتٍ مُتَثاقِلٍ :

٣ ديسمبر سنة ١٦٢٧

بأمري ولصالح الدولة فعل حامل هذه ما فعله .

ريشلييه

بَعْدَ أنْ قَرَأ الكارْدينالُ السَّطْرَيْنِ، وَقَفَ يُفكِّرُ مَلِيًّا . وَيَبْدو أنَّهُ لَمْ يُقرِّرْ ماذا يَفْعَلُ ، لأنَّهُ أخَذَ يُقلِّبُ الوَرَقَةَ في يَدِهِ .

وَأخيراً ، رَفَعَ الكارْدينالُ رَأسَهُ ، وَنَظَرَ إلى وَجْهِ دارتانيان الَّذي يَنُمُّ عَنْ ذَكاءٍ مُتَوقِّدٍ ، وَفكَّرَ في مُسْتَقْبَلِ هَذا الشّابِّ ، وَتأمَّلَ فيما يُمكِنُ أنْ يَفْعَلَهُ نَشاطُهُ وجُرْأتُهُ وفَهْمُهُ .. فَكَمْ مِنْ مَرَّةٍ بَلْبَلَتْ جَرائِمُ ميلادي وَسَطْوَتُها وَشَرُّها عَقْلَ الكارْدينالِ . وَإذْ ماتَتِ الآنَ فَقَدْ أحَسَّ بِالطُّمَأنينَةِ وَراحَةِ البالِ .

وَصَلَ الكارْدينالُ إلى قَرارٍ ، فَمَزَّقَ الوَرَقَةَ بِرَوِيَّةٍ قِطَعاً صَغيرَةً ، وَذَهَبَ إلى مَكْتَبِهِ وَخَطَّ بِضْعَةَ أسْطُرٍ على وَرَقَةٍ مَطْبوعَةٍ قَيِّمَةِ المَنْظَرِ ، وَ وَقَّعَ عَلَيْها .

قالَ الكارْدينالُ : « أيُّها الشّابُّ ، أخَذْتُ مِنْكَ وَرَقَةً لأُعْطيكَ وَرَقَةً أخْرى بَدَلاً مِنْها . يَلْزَمُ تَوْقيعٌ عَلى هَذِهِ الوَرَقَةِ الَّتي أُعْطيكَها ، وَيُمْكِنُكَ أنْ تُوَقِّعَهُ بِنَفْسِكَ .»

تَناوَلَ دارتانيان الوَرَقَةَ بِأصابِعَ مُضْطَرِبَةٍ ، وَقَرَأها : كانَتْ تَكْليفاً لِضابِطٍ في الفُرْسانِ .

جَثا دارتانيان عَلى رُكْبَتَيْهِ قائِلاً : « لا أسْتَحِقُّ هَذا الفَضْلَ ، يا صاحِبَ السُّمُوِّ . لي ثَلاثَةُ أصْدِقاءَ ، هُمْ أكْثَرُ مِنّي اسْتِحْقاقاً لَهُ .»

قاطَعَهُ الكارْدينالُ ، وَهُوَ سَعيدٌ بِالتَّفْكيرِ في أنَّهُ ، أخيراً ، قَدْ رَبِحَ إلى جانِبِهِ ذَلِكَ الشّابَّ الغَسْقونِيَّ المُتَوثِّبَ الطِّباعِ ، قائِلاً : « أنْتَ شابٌّ باسِلٌ . أُكْتُبْ أيَّ اسْمٍ تَشاءُ ، وَلَكِنْ تَذَكَّرْ ، أنَّكَ أنْتَ الَّذي أعْطَيْتَ هَذا التَّكْليفَ .»

بَعْدَ ذَلِكَ ، اسْتَدْعى الكارْدينالُ رُوشْفور ، الَّذي كانَ يَنْتَظِرُ خارِجَ البابِ ، وَقالَ لَهُ : « يا رُوشْفور ، مِنَ الآنَ فَصاعِداً ، أنا أسْتَقْبِلُ السَّيِّدَ دارتانيان كَصَديقٍ . وَلْيُصافِحْ كُلٌّ مِنْكُما الآخَرَ ، وَتَصَرَّفا بِتَعَقُّلٍ ، إذا رَغِبْتُما في الاحْتِفاظِ بِسَلامَةِ رَأسَيْكُما !»

في ذَلِكَ المَساءِ ، اسْتَدْعى دارتانيان آثوس ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ التَّكْليفَ .

قالَ آثوس : « يا صَديقي ، الشَّرَفُ عَظيمٌ جِدًّا لآثوس ، وَقَليلٌ جِدًّا لِلْكُونت دي لا فير ! اِحْتَفِظْ بِهَذا التَّكْليفِ لِنَفْسِكَ ، فَهُوَ لَكَ .»

بَعْدَ ذَلِكَ ، ذَهَبَ دارتانيان إلى بُورْتُوس ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ التَّكْليفَ وَلَكِنَّهُ رَفَضَ مُعْتَذِراً بِأنَّهُ سَيَتَزَوَّجُ قَريباً ، وَقالَ : « سَأكونُ جِدَّ مَشْغولٍ

بِشُئُوني وَمُمْتَلَكاتي ، وَلَنْ يُمْكِنني التَّمَتُّعُ بِهَذِهِ الوَظيفَةِ المُمْتازَةِ . اِحْتَفِظْ بِالتَّكْليفِ ، يا صَديقي . اِحْتَفِظْ بِهِ لِنَفْسِكَ .»

كانَ أراميس مَشْغولاً بِدِراساتِهِ وَبُحوثِهِ حينَ زارَهُ دارتانيان ، وَقَدَّمَ لَهُ التَّكْليفَ .

قالَ أراميس : « صَديقِيَ العَزيزَ ، لَقَدْ كَرَّهَتْني مُغامَراتُنا الَّتي خُضْناها مَعاً ، في الحَياةِ العَسْكَرِيَّةِ . وَأنا موشِكٌ عَلى تَرْكِ الحَياةِ العَسْكَرِيَّةِ . فاحْتَفِظْ بِهَذا التَّكْليفِ لِنَفْسِكَ ، يا دارتانيان ، فَوَظيفَةُ حَمْلِ السِّلاحِ تُناسِبُكَ تَماماً .»

عادَ دارتانيان إلى آثوس ، وَأخْبَرَهُ كَيْفَ رَفَضَ الاثْنانِ الآخَرانِ أيْضاً هَذا التَّكْليفَ ، وَكانَ قَلْبُهُ مُفْعَماً بِالفَرَحِ ، وَعَيْناهُ مُغْرَوْرِقَتَيْنِ بِالدُّموعِ ، اعْتِرافاً بِجَميلِ زُمَلائِهِ الثَّلاثَةِ .

أخَذَ آثوس الوَثيقَةَ ، وَكَتَبَ بِيَدٍ ثابِتَةٍ اسْمَ دارتانيان الكامِلَ ، في المَكانِ الخالي بِها .

المغامرات المثيرة



مكتبة لبنان
ساحة رياض الصلح - بيروت
رقم الكمبيوتر 01 C 198231